الأبناء الثلاثة
وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه، ديوبند، يوپى

نام کتاب	:	القصص الأدبیہ
تالیف	:	محمد عطیۃ الابرشی
طبع	:	فروری 2013ء
مطبع	:	شمیم آفسیٹ پریس، دہلی
قیمت	:	دوسوروپے (-/Rs.200)
ناشر	:	کتب خانہ حسینیہ دیوبند 247554 یوپی

Kutub khana Husainia
Deoband 247554(U.P.)

Ph.(Off) : 01336-223266
Fax. : 01336-223266
Mob. : 09359210262
Email: kutubkhanahusainia@yahoo.com

دہلی میں ملنے کا پتہ:

کتب خانہ عزیزیہ

اردو بازار، جامع مسجد دہلی 110006

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) : فيسرُّني أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذهِ المجموعةِ ألوانًا من القصصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يُرغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها . وحرصُها على المُثلِ العليا فى النواحي الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضيَ إلى نهايتِها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهيَ منها مشتاقًا إلى معاودةِ قراءتها .

وقد راعيتُ فيها سهولةَ اللغة ، وجمالَ الأساليبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، ووَضَّحتُ بعضَ القصص بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهات ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائهم وبناتهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمى خيالَه ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفسُهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمت بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، والشرقِ العربى .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

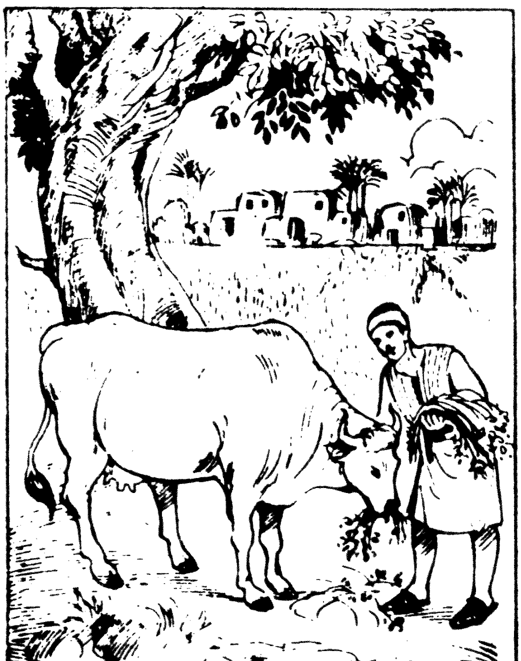
الْقصة الأُولى

الأَبناءُ الثلاثة

كانَ لأَحدِ المزارِعينَ ثَلاثةُ أَبناءٍ : أَحمد ومصطفى وكمال، وكان عندهُ بَقرةٌ تأْخذُ منها الأُسرةُ ماتحتاجُ إليه من اللَّبنِ . ولكى تُدرَّ البقرةُ كثيرًا من اللبنِ ، عُنِيَ المزارِعُ كلَّ العنايةِ بتغذيتها ؛ لأَنه كان يَعلمُ عِلمَ اليقينِ أَنها فى اليومِ الذى تَتناولُ فيه كثيرًا من الطَّعامِ تُعطِي الأُسرةَ كثيرًا من اللَّبنِ . وفى اليومِ الذى يَقِلُّ فيه الطَّعامُ تُدِرُّ قليلًا من اللَّبن . وقد اعتادَ الأَبُ أَن يُرْسِلَ البقرةَ إلى الْحَقْلِ كلَّ يومٍ مع أَحدِ أَبنائِه لإِطْعامها . وجَعلَ لكلٍّ منهم يوماً . فعَيَّنَ يَوماً لأَحمدَ . ويوماً لمصطفى . ويوماً لكمال .

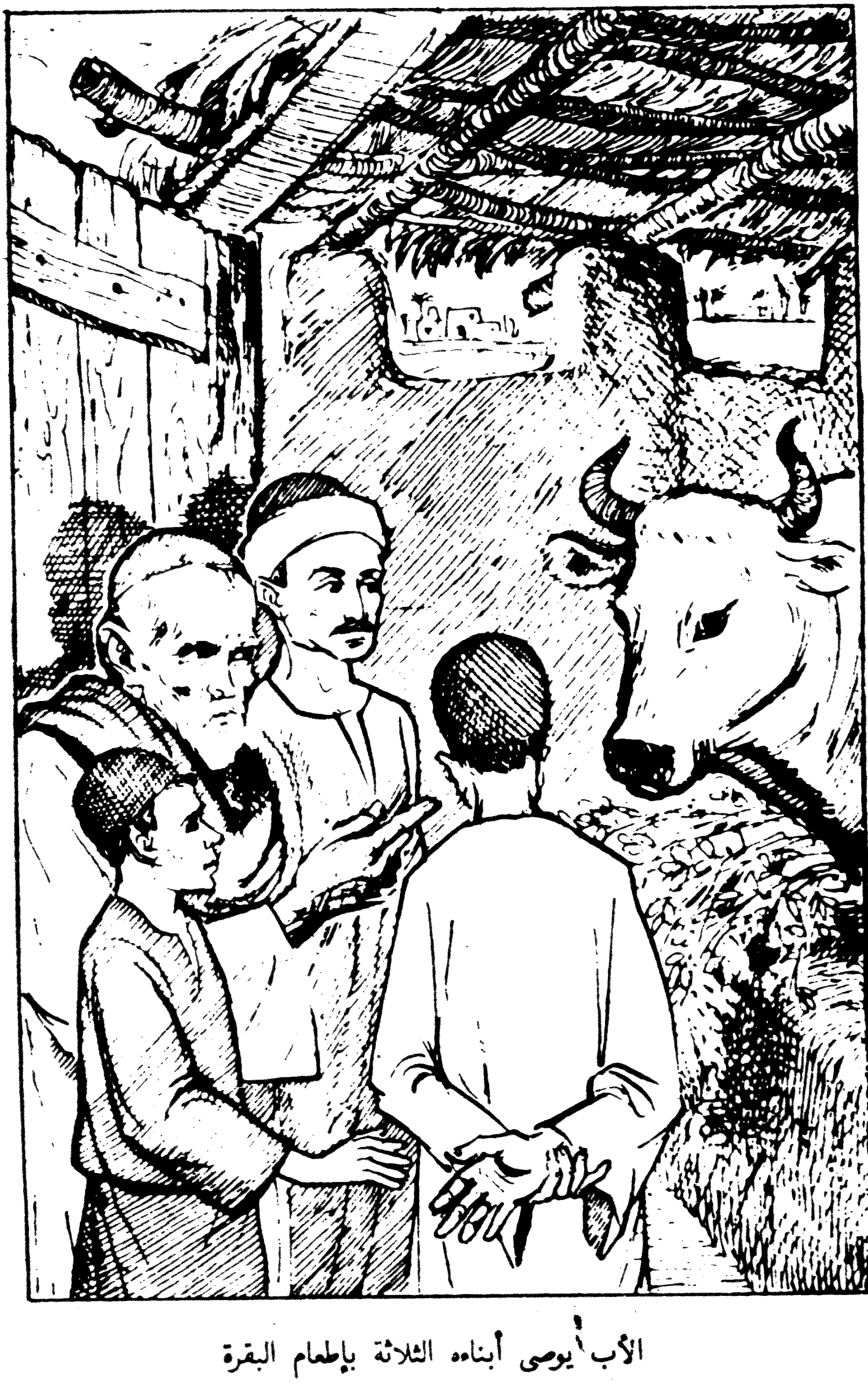
وفى صبيحةِ يومٍ من الأَيامِ أَخذ أَحمدُ البقرةَ إلى الحَقْلِ ، وأَخذت تَرْعَى بِرْسيماً كُلَّ اليومِ ، وتأْكلُ كلَّ الوقتِ ، كأَنها لم تَذُقْ طَعاماً منذُ شَهرٍ . وعندَ غُروبِ الشمسِ سأَل أَحمدُ البقرةَ : هلْ أَكلتِ كلَّ ما تريدينَه وما تحتاجينَ إليه من البِرْسِيمِ ؟

فأَجابت البَقرةُ : لقدْ أَكلتُ كلَّ ما استطعتُ اليومَ ، ولا يُمكنُنى أَن آكلَ أَكثرَ ممَّا أَكلتُ .



أحمد يقدم البرسيم للبقرة ولا يمكنها أن تأكل أكثر مما أكلت

فقال أَحمدُ : فلنرجعْ إذًا إلى المنزل . ثُمَّ أَخذ البقرةَ ورجَع بها إلى حَظِيرَتِها خَلفَ المنزِلِ ، وأَغلقَ عليها الباب ، ثم ذهبَ إلى أَبيه ، فسأَلَه أَبوه : هل شَبعت البقرةُ اليومَ يا بُنَىَّ ؟



الأب يوصى أبناءه الثلاثة بإطعام البقرة

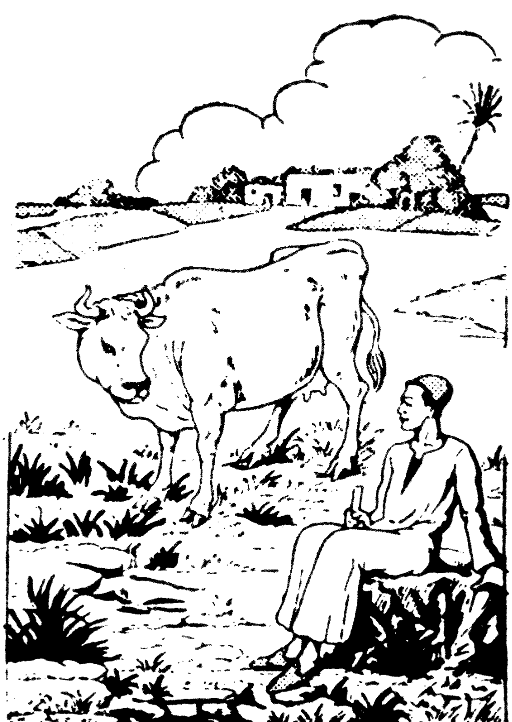
فأجابه أحمدُ : نعمْ يا أبى لقد شبعتْ وأكلتْ من البرْسيمِ بقدرِ ما استطاعت ، ولكنَّ الأَبَ أرادَ أن يَرَى البقرةَ بنفسِه ، ويُشاهدَها بعينَيْهِ . فذهبَ إلى الحظيرةِ . ورأى البقرةَ . ووضعَ يدَه على ظهرِها . وَسأَلها : هل أَكلتِ ما تُريدينَ منَ البِرْسيمِ ؟

فأَجابت البقرةُ : كيفَ آكُلُ ما أُريدُ من البرسيمِ . وقَد قضيتُ النهارَ كلَّه بعيدةً عنه . ولم أَجِدْ من الطَّعامِ ما آكلُه ؟

فقال الأَبُ لنفسهِ : ما هذا الذى أَسمَعُه ؟ وذَهبَ إلى ابنِه أَحمدَ . وقال له : لقد أَخبرتَنى أَنَّ البقرةَ أَكلتْ كلَّ ما تُريدُه من البِرسيمِ ، مَع أَنَّها لم تجدْ شيئاً تأْكُله طُولَ النهارِ . وغضِبَ من ابنهِ . ولم يُصْغِ إلى كلامِه . وأَخذَ عَصاً . وضربَه بها . وقد ظنَّ أَنَّ ابنَه أَحمدَ كذَبَ فى قولِه .

وفى الصَّباحِ أَمرَ الأَبُ ابنَهُ مصطفى بالخروجِ مع

البقرة . فخرجَ بها وأَخذَها إلى شاطئِ التُّرْعةِ ، وأَطعمَها كثيرًا من العُشبِ والنَّباتِ حتى شبِعَت ، وامتلأَ بَطنُها ، وكانت تأْكل بشرهٍ كأَنّها لم تَذُقْ طَعاماً منذُ ستَّةِ أَشْهر . وحينما غرَبت الشمسُ سأَلها مصطفى : هل وجدْتِ ما يَكْفيكِ من الطعام ؟


مصطفى يرعى البقرة وقد أكلت حتى شبعت

فأَجابت : لقدْ وجدتُ ما يكْفينى ، وأَكلت كلَّ ما أَستطيعُ أَن آكلَ ، ولا يُمكِنُنى أَنْ أَتناولَ شيئاً أَكثَرَ ممّا تَناولْت .

فقالَ لها مصطفى : فَلْنرجعْ إذًا إلى المنزل ، ثم أَخذَ البقرة ، وذهبَ بها إلى الحظيرةِ ورَبَطها ، وأَغلقَ الباب عليها ، ثم تَركَها ، وذَهبَ إلى أَبيه فسأَله : هل وجدَت البقرةُ

ما تحتاجُ إليه من غِذاءِ اليوم ؟

فأَجابَ مصطفى : نعمْ يا أَبى . لقد أكلتْ طولَ النهارِ كثيراً من العُشبِ والنباتِ عَلَى شاطئِ التُّرْعةِ حتى شبِعتْ . ولكنَّ الأَبَ أَرادَ أَن يرَى البقرةَ بنفسه فذهبَ إلى الحظيرة ، وسَأَلها : هلْ وجدتِ ما تريدينَه من الغِذاءِ اليوم ؟

فأَجابت البقرةُ : كيفَ أَجدُ ما أُريدُ من الطَّعامِ وقد قَضيتُ النّهارَ كلَّه ماشيةً عَلَى شاطئ التّرْعةِ ، ولم أَجدْ طعاماً آكُلُه ؟

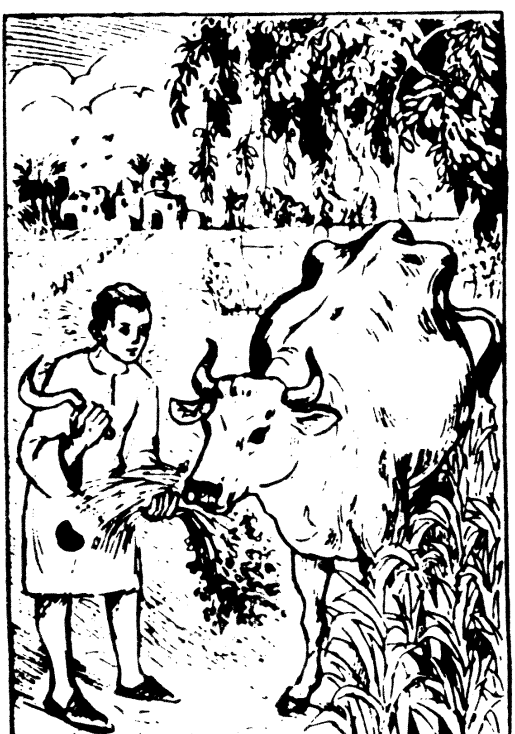
فتَأَلم الأَبُ فى نفسه وقال : هل يُريدُ هذا الابنُ المهمِلُ أَن يرَى هٰذه البقرةَ الجميلةَ تموتُ جوعاً ؟ ثُمَّ أَخذ عَصاً ، وضربَ بها مصطفى عقاباً له .

وفى اليوم الثالثِ أمرَ ابنَه كمالًا أَن يأْخذَ البقرةَ إلى الحقل فأَخذَها ، وأَخذَ يَحُشُّ لها البِرْسيم ، ويضعُه أَمامَها ، حتى شَبِعتْ وتركَتهُ أَمامَها ، وكانت تأْكلُ

كأنها لم تذُقْ طعاماً منذُ سنةٍ . وحين غرَبت الشمسُ لم تستطعْ أَن تأْكلَ أَكثرَ ممَّا أَكلتْ . فسأَلها كمالٌ : هل أَكلتِ وشبِعتِ أَيَّتُها البقرةُ ؟

فأَجابت : نَعم لقد أَكلتُ حتى شبِعتُ ، وليس فى استطاعتى أَن آكلَ أَكثَرَ ممَّا أَكلتُ ، فأَخَذها إلى الحظيرَةِ ، ورَبطَها فيها ، وأَغلقَ البابَ عليها ، ثم ذهبَ إلى أَبيه ، فسأَله : هل وجَدَت البقرةُ ما تُريدُه من البِرْسيم اليومَ ؟

فأَجاب كمالٌ : نعم يا أَبى . لقد حشَشتُ لها كثيراً من البِرسيم ، ووضعتُه أَمامَها ، وأَكلتْ حتى شَبعت ، وتركتُه أَمامها ،



كمال وهو يقدم الطعام إلى البقرة

ولٰكِنَّ الأَبَ أَراد أَن يَرى البقرةَ بِنَفْسِه ، فَذهب إلى الحظيرة وسأَلها ، فأَجابتْ : كيفَ أَستطيعُ أَن أَجِدَ ما أَحتاجُ إليه من برسيمٍ ، وقد ربَطنى بعيدةً عنه ، وتركَنى النَّهارَ كلَّه ، ولم أَجِدْ شيئاً آكلُه .

فَغَضِبَ الأَبُ وقال لِكمال : إنَّكَ مُهمِلٌ كأَحمدَ ومصطفى ، وأَخذَ عَصاً وضرَب بها كمالًا المسكينَ ضرْباً مُبرِّحاً شديدًا حتى جرَى من أَمامِه .

وَفكَّر الأَبُ فى أَن يذهبَ بنفسهِ مع بقرته . وفى الصباحِ التالى ذهب إلى الحظيرةِ ، ووضعَ يدَه على البقرة وقال لها : تعالَىْ أَيتُها البقرةُ الجميلةُ ، سآخذُكِ أَنا نفسى إلى الْحقْلِ ، وستجدينَ كلَّ طعامٍ تُريدينَه ، ثم أَخذ البقرةَ إلى الحقْل ، وأَخذ يَحُشُّ لها البِرسيم ويُقدِّمُه لها بيديْه ، حتى غَرَبت الشمسُ فسأَلها : هل وجدتِ كلَّ ما تَحتاجين إليه منْ طَعام ؟

فأَجابت : نعمْ وجدتُ كلَّ ما أَحتاجُ إليه ، وليس

فى استطاعتى أن آكلَ أكثر مما أكلتُ ، فرجعَ بها إلى المنزِل ، ووضَعَها فى حظيرَتِها ، وقبل أن يتركَها سألها ثانيةً : هل وجَدتِ من الطعامِ ما تُريدين ؟

فأجابت : كيف أَجِدُ ما أُريدُ من طعام وقدْ وقفتُ اليومَ كلَّه فى الْحَقْلِ ، ولم أَجد طعاماً آكلُه ؟

فلَمَّا سمِعَ المزارِعُ هذا الكلامَ حَارَ فى أَمرِه ، ولم يَدْرِ ماذا يقولُ أو يَفعل ، وأَحسَّ أَنه ظَلَمَ أَبناءه الثلاثةَ ، وعاقبَهم بغير ذنبٍ ، وأَنَّ البقرةَ كاذبةٌ فى كلِّ ما قالت ، ثم أَخذَ عصاً ، وضربَ البقرةَ بها عِقاباً لها على كَذِبِها .

وَجلسَ الرَّجُل فى منزِلِه حزيناً ، وفكَّرَ فى أَبنائه الثلاثةِ ، وشعَرَ أَنه ظَلمهم ، وأَساءَ مُعامَلتَهم ، وأَخطأَ فى ضربِهم ، وأَخذَ يُفكِّرُ فيما آلَ إليه أَمرُهم ، ولم يَعْرِفْ أينَ ذَهَبوا .

وقد ذهبَ أَحمدُ ليتعلَّمَ النجارةَ مع نجّار يَصْنَعُ

الأَثاث والمناضِدَ والأَسِرَّةَ والكراسىَّ منَ الخشَبِ ، وقَضى سَنةً معَ هذا النجَّارِ ، واجتَهد فى عَملِه حتى تعلَّم النِّجارَةَ ، وأَتْقَنَ صُنعَ المناضِدِ .

اشتاقَ أَحمدُ إلى أَبيه ، وفكَّرَ فى الرُّجوعِ إليه ، وأَخبرَ النجَّارَ بالأَمرِ ، فشجَّعه عَلَى العَوْدة والرُّجوعِ ، وكافأَهُ بإِعطائِه مِنْضَدَةً له ، وقد صُنعت هذه المِنْضَدة من الْخَشَب ، وتُرَى كأَىِّ مِنْضَدَةٍ أُخرى ، ولكنَّها مِنضدةٌ غَريبةٌ تختلف عنِ المناضِدِ كلِّها ، ويُمكنُ فَتحُها وتركيبُها وحملُها بسهولةٍ ، فإذا قُلتَ لها : « أَعِدِّى



أحمد يأكل مع بعض الأصدقاء طعام المنضدة الغريبة

المائدة » وانتَظرتَ لَحْظةً وجَدت المائدة مُعَدَّةً أَمامَكَ ،

وعليها كلُّ ما لذَّ من الطَّعامِ والشَّراب .

وقَدْ سُرَّ أَحمدُ بهذه الهدِيَّةِ سُرورًا جَمًّا ، وفرِح فرَحاً كثيرًا ، وأَخَذ ينتقِلُ بها مِنْ بلدٍ إلى آخرَ ، ومن مَدينةٍ إلى أُخرى ، وشَعر بالسُّرور والاطْمِئنان ؛ فقد كانَ يجدُ كلَّ ما يَشْتهيه من طعامٍ حينما يُريدُه ، ومتى أَرادَ طَعاماً وجَدهُ ، وفى أَىِّ مكان احْتاجَ إلى طعام فَتحَ المِنضدةَ وركَّبها ووَضَعها ، سواءٌ أَكان ذلك فى الحقلِ أَم فى البيتِ أَم على الطَّريقِ ، وإذا قالَ : « أَعِدِّى المائِدَةَ » أُعِدَّتْ فى الحالِ ورُتِّبتْ ونُظِّمتْ ، ووُضِعَ على المِنضدةِ كلُّ ما تَشتهيه النَّفسُ مِنْ أَلوانِ الطعامِ والشَّرابِ .

سارَ أَحمدُ فى طَريقِه قاصِدًا الرُّجوعَ إلى أَبيه ، مُعتقدًا أَنَّ أَباه قد نَسِىَ غضبه عليه بعد هذا الغِيابِ الطَّويلِ ، وقال فى نَفسِه : سأَعيشُ الآن معَ أَبى ، وسنَجدُ على الدَّوام ما نَشاءُ منَ الطَّعامِ والشرابِ ، ولن

نَحتاجَ إلى تلكَ البقرةِ الكاذبةِ بعدَ اليومِ .

وفى أَثناءِ سفره أَتى إلى منزِلٍ وسأَل صاحبَه : أَتَسْمحُ لى يا سيِّدى أَن أَقْضىَ هذه اللَّيلةَ بمنزلكَ ؟

فأَجابه صاحبُ المنزِلِ : نعم أَسْمَحُ لك بقضاءِ الليلةِ فى منزلى . ولكن لَيس لدىَّ طعامٌ كافٍ أُقدِّمُه لك .

فقال أَحمدُ : لا تُفكرْ فى الطَّعامِ ، فلستُ فى حاجةٍ إليه . وستأْكلُ معى اللَّيلَة مما آكُل ، وتَشربُ مما أَشربُ . ثم أَتى بالمِنضدةِ وفتحَها ووَضعها وقال : « أَعِدِّى المائدةَ » وبعد لحظة أُعدَّت المائدةُ ، ووُضعَ عليها كلُّ طعامٍ شَهىٍّ ، وكُلُّ شرابٍ لذيذٍ ، وجَلس أَحمدُ وَمَعه صاحبُ المنزِلِ ، وأَكلَ كلٌّ منهما ما شاءَ أَنْ يأْكُلَ ، وما طابَ له منْ طَعام وشراب .

أُعجِبَ الرجلُ المُضيفُ ، وهُوَ صاحبُ المنزلِ ، بهذه المنضدةِ الغَريبةِ ، وفكَّر فى أَخْذِها ، ولم يُفكِّر فى الأَمانةِ وواجب الضِّيافةِ ، وعزمَ فى نفسه على أن

يأْخذَ هٰذه المِنضدةَ العجيبةَ لِيَعيشَ مِنها ، ويَصِيرَ صاحبَ مَطعمٍ يَبيعُ فيه الطَّعام لمن يُريدُه مِن كلِّ جائعٍ وعطشان .

وحينما ذهَبَ أَحمدُ إلى فِراشِه أَخذَ صاحبُ المنزِلِ المنضدةَ العجيبةَ ، ووَضعَ فى مكانِها منضدةً عادِيَّةً تُشْبهُها فى شَكلها وحَجْمِها . يُمكن فكُّها وتركيبُها . ولم يَشْعُر أَن هذا نوعٌ من الغِشِّ والخيانةِ للضَّيف الذى نزل عندهُ .

وفى الصَّباح وضعَ أَحمدُ المنضدة على كَتفه . ووَدَّعَ صاحبَ المنزِل ، وسارَ فى طريقه ولم يَشْعُرْ أَنها قد غُيِّرَتْ فى أَثناءِ نومِه ، وأَنَّ مُضيفَه قد خانه وغَشَّه .

ذهب أَحمدُ إلى منزلِ أَبيه حتَّى وصلَ إليه . فرحَّبَ به أَبوه ، واسْتقبَلَه استقبالًا حارًّا . وسأَله : أَين كنتَ يا أَحمدُ ؟ وماذا كنتَ تَفعلُ فى هذه المدةِ ؟

فَأَجاب أَحمدُ : كنتُ أَتعَلَّمُ النِّجارةَ ، وقد تعَلَّمتُ صُنْعَ المناضدِ حتَّى أَجَدتُ صِناعَتَها .

فقال له أَبوه : أَحسَنتَ صُنعاً ، ونعم ما فَعلتَ يا بُنَىَّ . وسأَله : ماذا أَحضرتَ مَعك بعد هٰذه الرحلةِ ؟

فأَجاب أَحمدُ : لقد أَحضرتُ هذه المنضدةَ العجيبةَ يا أَبى ، فنَظَر إِليها أَبوهُ وقالَ : هذه مِنضدةٌ قديمةٌ ، صناعتُها عادِيَّةٌ .

فقال أَحمدُ : ولكنها منضدةٌ غَريبةٌ ، فحينما أَقولُ لها « أَعِدِّى المائدةَ » أَجدُ فى الحالِ مائدةً مُعَدَّةً ، عليها كلُّ ما تشتهيهِ الأَنفُسُ من الطَّعامِ الشَّهِىِّ ، والشرابِ اللَّذيذِ ، وفى استطاعتِك يا أَبى أَن تَدْعُوَ جَميعَ أَصدقائِكَ ليحضُروا ، ويتناولوا الطعامَ معنا اللَّيلةَ ، وستَرَى أَن هذه المنضدة ثمينةٌ ، وأَن طعامَ المائدةِ لذيذٌ .

فدَعا الأَبُ جميعَ أَصدقائه لتناوُل العَشاءِ :

فحضروا جميعاً ، ووَضع أَحمدُ مِنْضدتَه أَمامَهم ، وأَمرَها بقولِه : « أَعِدِّى المائدةَ » . ولكنَّ المائدةَ لم تُعَدّ ، ولم تَسْمع المِنضَدةُ الأَمر ، ولم يُوضَعْ عليها شيءٌ من الطعام ، وبَقِيتْ كأَىٍّ مِنضدةٍ أُخرى ، لا طَعامَ عليها ولا شَراب ، فأَدرك أَحمدُ أَنَّ المِنْضَدةَ قد غُيِّرتْ ، وأَنَّ صاحبَ المنزلِ قد خانه ، وغَيَّرها فى أَثْناءِ نومه ، وتأَلَّمَ أَبوهُ أَلماً شديدًا ؛ فقدْ دَعا أَصدقاءه لتناوُلِ العَشاءِ ، ولفقْرِه لم يستطعْ أَن يُقَدِّمَ لهم ما يناسِبُ الضُّيوفَ من الطعامِ والشَّرابِ ، وظَنوا أَنه يَستَهزئُ بهم ، فخَرجُوا متأَلِّمين ساخِطينَ ، وشعَرَ أَحمدُ بالخجل لِما حدَثَ ، وَحَزنَ لِفقدِ مِنْضَدتِه العجيبةِ ، ثمَّ ذهبَ ليعمَلَ ويَشتغِلَ عند أَحدِ النجارين .

وكان مصطفى يَشتغِلُ لدى رجُلٍ حوذِيٍّ لدَيه كثيرٌ من الحَميرِ والعَجلات ، ويستخدِمُ الحميرَ فى جَرِّها . وبعدَ أَنْ مكَثَ عندهُ عاماً ، قال له الحوذىُّ : لقد

كنتَ مُخلِصاً يا مصطفى فى عملِك . ولهذا سأُعطيكَ هذه الهديةَ الثمينةَ مكافأةً لك على إخلاصِك . وهى حِمارٌ غريبٌ لا يستطيع أحد أن يَضَعَه فى عَجلةٍ ليجُرَّها . ولكنه حِمارٌ عجيبٌ . نادرُ الوجود . لا يُقدَّر بثمن .

فسأَله مصطفى : كيف يكونُ هديةً ثمينةً يا سيِّدى إذا كان من المُحال أَن يركبهُ أَحدٌ . ولا يستطيع أَحدٌ أَن يَنتفِع به فى عجلَتِه ؟

فأَجابَ الحوذىُّ : إنه حِمارٌ عجيبٌ حقًّا . وحِمار لا وجود له . إذا تكلَّمَ كان كلامُه من ذهبٍ . وإذا وَضَعتَ صُنْدوقاً فارغاً تحتَ فمِه وقُلتَ « بركِلْبرت » نزَل الذَّهبُ من فمِه فى الصُّندوقِ حتى يَمتَلِئَ الصُّندوق ذهباً .

فقال مصطفى : هذا شىءٌ جميلٌ . وهذه هدِيَّة لا تُقدَّرُ . وأَشكرُ لسيِّدى هذا العَطف . وَهذه الهَدِية الثمينةَ . ثم وَدَّعَ سيِّدَه وَسافر . وأَخذَ معهُ هذا الحِمارَ الغريبَ . وأَينما ذهبَ وجَدَ على الدَّوَام كلَّ ما


الذهب ينزل من فم الحمار العجيب فى الصندوق

أَراد الحصول عليه ، وأَخذ يتصدَّقُ على الفقراءِ والمساكينِ ويُعطِى السائل والمحروم . ولا يَرُدُّ لمحتاجٍ طَلباً ، وَهو سائرٌ فى الطريق .

ولا عَجبَ . فإِنه إذا أَنفقَ كلَّ ما معه من النقود استطاع أَن يَضعَ أَىَّ صُندوق تحت فَمِ الحمارِ ويقولَ : « برِ كلْبرِت » . ففى الحال يَنزل الذهبُ من فمِه حتى يَمتلِئَ الصندوقُ ذهباً كما كان .

وَأَخذَ مصطفى يتنقَّلُ من مكانٍ إلى آخرَ ، ومن بَلدٍ إلى بلدٍ ، ثم فكَّرَ فى الرُّجوعِ إلى أَبيه ، فهو فى شوْقٍ لرؤيةِ والدهِ ، وقد زال غضبُ الوالدِ بعد هذا الغيابِ الطويل ، وسيكونُ مَسرورًا كلَّ السرورِ لرؤيةِ ابنِه ، ورؤيةِ هذا الحِمارِ الغريبِ . . استمرَّ مصطفى

فى طريقِه قاصدًا العودةَ إلى أَبيه ، حتى وَصلَ لسوءِ الحظِّ إلى البيتِ الذى نزلَ فيه أَخوه أَحمدُ من قبلُ ، وَمكثَ فيه ليلةً وهو راجع إلى أَبيه .

وَقَدْ سأَل مصطفى صاحبَ المنزِل : أَتسمحَ لى يا سيِّدى بالإِقامةِ فى بيتِك هذه الليلةَ ؟

فأَجابَ الرَّجلُ : نعمْ أَسمَحُ لك بكل سُرور إذا دَفعتَ أَجرًا لمبيتِك ، وثمناً لطعامِك .

فقال مصطفى : سأُعطيكَ ما تشاءُ من النقودِ ، فلا تُفكِّرْ فيها كثيرًا .

وحينما انتهى مصطفى من عَشائه حضرَ الرّجلُ ، وطلب منهُ ثمنَ الطعام ، فوضعَ مصطفى يَدَهُ فى جَيْبه ليُعطِيَه قطعةً ذهبيةً من النقود ، فوَجد أَنه أَنفقَ كلَّ ما معه ، ولم يبقَ فى جَيْبِه شىءٌ ، فنظرَ إليه مصطفى وقال له : انتظِرْ يا سيِّدى حتى أَذهبَ ، وأُحضرَ لك شيئاً من النقود ، ثم أَخذ صُندوقاً وخرَجَ به إلى

الحظيرة التى تركَ فيها الحِمارَ فى الجزءِ الخلفىِّ من البيتِ .

فكَّرَ صاحبُ المنزلِ ، وَسَوَّلتْ له نفسُه الخبيثةُ أَن ينظرَ ويتَجَسسَ ليعرِفَ أَينَ يُخْفِى هذا الرجلُ الغريبُ نقودَه ؛ حتى إذا ذهبَ إلى فِرَاشهِ لينامَ ذهب صاحبُ المنزلِ ، وأَخَذ هذه النقودَ . هذا ما سوَّلته له نفسُه الأَمَّارةُ بالسُّوءِ ، ثم نَظرَ ورأَى الضَّيفَ وهو يضعُ صندوقاً تحتَ فَمِ الحمارِ ويقولُ « برِ كِلْبرِت » ، ورأَى الصّندوقَ قد مُلِئَ ذهباً ، فقال فى نفسه ، هذه طريقةٌ جديدةٌ للحصول عَلَى النقود ، وفكَّرَ فى أَخْذ هذا الحمار الغريبِ ، ولم يُفكِّرْ فى الأَمانةِ وواجبِ الضِّيافة ، ولم يُفكِّرْ فى العقابِ الذى ينتظِرُه .

وقَدْ رجَع مصطفى إلى حجرة الجلوسِ ، وأَعطَى صاحبَ المنزلِ ما شاءَ من النقود أَضعافاً مُضاعَفةً ، ثم ذهبَ إلى فِرَاشِه وَنامْ ، فَانتهز صاحبُ المنزل الفرصةَ ،

وخرجَ إلى الْحظيرةِ ، وأَخذَ الحمارَ الغريبَ ، وأَحضر حِمارًا آخرَ يشبهه فى لوْنِه وَشَكله ، ووضَعهُ فى مكانه ، ولم يفكِّرْ فى أَنَّ هذا غِشٌّ وخيانة وَتَضْليلٌ .

وَفى الصباحِ أَخذ مصطفى الحمارَ ، ولم يُدْرِكْ أَن حِمارَهُ قد غُيِّر وبُدِّلَ ، وأَن صاحبَ المنزلِ قد خانَه وَغَشَّه وَهوَ نائمٌ ، واستمرَّ فى طريقه حتى وَصل إلى منزلِ أَبيه ظُهرًا ، فسُرَّ أَبوه برُؤْيتهِ سرورًا جمًّا بعد هذا الغيابِ الطويل ، ورحب به ترحيب الآباءِ بالأَبناءِ ، وسأَله : ماذا كنتَ تفعلُ يا بُنَىَّ هذه المدةَ الطويلة ؟

فأَجابه : كنتُ أَعمَلُ يا أَبى عند رَجلٍ حوذىٍّ ، لدَيه كثيرٌ من الحمير والعَجَلات (العَربات) .

فسأَله : وماذا أَحضرتَ معك من سَفرك .

فأَجاب مصطَفى : أَحضرتُ حمارًا عجيباً .

فقال الأَبُ : لو أَحْضرتَ بقرةً لكانتْ خيْرًا منَ الحِمار .

فقالَ مصطفى : هذا حَقٌّ يا أَبى ، ولكن هذا حِمارٌ ثَمين لا يُقَدَّرُ بثَمنٍ ، نِلْتُه مُكافأَةً من الْحوذىِّ لإخلاصى فى عملى لدَيْه ، وإذا وَضعتُ تحتَ فمِه صندوقاً فارغاً وقلتُ : « برِ كلْبرِت » كان كلامُه من ذهبٍ ، ومُلِئَ الصُّندوقُ ذهباً ، فادْعُ جميعَ أَصدقائك لزيارتنا حتى أُعطِيهم من الذهب ما يشاءُون .

فَدَعا الأَبُ أَصدقاءَه كلَّهم ، ثم أَحضَرَ مصطفى الحمارَ ، ووقفَ أَمامهم ، وَخاطَبهم بقوله : انظروا أَيها السَّادةُ ، سأَقولُ : « برِ كلْبرِت » وَسيتكلَّمُ الحمارُ ذهباً ، وسيُمْلأُ هذا الصندوقُ ذهباً إذا وَضعتُه تَحت فَمِه ، ولكنَّ الذهبَ لم يتساقَطْ من فَمِه كما اعتاد ، بل نَهقَ نهيقَ الْحميرِ ، وكان حِمارًا عاديًّا لاغرابة فيه ، ولا شَىء يَدْعو إلى العَجَب ، فخَجِلَ مصطفى كلَّ الخجل ، ولم يَدْرِ ماذا يقولُ وماذا يفعلُ أَمام أَصدقاءِ أَبيه ، وأَدركَ أَن حمارَه الثَّمين قد غُيِّرَ وبدِّلَ وهو نائِمٌ فى بَيت الرجُلِ

الخائن ، ثم خرَج من بيت أبيه وهو فى غاية الخجل ، ورَجع ليَعْمَلَ ويَكْسِبَ عَيْشَه بِعَرَقِ جَبِينِه كما كان .

كتَب أَحمدُ ومصطفى إلى أَخيهما كمال ، وأَخبرَه كلٌّ منهما بما حدثَ له ، وذكر له أحمدُ كيفَ ضاعت منه المِنْضَدةُ الغَريبةُ ، وشرَحَ له مُصْطفى كيف أُخِذ منه الحَمارُ الغريبُ .

وكان كمالٌ مع رَجل صانع يُحضِرُ الخشبَ من الأَشجارِ ليَصْنعَ منه عِصيًّا يَبيعُها .

تَعلَّم كمالٌ صُنْعَ العِصِيِّ حتى أَجادَ هذه الصِّناعةَ ، وٱستمرَّ فى عَملِه عاماً ، ثم ٱستأْذَن صاحبَ المصنعِ فى العَودةِ إلى أَبيه لشوقه لرُؤْيتِه ، وقال صاحبُ العملِ : إِنِّى أَسمحُ لكَ بالعودَةِ إلى أَبيك يا كمالُ ، وأُقَدِّرُ فيك هذا الشعورَ . ولإِخلاصِك فى عملِك سأُعطيك هذا الصُّندوقَ هديةً لك ، وستجدُ فيه عَصًا ثمينةً .

فقال كمالٌ : أَشكرُ لك يا سيدى هٰذا العطفَ ،

وهٰذا الصُّندوقَ الجميلَ ، وأَرجو أَن تسمحَ لى بتركِ العصا ، لأَنَّ فى ٱستطاعتى أَن أَصنعَ الآن كثيرًا من العِصىِّ ، وسأَضَعُ شيئاً أَجملَ منها فى هذا الصُّندوقِ الجميل .

فقال له صانعُ العِصىِّ : إِنَّها تُرَى كأَىِّ عصاً أُخرى ، ولكنها عَصا غريبةٌ ، فإِذا ظَلمكَ أَحد ، أَو قَسا عليْك إِنسانٌ وقلتَ : « أُخْرُجى أَيَّتُها العصا من الصُّندوق » فُتح الصُّندوقُ فى الحالِ ، وقفَزَت العصا ، وَخرجَتْ منه ، وَأَخذَتْ تضرِبُ الرّجُلَ الذى قَسا عليْك أَوْ ظَلمك ، وَٱستمرَّت تَضربُه ضرباً مُبرِّحاً شَديدًا ، حتى يصيحَ وَيستغيثَ . وَتستمرُّ فى ضربه حتى تأْمُرَها وَتقولَ لها : « ٱرجِعى أَيَّتُها العصا إِلى صُندوقك » فنى الحالِ تَقِفُ الضَّرْبَ ، وَتَعودُ إِلى الصُّندوقِ كما كانت .

وَكَرَّر كمالُ الشكرَ لسيِّده على هٰذه الهدِيَّةِ الثمينة ، وَأَخذَ الصُّندوقَ فى يَده ، وَوَدَّع كلٌّ منهما

الآخرَ . وَسافرَ كمالٌ إلى بلدةِ أبيه . وَفى أَثْنَاءِ سفره لم يَخَفْ أَحدًا . وَلم يَخْشَ لِصًّا من اللُّصُوصِ . وَكان هادِئَ البال . مطمئنًّا كلَّ الاطمِئنانِ . فإذا ظَلمُه أَحَدٌ ، أَوْ تَعرَّضَ له إِنْسانٌ بالأَذى ، وقال : « أَيتُها العصا ٱخْرجى مِن الصُّندوق » خَرَجَت وَأَخَذت تضْرِبُ الظالِمَ ، وَتستَمِرُّ فى ضَرْبه حتى يأْمُرَها كمالٌ بوقْفِ الضربِ . وَالعَودةِ إلى الصُّندوقِ . .

سار كمالٌ فى طريقه . وَٱستمرَّ يمشى حتى وَصَل فى النِّهايةِ إلى منزِل الرَّجُلِ الخائن الَّذى سرَقَ المِنضدةَ الغريبة من أَخيه أَحمد ، ووَضعَ بدلًا منها مِنْضَدَةً عاديةً . وَسَرقَ الحمار الغَريبَ من أَخيه مصطفى . ووَضَع بَدَله حِمارًا عاديًّا . وَلم يَدْر كمالٌ أَنَّ هذا منزلُ الرجُل الخائن .

أَرادَ كمالٌ أَن يَقضِىَ ليلته فى هذا المنزل، فَطلَب من صاحبِهِ أَن يسمحَ له بقَضاءِ اللَّيلة فى منزِله ،

فسمح له إذا أعطاهُ أجْرًا للمَبيت ، وَثمناً للطَّعام ، فأعطاه كمالٌ ما أَراد .

وَفى أَثْنَاءِ تناوُل الطَّعام بدأَ كمال يذكرُ للرّجلِ ما رآه فى رِحلته ، وَما سَمعه فى أَثناءِ سَفره ، وَسأَله كمالٌ : أَتعرِفُ مِنضدةً إذا قُلتَ لها : «أَعِدِّى المائدة» أعدَّت فى الحال ، وَوُضِعَ عليها ما تَشْتَهى من طعامٍ وَشرابٍ ؟ وهل سمِعْتَ قصةَ الحمار الغَريبُ الّذى إذا تكلَّمَ كان كلامُه من ذهب ؛ إنِّى لا أَدْرى أيْنَ هذه المِنْضَدةُ الآن ، وَأَين هذا الحمار الغريب ؟ وَلكنِّى سمعتُ عنهما من أخى أَحْمد وأَخى مُصطفى . والمنضدةُ والحمارُ فى غاية الجمال ، ولكنَّهما ليسا أَجْملَ مِمَّا لَدَىَّ فى هٰذا الصندوقِ ؛ فَليسَ فى العالَم شىءٌ أَجملُ مِمَّا عِندى .

وَقَدْ سَمع صاحِبُ المنزِل هذا الكلامَ فَبدأَ يَسأَلُ نفسه : ماذا يُمكنُ أَن يكونَ هذا الشىءُ الجميلُ

الذى يفُوقُ المنضدة الغريبةَ ، والحمارَ الغريبَ فى الجمال؟ وسوَّلتْ له نَفسُه أَن يَغْتصبَ منه هذا الصُّندوقَ .

وَحينَما حانَ مَوْعِدُ النَّوْم ، ذَهب كمالٌ إلى الفِراش ونام ، ووضَع رأسَه فوق الصُّنْدوق ، وأقفَل عَيْنَيه ، وتظاهَرَ بالنوم ، وادَّعى أَنه نائمٌ ، وما كان نائماً ، وبعد قليلٍ حَضَر الرجُلُ الخائنُ إلى حُجرة كمال ، ثم نظَرَ إليه فظنَّ أَنه نائمٌ نوماً عميقاً ، واقترب من السَّرير ، ووضَع يدَه على الصُّندوقِ ليَأْخُذه ويَسرِقَه ، ولم يكُنْ له ضميرٌ يوبِّخُه .

وَقَدْ أَحَسَّ كمالٌ كلَّ هذا ، فهوَ لم يكنْ نائماً كما ظنَّ الرَّجُلُ الخائنُ ، وَلكنه كان منتظِرًا مَجيئه ، فى الوقتِ الَّذِى وَضَع فيه الرَّجُل يَده على الصُّندوق قال كمالٌ : «أَيتُها العصا ، اخرُجى منَ الصُّندوق» فقفزَت العَصا ، وَخرجَت من الصُّندوق فى الحالِ ، وأَخذتْ تضرب الرجلَ عَلى رأسِه ، وعلى ظَهره ، وعَلى

ذراعَيْه ضرْباً مبرِّحاً ، حتى أخذ يَسْتغيثُ ويَجرى حَوْل الْحُجْرةِ وهِيَ مستمِرَّةٌ فى ضَربه .

وَأدركَ كمالٌ أنَّ هذا منزلُ الرجُلِ الخائنِ ، وأنه هو الذى خانَ أخَويه أحمدَ ومصطَفى ، وأخذَ منهما المنضدةَ الغَريبَةَ ، والحمارَ الغريبَ .



خرجت العصا من الصندوق وأخذت تضرب الرجل الخائن ضرباً شديداً

واستمرَّت العَصا تَضربُ الرجل وتلُفُّ حَولَه ، واستمرَّ الرَّجلُ يسْتغيثُ بكمال ، وَيَسْتحلفه بالله أن يُنْقِذَهُ ويعْفُوَ عنه ، ويَغفر له خَطيئتَه .

فَقال له كمالٌ : أَعْطِنى أَوَّلا المنضدةَ الغريبَةَ أَيُّها الخائنُ ، وأعطنى الحمارَ الذى يتكَلَّمُ

ذَهباً أَيها اللِّصُّ ، وأَنا على استعدادٍ لأَنْ آمُرَ العصا أَلَّا تَضْربَك بعد هذا .

فَصَاحَ الخائنُ : إِنى مستعدٌّ يا سيِّدى أَنْ أُعْطيَك المِنضدةَ الغريبةَ ، والحمارَ الغريب .

فَقال كمالٌ : «أَيَّتها العصا ، ارجِعى إِلى الصُّندوق .

فَرَجعت العَصا إِلى الصُّندوق ، وأَحضر الخائنُ المنضدةَ الغريبة ، والحمارَ الغريب ، وقَدَّمها لكمالٍ ، واعْتذَر عن خَطئِه ، وعاهَده أَلَّا يُؤْذِىَ ضَيْفاً ، ولا يخونَ إِنساناً بعد اليوْم

وفى الصَّباحِ التَّالى تركه كمالٌ وسافَر ، وأَخذَ معه المنَضدةَ الغريبةَ ، والحمارَ الغريبَ ، والصُّندوقَ الثمينَ وسارَ فى طريقه حتى وصلَ إِلى منزلِ أَبيه . ففرح أَبوه فَرَحاً كثيراً بِعَوْدتهِ ، واستَقبلَه استقبالاً حارًّا .

وبَعد أَن استَراح سأَلَه أَبوه : ماذا كنتَ تَفْعلُ يا كمالُ فى هذه المدَّةِ ؟

فأَجاب كمالٌ : كنتُ أَقطعُ الأَشجارَ ، وأُخْضِرُ الخشبَ وأَصْنعُ منه عِصِيًّا وَأَتَّجِرُ فيها .

ثم سأَلَه أَبوه : وماذا أَحْضرتَ مَعك من سفَرِك؟

فأَجاب كمالٌ : لقد أَحضرتُ عصاً جميلةً فى صُندوق جميل

فَعَجِبَ أَبوه وقال: عَصاً جميلة ! إن فى استطاعَتِك أَن تحصُلَ على عصاً جميلةٍ من أَىِّ شجرة فى حديقتنا .

فقال كَمالٌ : هذا حَقٌّ يا أَبى . ولكنَّ هذه عصاً غَريبةٌ . عصاً لا نظيرَ لها فى العالَم ، فإِذا ظَلَمنى إنسانٌ ، أَو قسَا علىَّ أَحدٌ وقلْتُ : « أَيتُها العَصا ، اخرُجى من الصُّندوقِ » قَفَزت العصا ، وخرجت من الصُّندوق فى الحال ، وأَخذت تَضربُ الظَّالم ضرباً مُبرِّحاً شَديدًا . وإذا قلتُ لها : « أَيتُها العَصا ارْجعى إلى الصندوق » رجَعتْ فى الحال . وكان عِند أخى أَحْمد مِنْضَدةٌ غَريبةٌ ، وعِند أَخِى

مُصطفى حِمارٌ غَريبٌ إذا تكلَّم كان كلامُه مِن ذَهب ، فَسرقَهُما لصٌّ نزَلا عنْدَه فى أَثناءِ عودَتِهما من السَّفَر . وبمساعدةِ هذه العصا أخذتُ المِنضَدَة الغريبةَ ، والحمارَ الغريبَ مِنْ هذا الرجل الخائِنِ بعد أَن عوقبَ عقاباً شديدًا على خِيانتهِ ، ووَعدنى أَلَّا يَعودَ إلى خيانته . والآن أَرجو يا أَبى أَن تُرسلَ إلى أَخَوىَّ ، وتَطلُبَ منهما الرُّجوعَ إلى المنزِل ، وتدعُوَ جميع أَصدقائِك لتُقدِّمَ لهم من الطعامِ ما يشاءُو ، ومن المال ما يُريدون ، وليَروا المِنضدَة الغريبةَ ،والحمارَالغريب ،والعَصا الغريبة .

لهذا رجع أَحمدُ وَمصطفى إلى بيتهما ، وَتسلَّم أَحمدُ مِنضدَتَه الغريبةَ ، وتسلَّم مصطفى حِمَارَه الغريبَ وعرف كلٌّ منهما ما عوقبَ به الرجلُ الخائن ، ودعا الأَبُ جميع أَصدقائِه ، وأُحضِرَت المِنضدَةُ الغريبة ، وَقيل لها : « أَعِدّى المائدةَ » فأُعدَّت المائدةُ ، وعليها ما لذَّ من الطعامِ والشَّرابِ ، وأَكلَ الضيوفُ هنيئاً مَريئاً ،

ثم أُحضِرَ الحمارُ الغريبُ ووُضِعَ تحت فمِهِ صُندوقٌ فارغٌ ، فقال له مصطفى : «برِ كلبرِتْ» فأخذ الحمارُ يتكلَّم ويسقُطُ الذَّهبُ من فمِهِ حتى مُلِئَ الصُّندوقُ ذَهباً ، وأخذ المدعوُّون جميعاً ما أرادوا من الذَّهب ، وَعاشَ الأَبُ وأبناؤُه الثلاثةُ وَأهلُ قَريتهِم سُعداءَ إلى الأَبد .

والآن رُبما تُريدُ أن تَعرِفَ ماذا حدثَ للبقرةِ الكاذبة؟

إنَّ البقرةَ كانت غيرَ صادقة تُنكِرُ الجميلَ ، لا تقولُ الصِّدقَ ، ولا تَشْعُرُ بجميلٍ أحدٍ ، ولا تَشكُرُ لإنسان إحسانَه إليها ، فطردَها صاحبُها بعد أن كذَبتْ على أَبنائه الثلاثةِ ، وكانت السببَ فى تعذيبهم وإيذائهم ، وكذبتْ عليه فى النِّهايةِ ، فعَرَفَ أَنَّها لا تستحِقُّ الإكرامَ ، فأخذَها إلى مكانٍ بعيد وتركَها ، حتى ضلَّت الطريقَ ، وتمنّت المَوت ، وَحَصَلَت على ما تمنته ، وماتت فى الغابة .

أسئلة فى القصة :

(١) لماذا اعتنى الأب بإطعام بقرته ؟

(٢) هل أهمل أحمد فى إطعامها ؟

(٣) هل أهمل مصطفى أو كمال فى إطعامها ؟

(٤) بماذا تصف هذه البقرة ؟

(٥) كيف عرف الأب أن البقرة كاذبة ؟

(٦) بماذا عوقبت البقرة على كذبها ؟

(٧) ماذا فعل أحمد بعد أن طرده أبوه من المنزل ؟

(٨) ماذا تعلم مصطفى بعد أن ترك أباه ؟

(٩) ما الذى تعلمه كمال فى السنة التى غاب فيها عن المنزل ؟

(١٠) صف المنضدة العجيبة .

(١١) صف الحمار العجيب .

(١٢) كيف رجعت المنضدة العجيبة إلى أحمد ؟

(١٣) كيف أعيد الحمار العجيب إلى مصطفى ؟

(١٤) كيف عاشت الأسرة بعد رجوع كمال ؟

(١٥) اذكر هذه القصة بعبارة من عندك ؟

(١٦) اختصر هذه القصة ، واكتبها بعبارة صحيحة .

(١٧) ضع عنواناً آخر لهذه القصة .

(١٨) اكتب ستة أسطر عن الأشياء التى أعجبت بها فى هذه القصة .

القِصَّة الثانِيَة

الأَبُ العاقِلُ

كان لرَجل ولدٌ يُحبُّ اللعِبَ حُبًّا كَثيرًا ، ويكْرَهُ العملَ كُرْهاً شديدًا ، وكانتْ أُمُّ ذلك الولدِ تُخفى عن زوجِها حالَ ابنه الكَسلانِ ، وهى تفتكِرُ جهلًا منها أن ذلك من الشَّفقةِ على ولدِها .

وذاتَ يومٍ سألَ الرَّجلُ عن ابنهِ ، فوجدهُ يُضَيِّعُ وقتَهُ كلَّ يومٍ فى اللعبِ الكثيرِ ، فأَرسلهُ إلى نجَّارٍ ؛ ليشتغِلَ فى دكانه ، واتفق النَّجارُ على أَن يعطىَ الولدَ قرشاً فى اليومِ أجرًا له ، ولكنّ الولدَ كان يخرُجُ فى الصباحِ مُظهِرًا أَمامَ والدِه أَنه يذهبُ إلى دكانِ مُعلِّمِه النجارِ ، وكان يَقضِى يومَه فى اللعبِ والكَسلِ ، فإذا انتهى اليومُ وغَرَبتِ الشمسُ ذهبَ إلى أُمِّه ، لتُعطيَه

قرشاً من عندها ليُسَلِّمَه إلى أبيه .

وقَدْ كان الأَبُ يأْخذُ القِرْشَ ، ويرميه بعيدًا فى الطريق : لأَنه عَرَفَ بذكائهِ أَنَّ زَوْجَه هى التى كانت تُعطِى ابنَها القِرشَ شفقةً عليه ، وحُبًّا لراحتِه، ولَمَّا نفِدَتْ نقودُ الأُمِّ قالت لابنِها : أَرْجو يا بُنَىّ أَن تذهبَ اليومَ إلى دكانِ مُعلِّمِك ؛ لأَنه لم يبق عندى قُرُوشٌ أُعطيك منها قِرْشَك اليومىَّ ، فذهب الولدُ كما طَلبَت منه أُمُّه ؛ ورجعَ فى آخِرِ النهار ومعهُ القِرْشُ الذى اشتغلَ به ، فأَخذهُ منه والدُه ، وأَراد أَن يَرميَه كعادتِه ، فَصرخَ الولدُ وأَمْسَك بيدِ أبيه ، وقال : لا تفعَلْ يا أَبى ؛ فإِنِّى كَسَبتُ هذا القِرشَ اليومَ بتَعبِى وشُغلِى الذى اشتغلتُه طول النهارِ ، فلا يَهونُ علىّ أَن يَضِيعَ كما ضاعَ غيرُه من القُروش ، التى كُنت آخذُها من أُمِّى فى الأَيامِ الماضيةِ .

وَعَرَفَ الأَبُ أَن ابنَه أَحضَرَ هذا القِرْشَ باجتهادِهِ



الأب يحاول أن يرمى القرش وابنه يمنعه

وشغلِه . وأنه صارَ وَلدًا مُجتَهِدًا ، وَترَكَ اللعِبَ والكسلَ ، فَسُرَّ وَانبَسَط كثيرًا ، ثم اجتَهد الولدُ فى صَنعتِه ، وأتقنَها إتقاناً عظيماً ، فنجَحَ نجاحًا باهرًا بفَضْلِ اجتهاده وَاستقامتِه ، حتى أَصبح زُملاؤُه يستعجِبون كيفَ صار هذا الكسلانُ صانعاً نشيطاً نافعاً لوطَنِه وبلادِه .

أسئلة فى القصة :

(١) ماذا كان يحب الابن ؟

(٢) لماذا كانت الأم تخفى حال ابنها الكسلان عن أبيه ؟

(٣) كيف كان يضيع الابن وقته ؟

(٤) على أى شىء اتفق النجار مع العامل ؟

(٥) ماذا كان يفعل الابن بعد أن تغرب الشمس ؟

(٦) أين كان يرمى الأب القرش ؟ وما السبب ؟

(٧) ماذا قالت الأم لابنها بعد أن نفدت نقودها ؟

(٨) لماذا صرخ الابن ؟ وماذا قال لأبيه ؟

(٩) ما الذى عرفه الأب ؟ وبماذا كان يشعر ؟

(١٠) ماذا أصبح الابن الكسلان ؟

(١١) ما السبب الذى جعل الابن الكسلان صانعاً نشيطاً ؟

(١٢) بأى شىء تصف الأم ؟ وبأى شىء تصف الأب ؟

(١٣) اذكر هذه القصة بعبارة سهلة من عندك .

(١٤) اختصر هذه القصة . واكتبها بعبارة صحيحة .

(١٥) ضع عنواناً آخر لهذه القصة .

القِصَّةُ الثَّالِثَة

الأَمير حسَنٌ

كان فيما مضى من الزَّمانِ مَلِكٌ يُحبُّ الصيدَ فى الصحارَى والجبالِ ، خرجَ فى يومٍ من الأَيامِ ، فرأَى غزالةً جميلةَ الشكلِ تجرى بينَ الرِّمال ، فَجَرَى وراءَها بِحصَانِه السريعِ الْجَرْىِ حتى اصطادَها . ولقد دَهِشَ المِلكُ دَهشةً عظيمةً عندما وجدَ الغزالةَ قد صارتْ فتاةً جميلةً من أَجملِ الفَتَيَاتِ فتزَوَّجَها ، وأَحبَّها حُبًّا شديدًا أَنساهُ زوجَهُ الأُولى . وبعدَ أَيامٍ وأَشهرٍ وَضَعت زوْجُه الأُولَى طِفلاً حَسَنَ الصورة ، سمَّتهُ الأَميرَ حَسَناً ، وكان هذا الطِّفلُ يكبَرُ بسُرْعةٍ غريبةٍ ، وينمُو ويزدادُ عقْلُه كلَّ يومٍ .

وفى يومٍ من الأَيامِ دخلَ الأَميرُ الصغيرُ على أُمِّه ، فوَجَدها حَزينةً باكيةً ، فسأَلها عن حالِها وسبب

بُكائِها ، فأَخبرتْهُ بأَنَّ وَالِدَهُ الملِك قد نَسِيهَا وَشُغِلَ عنها بالملِكةِ الجَديدةِ ، التى أَصبحَتْ صاحبةَ الأَمرِ وَالسُّلطانِ فى القَصر ، فتأَلَّمَ الأَميرُ حَسَنٌ ، وَعزَمَ فى نَفْسِه على مساعدةِ أُمِّه. وَكانَ الْخَدمُ والطُّهاةُ فى قَصْرِ الملك يُحبُّون الأَمير الصَّغير ويحترِمُونَه وَيَخافونَهُ لِشجاعَته ، فأَمر الطَّباخِين يوماً بأَنْ يُعدُّوا الطَّعامَ ، وَيُرْسلوه كلهُ إلى وَالِدَتِه ، فأَطاعُوا أَمْرَه. وَلما جاءَ وَقْتُ الغداءِ لم تَجد الملِكةُ الجديدةُ شيئاً فى حُجرةِ الأَكل الواسعةِ ، فتأَلمتْ وَاشْتدَّ غضبُها على الطَّباخين ، وَأَحْضَرتْ رئيسَهُم ، وَصارتْ تُوَبِّخه ، فحكى لها ما حَصَلَ مِن الأَمير حَسَنٍ ، فازْدادت الملِكةُ غضباً على غَضب ، وَمِنْ ذلكَ الوقتِ صمَّمَتْ فى نَفْسها على إبعاد هذا الأَمير الشُّجاع عن قصرِ أَبيه ، فَتظاهرتْ بالمرض ، وَنامتْ فى السَّرير ، وَعنْدما جاءَ الملِكُ وَجَدَها نائمةً ، فحزن لمرضها ، فقالت لهُ : إنَّ الأَطبَّاءَ وَصفوا

لى كبدَ الحصان المسْحور ، الذى يعيشُ فى بلاد الغِيلان ، فتحيَّرَ الملِكُ ؛ لأَنَّه يَعْلَمُ أَنَّه لا يَسْتطيعُ رجُلٌ مِنْ رِجالِه أَن يذْهَبِ إِلى بلاد الغِيلان المخيفةِ

وفى أَثناءِ ذلكَ مرَّ الأَميرُ حَسَنٌ بوالده الملك ، فوَجدَه مشغُولًا بالتفكير ، فَعزَّ عليه أَنْ يَرى والِدَهُ متحيِّرًا فى أمره ، وكان الأَميرُ مُحِبًّا للفُرُوسيَّة والشَّجاعة ميَّالًا للمخاطرات والرحلات البعيدة ، فَقبِلَ أَن يذْهبَ إِلى تلكَ البلاد إِطاعةً لأَبيه ، وحُبًّا منهُ لتلْكَ الرِّحلة المخيفة الَّتى كان يتمناها .

سافر الأَميرُ حَسنٌ بينَ عَويل أُمِّه وبكائها ؛ لأَنه وحيدُها ، وتَخافُ عَليهِ من الغيلان ، وهو الذى يَحْميها ويُدافعُ عنها فى قَصْر أَبيه ، وأَمَّا الملكةُ الجديدةُ فقد امتلأَ قلبُها بالفَرَحِ والسُّرور ؛ لأَنَّ عدوَّها العنيدَ قَدْ أَخلَى لها الطريقَ .

رَكِبَ الأَميرُ جوادًا سريعاً ، واستمرَّ يسيرُ أَياماً

وَلَيالىَ طويلةً ، وفى أثناءِ سَيره مَرَّ على غُول كبير ، فبدأه الأَمير بالسلام ، فأَجابَ الغُول : «لَوْلَا سَلَامُكَ غَلَبَ كلاَمَكَ ، لأَكلْتُ لَحْمَكَ قَبْلَ عِظَامِكَ».

فقال الأَميرُ حَسنٌ : أَيُّها الغُول أَرْجو أَن تدلَّنى على مكان الحصان الْمسحُور

فقالَ الغُولُ : ارجعْ إِلى بِلادك أَيُّها الأَميرُ ، فإِنَّ زَوْج أَبيكَ تُريدُ لَكَ الموتَ فى أَرضنا الَّتى لا يسلَم فيها إِنسانٌ . وإِنْ كُنتَ لا تُحِبُّ إِلَّا الْمخَاطرةَ بِنفسكَ فأَمامك فى الطَّريق أَخى الكبير ، بيْنى وبيْنهُ سفرُ يَوْمٍ واحدٍ ، وهو يَدُلُّك على ما تُريدُ فسارَ الأَمير حَسنٌ يَوْماً كاملًا ، ثُمَّ شاهدَ على بُعدٍ غُبَارًا يملأُ الفضاءَ الواسعَ ، فخاف أَشدَّ الخوف ، وملأَ قَلْبَهُ الرُّعْبُ ، ولكنَّهُ تشجَّع حتى انكشفَ الغُبارُ ، فظهر غولٌ عظيمُ الجسم ، مَنْظرُه مُخيفٌ جدًّا ، فَبَدَأَهُ الأَمير بالسلام ، قائلاً لهُ : إِنَّ أَخاكَ يُسَلِّم عَليكَ ،

ويُوصيكَ بأَنْ تَدُلَّنى على الْحِصان المسحور .

فقال الغُولُ الكبيرُ : إكراماً لأَخى أَيُّها الأَميرُ الشابُّ فإنِّى أُعطيك هذه العَصا المسحورةَ التى تَحفظُك من كلِّ مَكْروهٍ فى هذه الأَرض المملوءَةِ بالحيواناتِ المتوحِّشة ، فإذا سِرْتَ يوماً كاملًا فاضرِبْ بها الأَرضَ ، يَخرُجْ لك الحِصانُ المسحورُ. ففعلَ الأَميرُ حَسنٌ كما أَمرَهُ الغولُ الكبير ، ثمَّ رجَع إلى وطَنه ، ومَعه حِصانٌ عجيبُ الشكلِ ، جميلُ المنظَر ، هو الْحِصانُ المسحورُ الذى لا يأْتى به إلَّا أَعظمُ الشُّجعان . وعندما رآه أَهلُ المدينةِ فرِحوا أَشدَّ الفرَح ، وأَقاموا الزِّيناتِ فَرحاً برجُوعِ أَميرِهم الشجاع ، كما فرِحتْ أُمُّه فَرحاً لا يُوصَف ، أَمَّا الملِكةُ الجديدةُ فقدِ اغتمَّتْ وحزِنتْ ، وأَما الملِكُ فقد زاد حُبُّه لابنه الأَمير ؛ لشجاعتِه الزائدةِ وذكائهِ الكثيرِ ، وتنازَلَ عن المُلْكِ لابنه ، فصارَ الأَميرُ حَسَنٌ مَلِكاً محبوباً ، عظيمَ المنزلةِ ، ثُمَّ عَفا عن

زَوْجِ أَبيه ، وعاملَها مُعامَلةً حَسَنةً تَدُلُّ على نُبْلِه وكَرَمِ أَخلاقِه .

أسئلة فى القصة :

(١) ماذا رأى الملك وهو يصطاد ؟
(٢) لماذا دهش الملك دهشة عظيمة ؟
(٣) لماذا نسى الملك حب زوجته الأولى ؟
(٤) صف الغلام الذى وضعته زوج الملك الأولى ؟
(٥) كيف وجد الغلام أمه عندما دخل عليها ؟
(٦) ما الذى عزم عليه الأمير فى نفسه ؟
(٧) كيف كانت منزلة الأمير الصغير فى قصر أبيه ؟
(٨) لماذا أحضرت الملكة الجديدة رئيس الطباخين ووبخته ؟
(٩) ما الذى صممت عليه الملكة ؟
(١٠) أين يعيش الحصان المسحور ؟
(١١) لماذا كان الملك مشغولا متحيراً ؟
(١٢) ما الذى كان يحبه الأمير الصغير ؟
(١٣) لماذا كانت أم الأمير حسن تبكى ؟
(١٤) اذكر ما جرى بين الأمير حسن والغول الأول .
(١٥) كيف صار الأمير حسن ملكاً على مدينة أبيه ؟
(١٦) كيف عامل الملك (حسن) زوج أبيه ؟
(١٧) ما الصفات الحسنة التى تتعلمها من هذه القصة ؟
(١٨) اذكر هذه القصة بعبارة سهلة من عندك .
(١٩) اختصر هذه القصة ، واكتبها بعبارة صحيحة .

فهرس الكتاب

الكنز المفقود

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه، ديوبند، يوپى

بسم الله الرحمن الرحيم

القصة الأولى

الكنزُ المفقودُ

كانت هُناك قِطَّةٌ ضالَّةٌ بَيضاءُ ، ليْست ملكاً لأَحَد . وَلا أحدَ يُريدُ أَن يجعَلها فى بَيتِهِ . وَكانتْ تَعيشُ فى الطُّرُق ، وَتأْكُلُ ما تجِدُهُ مِنَ الْفَضَلاتِ ، فى سِلالِ الْمُهمَلاتِ ، هُنَا وَهُناك .

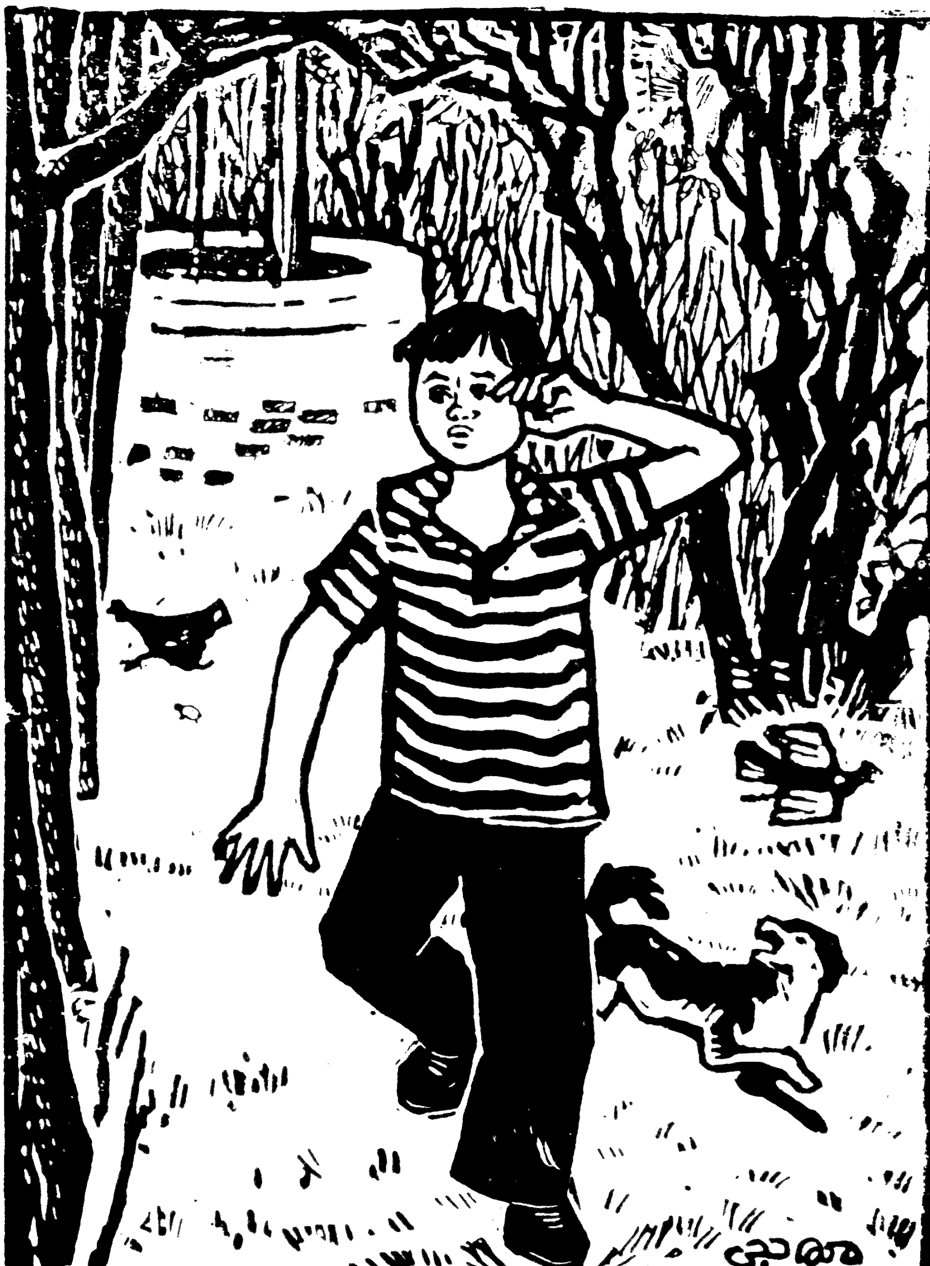
رَأَى رَءُوفٌ هذهِ الْقِطَّةَ ، وَهُوَ غُلامٌ سِنُّهُ عَشْرُ سَنوَاتٍ ، فأُعجبَ بِها ، وَأَرادَ أَن يَأْخُذَها ويَقْتَنِيَها لِنفسِهِ ، وَرَجا أُمَّهُ أَن تسمحَ لهُ بِاقْتِنائِها فى الْبَيتِ فعارَضتْهُ فى فِكْرَتِهِ ، وَلمْ ترْضَ بتحْقِيقِ رَغْبَتِهِ ، وَقالت لهُ : « يَستَحِيلُ أَن تدخُلَ هٰذِهِ الْقِطَّةُ بيتَنا ؛

فهِىَ قِطَّةٌ ضالَّةٌ مِن قِططِ الشَّوارعِ ، ولَيْسَ عِندِى وَقتٌ لِلتَّفْكير فى قِطَّة شارِدَة . وَإنَّ عِندِى مِن الْعمَلِ ما يكفِينى . ويَحتاجُ أَخوك الصَّغيرُ إلَى كثيرٍ مِن الْعِنايَةِ ، وَهُوَ يأْخُذُ مُعظم وَقْتى يارَءُوفُ » .

لِهذا عاشت الْقِطَّةُ وحدَها فى الشَّارِع ، وَكانت تلعبُ وَحدَها ، إلا إذا رَآها رَءُوفٌ ، وَأَرادأَن يَلْعَبَ مَعَها ؛ لأَنَّهُ كان يُحِبُّ هٰذِهِ الْقِطَّةَ الْبَيضاءَ ، وَيُحِبُّ أَن يَلعَبَ مَعَها كثيرًا ، ويَقضِىَ بِجانِبِها وقتاً طويلاً .

وَكان رَءُوفٌ يَعيشُ مَعَ أُسرَتِهِ فى بَيت قديمٍ ، هُو بَيتُ جَدِّ أَبيهِ ، لهُ حَديقةٌ صَغيرةٌ فى مَدْخلِهِ ، وَحَديقةٌ كبيرَةٌ وَراءَهُ ، تُزْرَعُ فِيها بَعضُ الأَشجار وَالْخُضرِ . وتُرْوى بِالدَّلْوِمِنْ بِئرٍ مَبْنِيَّةٍ بِالطُّوبِ الأَحمَرِ ، مَحفورَة فى الْحَديقةِ ، كُلَّما عَطِشَت وَاحتاجتْ إلَى الْماءِ ، وَكانت هٰذِهِ الْبئرُ لا تُسْتعْمَلُ إلاَّ فى إرْواءِ الْحَديقةِ . يُرويها الْبُستانىُّ حِينما تحتاجُ إلَى الرَّىِّ .

وَكان فى الْبَيتِ صَنابِيرُ (حَنفِيَّات) تُستعْمَلُ مِياهُها



القطة تنظر إلى رءوف ليأخذها معه

لِلشُّربِ وَالْغسْلِ وَالاِستِحمامِ . وَكانت أُمُّ رَءُوفٍ تُحَذِّرُهُ دائِماً اللَّعِبَ عِندَ الْبِئرِ ، وَتمنعُهُ أَن يَقترِبَ مِنْها ؛ خوْفاً مِنْ أَن يَقعَ فِيها ، وَيَغرَقَ .

وَكثيراً ما كانتِ الْقِطَّةُ تأْتى عِندَ الْبِئْرِ ، وَتجلِسُ هُنَاك فى شمسِ الشِّتاءِ مُدَّةً طويلةً ، لِتُدَفِّئَ نَفسَها ، وَتتمَتَّعَ بِحَمامِ الشَّمسِ . وَكان رَءُوفٌ إِذا رَآهَا عِندَ الْبِئْرِ طرَدَهَا بَعيداً ، وَقال لها : ابْتعِدِى عَنِ الْبِئرِ ؛ لِئلاَّ تقعى فِيها وَتغرَقى .

وفى يومٍ مِنَ الأَيام ذهَبَتِ الْقِطَّةُ إِلَى الْبِئرِ ، وَأَخذتْ تلعَبُ هُناك عِندَ السُّور ، فوَقعَتْ فى الْبِئرِ ، وَهى بِئرٌ عَمِيقةٌ مُظلِمةٌ ، ماؤُها بارِدٌ فى الشِّتاءِ . وَقد حاوَلتِ الْقِطَّةُ أَن تتسَلَّقَ الْحائِط ، وتخرُجَ مِنَ الْبِئرِ ، فلمْ تقدِرْ . اسْتمَرَّتْ تضرِبُ بِأَرجُلِها وَكُفوفِها ، وَتُحاوِلُ أَنْ تعومَ وَتسبَحَ فى ناحِيَةٍ مِنَ الْبِئرِ ، لِتطلعَ مِنها فلمْ تَستطِعْ .

خافتِ الْقِطَّةُ الْبَيضاءُ أَن تغرَقَ ، وَاشْتدَّ خوفُها



ابتعدي عن البئر لئلا تقعي فيه وتغرق.

فأخذتْ تموءُ بصَوْت عال : (نِوْ ، نِوْ ، مِيَاوْ ، مِيَاوْ).

سَمِع رَءُوفٌ ـ وَهُوَ يَلعَبُ فى الْحَديقةِ الصَّغيرَةِ أَمامَ الْبَيتِ ـ الْقِطَّة وَهِىَ تموءُ : نِوْ ، نِوْ ، بصَوْتٍ مرتَفِعٍ ، فجَرَى ، وَذهَب إِلَى الْحَديقةِ الْخلْفِيَّةِ ، وَأَخذ يَبحَثُ عَنْها فى كُلِّ مَكان بالْحَديقةِ بَيْنَ الأَشجارِ وَالنَّباتاتِ ، فلمْ يجِدْ لها أَثرًا . اسْتمَرَّت الْقِطَّةُ تموءُ بِصوْت غَرِيب عميق : نِوْ ، نِوْ ، نِوْ . وَقدسَمِعَ رَءُوفٌ هذا الصَّوت ، فتحَيَّرَ ، وَسَأَلَ نفسَهُ : أَين هِىَ ؟ وحدَثتْهُ نفسُهُ أَنَّ الْقِطَّة وَقعَتْ فى الْبِئر .

جَرَى رَءُوفٌ إِلَى البِئْرِ ، وَنظرَ فِيها ، فرَأَى الْقِطَّةَ الْبَيضاءَ الْمسكينة ، وَرأَتهُ الْقِطَّةُ . واسْتمَرَّتْ تموءُ بصَوت مُحْزِن مُؤْلِم : نِوْ ، نِوْ ، مِيَاوْ ، مِيَاوْ . وَوَجَدَها مُتعلِّقةً بِأَظْفارِهَا فى حِجارَةٍ زَلِقة بِحائِطِ الْبِئرِ ، قابِضةً عَلَى الحِجارَة ، مُمسكةً بها .

فزعَقَ رَءُوفٌ مُتأَلِّمًا ، وَقالَ : مِسكينةٌ أَيَّتُها الْقِطَّةُ الصَّغيرةُ . انْتظِرى قليلاً ؛ حَتَّى أَجِدَ مَن

يُساعِدُنى فى إخراجِكِ وَإنْقاذِكِ مِن الْبِئْرِ . وَسَأحضُرُ سَريعاً جِدًّا

ذهَب رَءُوفُ إلَى الْبيتِ وَهُو يَجْرى ؛ لِيبْحَثَ عَن أُمِّهِ ، وَيَطلُبَ مِنْها الْمُساعَدَةَ فى إنقاذِ الْقِطَّةِ الْمِسكينةِ مِنَ الْغرق ، فلمْ يَجِدْهَا . وَوَجَدَ أَنَّها خرَجَتْ بِأَخيهِ الصَّغيرِ عُمَرَ . فاتَّجَهَ إلَى عُمَّال يَشتغِلونَ بإصلاحِ الطَّريقِ ، بِالْقُربِ مِنَ الْبَيتِ . وَسَأَلَهُم : هَلْ تَسمَحونَ بالْمَجىء مَعى لِمُساعَدتى فى إخْراجِ قِطَّة صغيرَة مِسكينَةٍ . وَقعْت فى بئرِ الْحديقَةِ ، وَأَخافُ أن تَغرَقَ إذا تَرَكْنَاهَا ولَمْ نَذهَبْ لإنْقاذِها . وَقَد عجَزَتْ عَن الطُّلُوعِ وَحْدَها ؟

فَأَجابَهُ أَحدُهُمْ : اتْرُكْها لِتَغرقَ . فَإنَّ علينا أَعمَالاً يَجِبُ أَنْ نَنتَهِىَ منْها الْيَومِ . وَسَننالُ أَجرًا أَكثَرَ مِنَ الأَجرِ الْمُعْتادِ ، إذَا انْتهَيْنا مِنَ العَمل فى الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ . وَلا يُمكِنُنَا وَقْفُ عمَلِنا مِنْ أَجلِ أَىِّ قِطَّةٍ مِنَ الْقِطَطِ .

فَنَزَلَتِ الدُّموعُ مِنْ عَيْنَىْ رَءُوف ، وَاعْتَرَض قائِلاً : وَلٰكِنَّ إنقاذَهَا لَنْ يَحتاجَ مِنكُم لِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِ دَقائِقَ .

فَرَدَّ عَلَيهِ عامِلٌ آخَرُ ، وَقال لَهُ اذْهَبْ وَأَخرِجْها أَنت بنفسِك .

وَقال ثالثٌ : ابْتعِدْ عنَّا ، وَلا تُعَطِّلْنا ؛ فإِنَّنا لايُمكِنُنا أَن نترُكَ عَملَنا ، لِأَىِّ سَببٍ مِنَ الأَسبابِ .

تركَهُمْ رَءُوفٌ ، وهُوَ مُتأَلِّمٌ كُلَّ الأَلم مِنْ إجابَتِهم ، وَرَفْضِهِم الْمُساعَدَةَ ، ثُمَّ نظرَ ، فوَجَدَ ساعىَ الْبَريدِ آتِياً فى الطَّريقِ ، فجَرَى إِليْهِ ، وَأَخبَرَهُ بأَمْرِ الْقِطَّةِ ، وَرَجاهُ أَن يُساعِدَهُ فى إِخْراجِها مِنَ الْبئْرِ ؛ كَىْ لا تغْرَقَ .

فقال لهُ ساعِى الْبَريدِ : سَآتى لِمُساعَدَتِك حِينما أَنْتهِى مِنْ تَسليم الرَّسائِلِ الَّتى مَعِى لِأَصحابِها . وَلا يُمكِنُنى أَن أَجِىءَ مَعَك الآن قبل أَن أَنتهِىَ مِنْ عَمَلِى الرَّسمِىِّ ، وَسَأُعاقب إذا تركتُ عَمَلِى وذهَبْتُ مَعَك .

فصاحَ رءُوفٌ : لكِنَّ الْقِطَّةَ الْمِسكينَةَ ستغرقُ إذا انْتظرْنا حتَّى تُسلِّمَ ما معَكَ مِن الرَّسائِلِ ، وتنتهى مِن عملِكَ . وإنَّ مِنَ الْقسْوةِ ألَّا تأْتِىَ معى فى الْحالِ لإنْقاذِ حياتِها مِنَ الْغرَقِ .

فقالَ الساعى بِشِدَّةٍ : إنَّنى لن آتِىَ مُطلقاً مادُمْتَ تُكلِّمُنى بِهٰذِهِ الطَّريقةِ . ولا يُمكِنُنى أنْ أفْهَمَ لُغةَ أطفالِ الْيوْمِ ومُعاملَتَهُمْ . وسارَ ساعِى الْبَريدِ فى طريقِهِ ، وأنفُهُ فى السَّماءِ ، وذهبَ إلى حالِهِ .

حارَ رءُوفٌ فى أمْرِهِ ، ينْظُرُ حولَهُ ، وينْظُرُ أمامَهُ وخلفَهُ ؛ لِيبْحَثَ عن أحَدٍ يُساعِدُهُ فى إنقاذِ الْقِطَّةِ الْمِسكينةِ مِنَ الْغرَقِ ، فلم يرَ أحدًا أمامه ، ولمْ يجِدْ أحدًا وراءَهُ ، فرجَعَ إلى الْبِئْرِ يجرِى ، وهُوَ مُضطرِبٌ حزينٌ ؛ ليرَى ما تمَّ لِلْقِطَّةِ . فوجدَهَا مُتعلِّقةً بِالْحِجارَةِ الزَّلِقةِ ، تَعوِى وتموءُ بصَوْتٍ مُحزِنٍ ، وتنظُرُ إليْهِ نظرةً كُلُّها اسْتِعطافٌ ورَجاءٌ . نظْرَةً لمْ يُمكِنْهُ احْتِمالُها . فعزمَ على أنْ يُنقِذَها

بِنفْسِهِ ، وقالَ لها : سَأَذهبُ لأُحضِرَ السُّلَّمَ الْقديمَ الَّذى عِندَنا حالاً ، ولَن يَحتاجَ ذلِكَ إلَى وَقت طَويلٍ . وَسأنزِلُ الْبِئرَ بنفسِى لأُنْقِذَكِ ، ولَنْ أُبالِىَ ما يَحدُثُ لِى ، أَيَّتُها الْقِطَّةُ الضَّعيفةُ .

جَرَى رَءُوفٌ ودَخلَ الْبَيت ، وَأَحْضرَ السُّلَّمَ ، وَهوَ سُلَّمٌ قديمٌ ، فى أَسفلِهِ دَرَجتان ضَائِعتان مِنهُ . وَقد شدَّهُ بِصُعوبَة ؛ حَتى وَصَلَ بِهِ إلَى الْبِئرِ فى الْحديقةِ . وَأَخذ يُحاولُ بكُلِّ جُهْدٍ حَتَّى أَنزلهُ فى الْبئرِ . مِن جِهةٍ سَليمَة بَعيدة عَنِ الْخطرِ وتمَكَّنَ رَءُوفٌ مِن إنْزالِهِ بمَهارَة ، بَعدَ أَن بَذلَ مَجهودًا كبيرًا ، فأَحدث رَشًّا مِنَ الْماءِ . وَفى اسْتِطاعَةِ الإنسانِ أَنْ يَنْجَحَ فى أَىِّ عَمَل ، إذا حاوَلَ واجْتَهدَ ، وبَذلَ مَجهودًا .

نجَحَ رَءُوفٌ فى إنزالِ السُّلَّمِ فى الْبئرِ ، فخافَت الْقِطَّةُ مِنَ السُّلَّمِ ، وَوَقعَتْ فى الْماءِ ، وَأَخذتْ تَمُوءُ بِصَوْتٍ وَحْشِىٍّ ، تطلُبُ الْمُساعَدة مِن رَءُوفٍ قبلَ أَنْ تغرَقَ .

فزعقَ رَءُوفٌ : إنِّى آتٍ إليكَ بنفْسِى . فلَا تخافى ، وَلا تقلقِى . وَبَدأَ يَنزلُ الْبِئْرَ بِوسَاطةِ السُّلَّم ، بكُلِّ احْتِراس ، وَأَخَذ يَحِسُّ بِقَدَمَيه : حَتَّى لا يَصِلَ إِلَى الدَّرَجتينِ الضَّائِعَتينِ مِنَ السُّلَّم ، وَلا يَغرَقَ فى الْماءِ .

وَبِصُعوبَةٍ كبيرَةٍ نزلَ رَءُوفٌ إلَى الْبِئْرِ الْمُظلِمةِ ، وَوصَل إِلَى الْماءِ الْبارِدِ ، فعامَت ٱلقِطَّةُ إِلَى ناحِيَةٍ أخرى مِنَ الْبِئْر ، وَحاوَلت أَن تُمسِك بِحجَرٍ مِنْ أَحجارِ الحائِطِ ، فلمْ تقدِرْ . وَفى أَثناءِ نُزول السُّلَّم وَقع حجرٌ مِنَ الْحائِطِ فى الْماءِ . وَأَخيرًا اسْتطاعَ رَءوفٌ أَنْ يَلتقِطَ الْقِطَّةَ الْمِسكينةَ مِن الْماءِ . وَهىَ ترتعِدُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ . وَوضعَها عَلَى كتِفِهِ . وَأَخذَ يَصْعَدُ فى السُّلَّم بِاحتِراس ، لِيَطْلعَ بالْقِطَّةِ مِن الْبِئرِ ، فرَأَى فى الْمَكانِ الَّذى وَقعَ مِنهُ الْحَجَرُ مِنَ الْحائِطِ. صُندوقاً حَدِيديًّا صَغيرًا ، عَليهِ طبقةٌ كثيفةٌ مِنَ الصَّدَإِ ، بَيْنَ الْحِجارَةِ فى فَتْحَة بِالْحائِطِ ، فشَدَّ

رءُوفُ الصُّندوقَ مِن مِقْبضٍ كان فيهِ ، وَأمسك بهِ جَيِّدًا ، فتحَرَّك مَعَه الصُّندوقُ ، وَكادَ يَقعُ مِنهُ فى الْبِئرِ ، فأمسك بهِ جيِّدًا ؛ كى لا يَقعَ ، وَالْقِطةُ فوقَ كتِفِهِ .

حاوَلَ رَءُوفُ أَن يَصعَدَ بِهِ فِى السُّلَّمِ ، فوَجَدَ صعوبَةً كبيرَةً فى حَمْلِهِ ، وَالطُّلوعِ بِهِ فى وَقت واحِدٍ ؛ لأَنَّهُ – مَعَ صِغرِ حَجْمِهِ – ثقيلٌ فى وَزْنِهِ. وَفى أثناءِ مُحاوَلتِه الصُّعودَ بِالْقِطَّةِ وَالصُّندوقِ وَقعَ حَجَرٌ آخرُ مِنَ الْحائِطِ فى الْبئرِ ، فاضطربَ رَءُوفُ قليلاً ، وَخاف أَن يَسقُطَ الصُّندوقُ الْحَديدِىُّ مِنْ بَينِ يَديْهِ ، وَتذكَّرَ أَنَّ هُناك دَرَجَتيْنِ مَفْقودَتيْنِ مَنَ دَرجِ السُّلَّمِ ، وَلٰكِنَّه ضبَط نفسَهُ ، وَاسْتمَرَّ يُحاوِلُ أَن يَصعَدَ فِى السُّلَّم ، وَالْقِطَّةُ عَلَى كتِفِهِ ، والصُّندوقُ الْحَديدِىُّ الثَّقِيلُ فى إِحْدَى يَدَيْهِ ، وَاتَّكأَ عَلَى السُّلَّم بيَدِهِ الأُخْرَى . وَفى الْوَقتِ الَّذى قرُبَ فيهِ مِنَ الصُّعود إلَى أَعلَى السُّلَّم ، كانتْ هُناك سَيِّدَةٌ تنظُرُ فى الْبئرِ ؛



رءوف يخرج القطة من البئر وينقذها من الغرق

لِتبحَث عَن رَءُوف . هٰذِهِ السَّيِّدَةُ هِيَ أُمُّهُ .

فقد وَصَلتِ الأمُّ إلَى الْبَيتِ ، فلمْ تجدْ رَءُوفاً ، فذهَبَتْ لِتَبْحَث عنْهُ فى الْحديقةِ الْخلْفِيَّةِ مِنَ الْبَيْتِ ، فلم تجدْهُ فى الْحَديقةِ ، وَلٰكِنَّها وَجَدَتْ جُزْءًامِنَ السُّلَّم ظاهِراً مِنْ أعلى الْبئرِ ، مُلتصِقاً بِالْفتْحَةِ ، فعَجِبَت لِهٰذا الْمَنظرِ ، وَأخذتْ تسأَلُ نفْسَها : مَن الَّذى أحضرَ السُّلَّمَ الْقديمَ هُنا ؟ وماذَا حدَثَ ؟ وَأيْنَ رَءُوفٌ .

ذهبَتْ بِسُرْعةٍ إلَى الْبِئْر ، ونَظرَت داخِلها ، فرأَت رَءُوفاً فِيها ، مُتعَلِّقاً بالسُّلَّم ، يُحاوِلُ بصُعُوبَةٍ الصُّعُودَ بِصُندوق فى يدِهِ ، وقِطَّةٍ عَلَى كتِفِهِ . فخافتْ أَنْ يَقعَ ابْنُها فى الْبئِر ، واضْطربَتْ مِنْ هٰذا الْمَنظَرِ ، وأَخْفتِ اضطِرابَها ، وَأَخذتْ تسأَلُ : ماذا تفعلُ فى الْبئر يا رَءوفُ ؟ ومَن الَّذى أَتى بِك إلَى هُنا ؟ وَمَنْ سمح لَك بِنزُولِ الْبئْر ؟ لَقَد كانَ مِن الْمُمْكنِ أَن تَنزَلِق رِجلُكَ ، فتَقعَ فى الْبِئرِ ، وتَغرق ،

وَلا تَجِدَ مَنْ يُخرِجُكَ مِنها ، وليسَ فى البيت أَحَدٌ .

فأَجابَ رءُوفٌ : أَرجُو أَلاَّ تنزعِجى يا أُمى . لقد وَقَعَتِ الْقِطَّةُ فى الْبئرِ . ورَجوْتُ عُمَّالَ الطُّرُقِ مُساعدتى فى إِخراجها مِنَ الْبئْر فرفضُوا . ورَجوْتُ سَاعِىَ الْبريدِ أَنْ يُساعِدَنى فى إِنقاذِها ، فَرَفَضَ أَيضاً . فَاضطُرِرْتُ أَن أَعمَل كُلَّ وَسيلةٍ مُمْكنَة لإِنقاذِ حياتِها . ولمْ أَجِدْ مِنَ الْوَسائِلِ إِلاَّ إِحضارَ السُّلَّمِ ؛ حَتَّى يُمكِنَنى أَن أَصِلَ إِلَيْها ، وَأُنقِذَها مِنَ الْغرَقِ . وَهِىَ مِسكينَةٌ تَرتعِشُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ . وَإِنِّى بِخيرٍ ، وَالْحَمدُ للهِ ، فَاطْمَئِنِّى كُلَّ الاِطْمِئنان ، وَلا تحزَنى يا أُمِّى . وَلَمْ يَحدُثْ لى إِلاَّ شَىءٌ وَاحِدٌ ، فَقَد ابْتَلَّتْ مَلابِسِى ، وَصارَتْ قَذِرَةً . وَلَيسَ هٰذَا بشَىءٍ فى سبيلِ إِنقاذِ حَيَوان ضَعيف مِسكينٍ مُتأَلِّمٍ مِن الْغرَقِ ، وَإِنقاذِ رُوحٍ مِن الأَرواحِ . وَقَد وَجَدْت شيئاً غريباً فى الْبئْر . وَجَدْتُ صُندوقاً حَديدِيًّا ، صَغيرَ الحَجمِ ، ثَقيلَ الْوَزْنِ ، تَعلُوهُ طَبَقَةٌ كثيفَةٌ مِنَ الصَّدإِ . وَقد

كانَ بَينَ الْحِجارَةِ فى حائِطِ الْبئْرِ ، فَمِنَ الْحَرَكَةِ . وَقَعتِ الْحِجَارَةُ الَّتى كانَتْ تُغَطِّى الصُّندوقَ ، فَظَهر لِى ،وَقَد أَحضَرْتُهُ مَعِى. انظُرِى إِلَيهِ يا أُمِّى! هاهُوَذا!

حاوَلَ رَءُوفٌ أَن يرْفَعَ الصُّندوقَ الْحَديدِىَّ إِلَى أَعلَى ؛ لِيُرِيَهُ لأُمِّهِ ، وَكادَ يَقَعُ بِهِ فى الْبِئرِ ، وَلٰكِنَّ أُمَّهُ لَحِقَتْهُ ، وَأَمْسَكَتْ بِهِ مِن قَمِيصِهِ ، وَشَدَّتْهُ ، وَساعَدَتهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْبِئر . وَفى الْحال قَفَزَتِ الْقِطَّةُ مِن فَوْق كَتِفِهِ ، وَجَلَسَت عَلَى حافَةِ الْبِئر ، وَأَخَذَتْ تَلحَسُ شَعْرَها ، وَهِىَ تَرتَعِشُ مِنْ شِدَّةِ الْبَردِ.

خَرَجَ رَءُوفٌ مِنَ الْبِئرِ ، وَهُوَ يرتَعِدُ مِنَ الْبَرْدِ كَذٰلِكَ ، فَقالَت لَهُ أُمُّهُ : ادخُلْ ، وَنَظِّفْ نَفسَكَ وَغَيِّرْ مَلابِسَكَ ، وَدَفِّئْ نَفسَكَ عِندَ الْمَوقِدِ فى حُجَرةِ الْجُلوسِ . فَأَخَذَ الْقِطَّةَ مَعَهُ وَحَمَلَها ، وَدَخَلَ بِها الْبَيتَ . وَأَخَذَتْ أُمُّهُ الصُّندوقَ الْحَديدِىَّ ، وَدَخَلَتْ بِهِ الْبَيتَ ، وَقَد عَجِبَت كُلَّ الْعَجَبِ مِمَّا رَأَتْ ، وَما وَجَدَتْ .

غَيَّرَ رَءُوفُ مَلابِسَهُ ، وَأَحضَرَ فُوطَةً قَديمَةً كانَت عِندَهُ ، وأَخَذَ الْقِطَّةَ ، وَجَلَسَ بِها بِجانِبِ النّارِ ، وَبَدَأَ يُجَفِّفُ لَها شَعْرَهَا الْمُبْتَلَّ بِالْفُوطَةِ الَّتى أَحضَرَها لَها . وَأَحضَرَت الأُمُّ لِلْقِطَّةِ إناءً صَغيرًا بِهِ لَبَنٌ دافِئٌ لِتَأْكُلَ ، وَوَضَعَتْهُ أَمامَها .

وَفى تِلكَ اللَّحظَةِ حَضَرَ أَبورَءُوف مِن عَمَلِهِ ، وَدَخَلَ الْبَيتَ ، فَرَأَى حَرَكَةً غَيرَ عادِيَّةٍ ، فَعَجِبَ وَاسْتَغْرَبَ ، وَسأَلَ زَوْجَتَه : مَاذَا حَدَثَ ؟ وَما هذا ؟

فَأَخبَرَتْهُ زَوجُهُ بِالْقِصَّةِ كُلِّها ، مِنْ أَوَّلِها إِلَى آخِرِهَا . فَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الصَّغيرِ ، نَظْرَةً كُلُّها إِعجابٌ وَتَقديرٌ : لإِنقاذِهِ حَياةَ حَيَوان ضَعيف . وَفى الْوَقتِ نَفسِهِ قالَ لَهُ : لَقَد كانَ مِنَ الْخَطَرِ أَن تَنزِلَ الْبِئرِ بِالسُّلَّمِ ، وَتَفعَلَ ما فَعَلْتَ ، وَلَيسَ مَعَكَ فى الْبَيتِ أَحَدٌ . وَالْبِئرُ عَميقَةٌ ، وَأَنْتَ لا تَعرِفُ الْعَوْمَ . وَالْجَوُّ شَديدُ الْبُرودَةِ . وَلَووَقَعْتَ فى الْبِئرِ لَغَرِقْتَ مِنْ غَيرِ أَن يُحِسَّ بِكَ أَو يَراكَ أَحَدٌ . وَلٰكِنِّى أَحمَدُ الله حَمدًا

كَثيرًا ، فقَد حَفِظَكَ وَنَجَّاكَ ، وَوَفَّقَكَ فى تَحقيقِ رَغبَتِكَ . وَإِنِّى فَخورٌ بِشَجاعَتِكَ يا رَءُوفُ ، مُعجَبٌ بِتَفكيرِكَ فى غَيرِكَ ، وَاعْتِمادِكَ عَلَى نَفسِكَ ، وثِقَتِكَ بِاللهِ .

قالَتِ الأُمُّ : آنْظُرْ إلَى الصُّندوقِ الَّذى وجَدَهُ مَوضوعاً داخِلَ الْحائِطِ فى الْبِئرِ ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْماءِ . إِنَّهُ صُندوقٌ مِنَ الْحَديدِ ، ثَقيلُ الْوَزنِ ، تَعلوهُ طَبَقَةٌ مِنَ الصَّدَأِ . وَهُوَ مُغْلَقٌ ، وَلَمْ يُمكِنِّى فَتحُهُ ، ولَيسَ لَهُ مِفتاحٌ . فَماذَا تَرَى فى هذا الصُّندوقِ ؟ وَماذَا تَظُنُّ فى دَاخِلِهِ ؟

فَأَجابَ الزَّوْجُ ، وَقَد نَظَرَ إلَى الصُّندوقِ نَظْرَةً كُلُّها عَجَبٌ وَاسْتِغرابٌ ، وَأَبرَقَتْ عيناهُ فَرَحاً وَسُروراً : لَقَد كانَ جَدِّى مُقتَصِدًا فى مَعيشَتِهِ ، وَقَد عُرِفَ بِأَنَّ عِندَهُ كَثيرًا مِنَ المالِ . وَكانَ يُخْفِى نَقودَهُ فى مكانٍ لا يَعرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَقارِبِنَا . وَقَدْ ماتَ وَلَم يَعرِفْ أَحَدٌ الْمَكانَ الَّذِى وَضَعَ فيهِ ثَرْوَتَهُ . وَبَعدَ مَوتِهِ بَحثَ



الأب والأم فخوران بابنهما لشجاعته وعطفه

أَبى عَنْهَا فى كُلِّ جِهَةٍ فى البَيْتِ ، فَلَمْ يَجِدْ لَها أَثَرًا ، وَلَمْ يَعلَمْ لَها مَوْضِعاً . وَلا أَعجَبُ إِذَا وُجِدَ فى هٰذَا الصُّنْدُوقِ كُلُّ ماجَمَعَهُ جَدِّى مِنَ الْمالِ .

تَأَثَّرَ رَءُوفٌ بِمَا سَمِعَ ، وَسَأَلَ أَباه : هَلْ تَظُنُّ أَنَّ فى هٰذَا الصُّندوقِ نُقودًا يا أَبِى ؟ لِماذا لا نَفْتَحُهُ كَىْ نَرَى ما فِيهِ ، ونَعرِفَ ما تَرَكَهُ الْجَدُّ لَنا؟ أَرجُو أَنْ تُسرِعَ وَتَفتَحَهُ يا أَبِى مِنْ فَضلِكَ .

حاوَلَ الأَبُ أَن يَفْتَحَ الصُّندوقَ بِنفْسِه ، فلمْ يَقدِرْ ، وَضَغَطَ عَليهِ فَلَم يُفتَحْ . فَقالَ إِنَّ مِنَ الصَّعْبِ فَتْحَهُ ، وَهُوَ جامِدٌ جِدًّا ، وَعَلَيهِ طَبَقَةٌ سَمِيكَةٌ مِنَ الصَّدَإِ . وَلَيسَ مِنَ السَّهلِ مَعْرِفَةُ جُزْئِهِ الأَعلَى مِنْ الأَسفَلِ . وَلا بُدَّ مِنَ الذَّهابِ لإِحضارِ الْقَفَّالِ ، وَهُوَ مُصلِحُ الأَقْفال ؛ لِيحُاوِلَ فتحَهُ بِمَا عِندَهُ مِنَ الآلاتِ . وَضَعَ رَءُوفٌ الْقِطَّةَ عَلَى الأَرضِ ، بَعدَ أَن كانَ حامِلاً لَها ، وَجَرَى بِسُرعَة ؛ لِيُحضِرَ نَجَّارًا أَو قَفَّالًا لِفَتْحِ الصُّندوق الْعَجيبِ .

وبَعدَ قليلٍ حضرَ رءُوفٌ ، ومَعَهُ مُصلِحُ الأَقْفالِ ، فَأَرَاهُ الأَبُ الصُّندوقَ الْحَديدىَ الْمُغْلَقَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْقَفَّالُ ، ثُمَّ أَخرَجَ مِن حَقيبَتِهِ كَثيرًا مِنَ الأَدَوَاتِ الْغَريبَةِ الَّتى تُفتَحُ بِهَا الأَقفالُ ، وَأَخَذَ يُجَرِّبُها فِى فَتْحِ الْقُفْلِ ، وَاحدَةً بَعْدَ أُخرَى . وَبَعدَ مُحاوَلاتٍ كَثِيرَةٍ اسْتَطاعَ أَنْ يَفْتَحَهُ . وَنَظَرَ الْجَميعُ داخِلَهُ ، فَوجَدُوا صُنْدوقاً آخَرَ مِنَ الصَّفيحِ السَّميكِ اللاَّمِعِ ؛ لأَنَّ الرُّطوبَةَ لَم تَصِلْ إِلَيهِ ، فَلَمْ يَظْهَرْ فَوقَهُ أَىُّ صَدَإٍ . وَقَد وُجِدَ هٰذَا الصُّندوقُ الدَّاخلىُّ مُقْفَلاً أَيضاً .

أَخَذَ رَءُوفٌ يَتَحَرَّكُ وَهُوَ مُتَأَثِّرٌ ، وَقَد تَمَلَّكَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرورُ ، وَسَأَلَ الْقَفَّالَ : هَلْ مَعَك مِفتَاحٌ تَفتَحُ بِهِ الصُّندوقَ الدَّاخِلىَّ ؟

فـــأَجاب الْقَفَّالُ : نَعَم ، إِنَّ مِنَ السَّهلِ أَنْ أَجِدَ مِفتاحاً أَفتَحُ بِهِ هٰذَا الصُّندوقَ . وَكانَ مُتَأَثِّرًا مِثلَ رءُوف حِينَما فُتِحَ الصُّندوقُ الْخارِجىُّ . وَأَخرَجَ ما كانَ مَعَهُ مِنَ الْمَفاتيحِ ، وَأَخَذَ يُجَرِّبُها مِفتَاحاً بَعْدَ

آخرَ ؛ حتَّى فُتِحَ الصُّندوقُ الدَّاخِلىُّ . فرَفَعَ أَبو رَءُوف الْغِطاءَ ؛ لِيَرَى ما فى الصُّندوقِ مِنَ الدَّاخِلِ . وَاشترَكَ مَعَهُ الجميعُ فى النَّظَرِ . فوجَدوهُ مملوءًا جُنَيهات ذَهَبيَّةً ، فعَجبوا ، وفَرِحوا فرَحاً كثيرًا ، وَسُرُّوا سرورًا عَظيماً ؛ لأَنَّهم جَميعاً لَمْ يَرَوْا فى حَياتِهِم مِقْدارًا كَبيرًا مِنَ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ كَهٰذَا الْمِقدارِ . وكانَت الْجُنَيهاتُ كُلُّها بَرَّاقَةً لامِعَةً ؛ كَأَنَّها خَرجَت جَديدَةً الْيَوْمَ مِنَ الْمَصرِفِ (الْبَنكِ) الأَهلىِّ ، أَو مِنْ خِزانةِ وزارَةِ الْمالِيَّةِ . فَقَدْ مَنَعَ الصُّندوقُ الدَّاخِلىُّ الرُّطوبَةَ مِنَ الْوُصولِ إِلى النُّقودِ ، فلَمْ تتَأَثَّرْ مُطلَقاً بِأَىِّ رُطوبَةٍ .

فَقَالَ أَبو رَءُوف : هٰذِهِ هِىَ الثَّروَةُ الَّتى أَخفاها جَدِّى فى حَياتِه قَبلَ أَن يَموتَ . وَقَد بَحَثَ عَنها أَبى كَثيرًا ، فى كُلِّ مَكانٍ فى الْبَيتِ ، فلَم يَجِدْ لَها أَثرًا ، وَلَم يَعرِفْ لَها مَكاناً . وَلَم يُفكِّرْ فى أَنَّها مَوضوعَةٌ ومُغطَّاةٌ فى حائِطِ الْبِئرِ . إِنَّها ثَروَةُ جَدِّى بِكُلِّ تَأْكيدٍ .



مصلح الأقفال يحاول فتح الصندوق الذى به الكنز

لَقَد كانَ جَدِّى يَعيشُ فى هٰذا الْبَيتِ . وَحينما ماتَ تَحَدَّثَ الْكُلُّ عَما كانَ عِندَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ . وَلَم يَعلَمْ أَحدٌ مَكانَها. وَلَم يَخْطُرْ بِبالِ أَبى أَنَّهُ أَخفاهَا فى الْبئرِ ، لِيَبْحثَ عَنها رَءُوفٌ ابنُ حَفيدِهِ ، وَيَجِدَهَا ، فَهٰذِهِ النُّقودُ لِرَءُوفٍ ؛ لأَنَّهُ هُوَ الَّذى وَجَدَهَا بِشَجاعَتِه وَإِقدامِهِ ، وَتَضحِيَتِه ، وَرَأْفَتِهِ وَنُبلِهِ .

فَعانَقَ رَءُوفٌ الْقِطَّةَ الصَّغيرَةَ ، عِناقاً كُلُّهُ مَحَبَّةٌ وَتَقديرٌ ، وَقالَ : لَا ، إِنَّ الْقِطَّةَ الصَّغيرةَ هِيَ الَّتى وَجَدَتْ هٰذَا الصُّندوقَ . وَلَوْلاهَا ما ذَهَبْتُ إِلَى الْبِئْرِ ، وَما بَحَثْتُ فِيهَا . وَكُنْتُ دائِماً أُحِبُّ هٰذِهِ الْقِطَّةَ . وكَثِيرًا مَا رَجَوْتُ أُمِّى أَنْ تَسمَحَ لَها بالْبَقاءِ عِنْدَنَا . وما زِلْتُ أَرْجُوها الاحْتِفاظَ بِها ، وَجَعْلَها قِطَّتَنَا .

فَقالَت أُمُّهُ ، وَهِيَ تَبتَسِمُ ضاحِكَةً فَرِحَةً مَسرورَةً : إِنَّ فى استطاعَتِكَ الآنَ أَنْ تَحتَفِظَ بِها فى بَيْتِنا يا رَءُوفُ ؛ فَقَد كانَتْ سَبَباً فى الْحُصولِ عَلَى الثَّرْوَةِ الَّتى أَخفاهَا جَدُّكَ فى الْبِئرِ قَبلَ مَوْتِه ، وَلَمْ يَستَطِعْ أَحَدٌ مِنَ

الأُسرَةِ أَن يَعرِفَ لَها مَكاناً. وَلَولاهَا ما أَمكَنَ مَعرِفَةُ مَوْضِعِها. وَيُمكِنُكَ أَن تُفَكِّرَ الآنَ فِيما نَشتَرِيهِ بِبَعْضِ هٰذِهِ الْجُنَيْهَاتِ الذَّهَبِيَّةِ. وَإِنِّى أُفَكِّرُ بَدَلاً مِنكَ أَيُّها الابنُ الشُّجاعُ.

فَقالَ لَها رَءُوفٌ: تَفَضَّلى يا أُمِّى الْعَزِيزَةَ، وَاذْكُرِى ما تُحِبِّينَ شِراءَهُ. فَقالت الأُمُّ الْعاقِلَةُ:

إِنِّى أُرِيدُ شِرَاءَ (عَرَبَةٍ) جَميلَةٍ لأَخيكَ الصَّغيرِ عُمَرَ؛ لِيَتَنَزَّهَ بِها عَلَى شاطِئِ نَهرِ النِّيلِ فى الْهَواءِ الطَّلقِ صَباحاً أَوعَصْرًا، وَأُريدُ شِراءَ حُلَّةٍ جَديدَةٍ لَكَ، وَحِذاءٍ مَتِين، وَمعطَف مِنَ الصُّوفِ لِتَلبَسَهُ فى جَوِّ الشِّتاءِ، وَيَحفَظَكَ مِنَ الْبَردِ. وَفى استطاعةِ أَبيكَ أَن يَشتَرِىَ لِنَفسِهِ دَرَّاجَةً، يَذهَبُ بِها إِلى عَمَلِهِ، وَيرجِعُ بِها إِلَى الْبَيتِ لِيُوفِّرَ الْوقتَ الطَّويلَ الَّذى يَقضِيهِ فى الْمَشْىِ كُلَّ صَباحٍ، وَكُلَّ مَساءٍ، وَيُوَفِّرَ عَلَيهِ تَعَبَ الزِّحامِ الشَّديدِ فى (التِّرام) والسَّيَّاراتِ الْعامَّةِ. وَيُمكِنُنى أَن أَشتَرِىَ لِنَفسِى آلَةً لِلْخِياطَةِ،

لأَخِيطَ بِها الْمَلابِسَ الَّتِى يَحتَاجُ إِلَيها أَخوكَ ، وَالَّتِى تَحتَاجُ إِلَيها الأُسْرَةُ كُلُّها .

قالَ رَءُوفٌ : وَلِكَىْ يَكونَ الْجمَيعُ فى سُرورٍ ، وَلا نَنسَى أَحَدًا ، نَشترِى لِلْقِطَّةِ الصَّغيرَةِ الْبَيضاءِ مِخَدَّةً مُريحَةً خَضراءَ تنامُ عَلَيها ،وَإِناءً خاصًّا تَشرَبُ فيه لَبَنَها ، وتَأْكُلُ طَعامُها ، وَشَريطاً أَخضَرَ يُوضَعُ فى رَقَبَتِها . فَهِىَ حَقيقةً تَستَحِقُّ جائِزَةً جَميلَةً ؛ لِأَنَّها السَّبَبُ فى ذَهابِى إِلَى الْبِئرِ ، وَالْحُصولِ عَلَى الكَنْزِ الذى كانَ لجَدِّ أَبِى .

وَفى اللَّيلَةِ نَفْسِها أَخَذَ الأَبُ الصُّندوقَ الَّذى وَجَدَهُ ابنُهُ ، وَهُوَ مَملوءٌ جُنَيهات ذَهَبيَّةً ، وَذَهَبَ إِلَى مَأْمورِ الْقِسمِ الَّذِى يَتبَعُهُ ، وَأَخبَرَهُ بِالقِصَّةِ كُلِّها وَأَرَاهُ الصُّندوق وَما فِيهِ .

فَقالَ لَهُ الْمَأْمورُ : احْتَفِظْ بِالصُّندوقِ وَما بهِ مِنَ النُّقود ؛ لأَنَّهُ صُندوقُ جَدِّك ،وقَد بَحَثَ عَنهُ وَالِدُكَ كَثيرًا بَعْدَ مَوتِ أَبيهِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَلَمْ يَعرِفْ لَهُ

مَكاناً . فَهٰذا الصُّندوقُ يُعَدُّ مِلكاً لَكَ الآنَ . وَهَنَّأَهُ بِالْعُثورِ عَلَيهِ .

فَشكَرَ لَهُ أَبو رَءُوف إِحساسَه ، وأَخَذَ الصُّندوقَ ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى الْبَيْت وَهُوَ فَرِحٌ مَسرورٌ . وَعَزَمَ فى نَفسِهِ أَنْ يَذهَبَ إِلَى الْمَصرِفِ (الْبَنك) صَباحاً ؛ لِيَضَعَ النُّقودَ أَمانَةً فيهِ ، وَيَطمَئِنَّ عَلَيْها مِنَ اللُّصوصِ ، ويأْخُذَ مِنْها ما يَحتاجُ إِلَيْهِ فى أَىِّ وَقتٍ مِنَ الأَوقاتِ الَّتى يُفْتَحُ فِيها الْمَصرِفُ عادَةً .

وَبَعدَ أَن تَناوَلَتِ الأُسرَةُ الشَّاىَ أَخَذَ الأَبُ وَزَوْجَتُهُ يَعُدَّانِ ما فى الصُّندوقِ مِنَ الْجُنَيهاتِ وَقَدْ سَأَلَتِ الأُمُّ رَءُوفاً : خَمِّنْ يا رَءُوفُ ، كَم جُنيهاً فى الصُّندوق ؟ فَخَمَّنَ رَءُوفُ ، وَلٰكِن لَمْ يَنْفَعِ التَّخمينُ . وَقَد وَجَدوا فِيه أَلْفَ جُنَيه ذَهَباً . وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ فى أَن الصُّندوقَ كانَ ثَقيلاً ؛ لأَنَّ الذَّهَبَ ثَقيلُ الْوَزْن .

وَقَبلَ الْمَغرِبِ ذَهَبَ رءُوفُ إِلَى الْعُمَّالِ الَّذِينَ

يُصلِحونَ الطَّريقَ ، وَأَخبرَهُمْ بِما وَجَدَهُ في البِئْرِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ما حَدَثَ ، عَجِبُوا كُلَّ الْعَجَبِ ، وَنَظَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى الآخَرِ ، وَقالَ كَبيرُهُمْ ، وَهُوَ في شِدَّةِ النَّدَمِ : لَو ذَهَبْنا مَعَهُ ، وَساعَدْناهُ في إِنقاذِ الْقِطَّةِ ، لَكُنَّا مِنَ الْمُشتَرِكينَ مَعَهُ في إِيجادِ الثَّروَةِ المخْبُوءَةِ ، وَلَنِلْنَا عُشْرَهَا ، جائِزَةً مالِيَّةً ، وَلأَخَذْنا نُقودًا أَكثَرَ مِمَّا سَنَأْخُذُهُ اللَّيلَةَ مِنَ الأَجرِ عَلى عَمَلِنا طُولَ النَّهارِ . وَمَعَ الأَسَفِ الشَّديدِ ، رَفَضْنا مُساعَدَتَهُ وَالذهابَ مَعَهُ ، وَطَرَدناهُ وَوَبَّخْناهُ ، حَتَّى بَكَى مِنْ قَسْوَتِنَا وَتَوْبيخِنَا لَهُ ، وَقِلَّةِ ذَوْقِنا في رَدِّنا عَلَيهِ .

وَفي ذٰلِكَ الْوَقتِ جَلَسَت الْقِطَّةُ عَلَى حائِطِ الْبَيتِ ، وَأَخذتْ تموءُ : نِوْ ، نِوْ ، نِوْ ، بِصَوْتٍ مُرتفِعٍ ، كَأَنَّها تَقولُ لِهؤُلاءِ الْعُمَّالِ الْقَريبينَ مِنَ الْبَيتِ ، الَّذينَ رَفضوا إِخراجَها مِنَ الْبِئرِ ، وَقالُوا لِرَءُوفٍ : اُتْرُكْها لِتَموت : «لقد نِلْتُمْ ما تستحِقُّون . لقد نِلْتُم ما تستحِقُّون . إِنَّني قِطَّةٌ سَعيدَةُ الْحَظِّ . وَإِنَّ



القطة تأكل طعامها و رءوف وأمه ينظران إليها

مَن يُساعِدُنى يجعَلُهُ اللهُ سَعيدَ الْحَظِّ ، سَوَاءٌ أَكان صَغيرًا أَمْ كبيرًا ، غنِيًّا أَمْ فقيرًا . لِهٰذا وَجَدَ رَءُوفٌ ثرْوَةَ جَدِّهِ الَّتى لَمْ يَستطعْ أَحَدٌ أَن يَعرفَ لها مَكاناً قبل أَن يَتَّصِلَ بى . إنَّنى أُحِبُّ رَءُوفاً كُلَّ الْحُبِّ ، وَأُعْجَبُ بِهِ كُلَّ الْإِعجابِ ، وَأَقدِرُ فيهِ شفقتَهُ وَرَحْمَتَه وَعَطفَهُ عَلَى الضَّعيفِ ، وَمُساعَدَتَهُ لِلْمِسكين ، وَإِنقاذَهُ مَن يَحتاجُ إِلَى الْإِنقاذِ .

رَجَعَ رَءُوفٌ إِلَى الْبَيتِ ، واحْتفَظ بِالقِطَّةِ حَتَّى لا تُحِسَّ بِالبُرودَةِ حِينما تبيتُ فى الْخارِجِ ليلاً . وَقد وَعَدَتْهُ أُمُّهُ أَن تشْترِىَ لهامِخدَّةً جَميلةً خَضراءَ اللَّوْنِ تَنامُ عَليها ، وَشريطاً حَريرِيًّاتضعُهُ فى رَقبَتِها . وَاعْتادَتْ أَن تجلِسَ فى الْبَيتِ بِجانِبِ رَءُوف وَهِىَ فرِحَةٌ مَسرورَةٌ .

نظرَ رَءُوفٌ إِلَى الْقِطَّةِ ، وَقالَ لها : سَأُسَمِّيكِ اسْماً جَميلاً . سَأُسَمِّيكِ : « سِتَّ الْخير » ، فما رَأْيُكِ فى هٰذا الاِسمِ ؟ وهَل تعرِفينَ لِماذا اخْترْتُهُ لك ؛

أَيَتُها الْقِطَّةُ الصَّغيرَةُ؟ وَسَأَختصِرُ هذا الاِسْمَ، وَأُنادِيكِ دائِماً: «خَيِّرَة» فماذا تريْنَ؟

فماءَتِ الْقِطَّةُ بِصَوْت مُرتفع، وَمَعنى هذا أَنَّها لا يَهُمُّها الاِسْمُ الَّذى يَضَعُهُ لها، وَلا الاِسْمُ الَّذى يُنادِيها بِهِ. وَهِى تَعرِفُ السَّبَبَ فى تسمِيَتِها بِهٰذا الاِسْمِ. فعلَى وَجهها رَجَعَ الْخيرُ إِلَى الْبَيتِ، وَرَجَعَ إِليهِ ما كانَ فيهِ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْمالِ، وَزال مِنْهُ الْفقرُ، وَبَدَأَت الأُسْرَةُ تجِدُ كُلَّ ما تحتاجُ إِليهِ. ولا يَهُمُّ الْقِطَّةَ إِلاَّ شىءٌ وَاحِدٌ، هُوَ أَن يَكونَ رءُوفٌ راضِياً عَنْها.

فهلْ تُوافِقُ رءُوفاً عَلَى هٰذِهِ التَّسمِيَةِ؟ وَهَلْ تُوافِقُ الْقِطَّةَ عَلى إِجابَتِها؟ إِنِّى مُتأَكِّدٌ أَنكَ مُوافِقٌ.

القصة الثانية

الهديَّةُ المفقودَةُ

(قِصةٌ عِلميةٌ خُلُقيةٌ)

فى ليلة مِنَ اللَّيالى ذهَبَتْ عَزَّةُ إِلَى حُجْرَةِ نَومِها لِتَنامَ ، فرَأَتْ عَلَى السَّقفِ عَنكبوتاً كبيرَةً ، فخَافَت خَوفاً شديدًا ؛ لأَنَّها لمْ ترَهَا مِنْ قبلُ ، وَظنَّت أَنَّها مِنَ الْحَشرَاتِ الْمُؤذِيَةِ ، وَنادَتْ أُمَّها ، وَقالت : أَرْجو أَنْ تَحضُرى بِسُرعَةٍ يا أُمِّى . تَعالَىْ لِتقْتُلِى هٰذِهِ العَنْكبوتَ الكبيرَة . انظُرِى ! إِنَّها كبيرَةٌ جِدًّا .

فأَتت الْأُمُّ ، وَدَخَلت حُجْرَة النَّوم ، ونظَرت إِلَى الْعَنْكبوتِ ، ثُمَّ سَأَلت ابْنتَها :لِماذا تُريدينَ أَن أَقتُلَها يَا عَزَّةُ ؟ هَل فعَلتْ شيئاً يَضُرُّكِ ؟ هَلْ حَدَث مِنْها أَىُّ إِيذاءٍ لكِ ؟ اعْلمى يا بُنيَّتى أَنَّ الْعَنكبوتَ مِنَ الْحشراتِ ، الَّتى تَنسِجُ نسيجَها ، وتُمسِكُ بِهِ الذُّبابَ الَّذِى يَلُفُّ حَولنا ، وَيُتلِفُ طعامَنا ، ويُزْعِجنا

وَيُقلِقُنا بِطريقةٍ مُتعِبَة ، صَيفاً وَشِتاءً ، ويكُونُ سَبَباً فى نقل الْأَمراضِ لِلْأَطفالِ وَالْكِبارِ .

فقالت عَزَّةُ : ولٰكِنَّها قبيحَةُ الْمَنظرِ يا أُمِّى ، وَلا أُحِبُّ أَنْ أَراها .

فابْتَسَمَت الْأُمُّ وَقالت : إِنَّ الْأَشياءَ لا يُحكَمُ عَلَيْها بِمَظهَرِها وَمَنْظرِهَا . فأَنتِ حِينَمَا تغضَبين أَحياناً أَو تَعبِسِينَ بِوَجْهِكِ يَكونُ مَنظرُكِ قَبيحاً . وَإِنَّ قُبحَ مَنظَرِ الْعَنكَبوتِ لا يُبَرِّرُ أَنْ تُؤْذِيها أَوْ تَضرِبيها ، كَما حَدَثَ مِنكِ أَمسِ . فَقَد رَأَيتُكِ بِالأَمسِ تَضرِبينَ عَنكَبوتاً أُخْرَى بِصَحيفَةٍ يَومِيَّة طَوَيْتِهَا ، وَضَربْتِها بِهَا ، وَكُنتِ فِى ذٰلِكَ قاسِيةً مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَضُرُّكِ فى شَيْءٍ ، وَلَم تُلحِقْ بِكِ أَىَّ ضَرَرٍ . تَعالَىْ يا عَزَّةُ ، ولا تُعذِّبيهَا ، وَسَأُخرِجُهَا أَنا إِلَى الْحديقَةِ ؛ كَىْ تَكونَ آمِنَةً عَلَى نَفْسِها مِنكِ .

فَخَجِلَت عَزَّةُ مِنْ نَفسِها ، وَتَأَلَّمَت مِمَّا حدَثَ مِنْها ، وَقَالت لِأُمِّها : أَرجو أَن تَسمَحى لِى يا أُمِّى

بإخراجها ، ولن أقسو عليها ، ولن أعذبها مرة أخرى ، وإني بالأمس لم أفكر فيما فعلت من خطأ ، ولم أحس بما أذنبت . وإني آسفة كل الأسف لما حدث مني مع العنكبوت الأخرى أمس. وقد كنت أظن أنها من الحشرات الضارة المؤذية التي يجب التخلص منها كالذباب والبعوض (الناموس) .

فسمحت لها أمها بأخذها ، وأحضرت عزة صندوقاً صغيراً من الورق الغليظ ، ووقفت فوق سريرها ، ووضعت الصندوق فوق العنكبوت ، فوقعت فيه سليمة ، ثم غطته بالغطاء ، وأخذتها عزة إلى النافذة المطلة على الحديقة ، وأخرجتها منها بكل رفق وعناية ، فنزلت ووقفت فوق غصن من أغصان شجرة الكمثرى التي بحديقة البيت ، ثم قالت لها : أيتها العنكبوت الكبيرة ، لقد رأيت أني لست الآن قاسية ، ولا أريد أن أوذيك ، ولا أحب أن ألحق بك أي ضرر .

وفى الصَّباحِ نَسِيَت عَزَّةُ كُلَّ ما يَتَّصِلُ بالْعَنكَبوتِ . وَلاَ عَجَبَ ؛ فَقَد حَدَثَ شَيءٌ لَم تَنْتَظِرْهُ ، أَنْساها كُلَّ أَمْرٍ ، وَجَعَلَها لاَ تُفَكِّرُ فى شَيْءٍ آخَرَ . فَقَد تَسَلَّمَتِ الرِّسالَةَ الآتِيَةَ مِنْ عَمَّتِها السَّيِّدَةِ سَميرَةَ ، وَبِها هَدِيَّةٌ مَالِيَّةٌ بِجُنَيْهٍ فى الْبَريدِ ، بِمُناسَبَةِ عِيدِ مِيلادِها :

٣ شارع كليو بطرة – مصر الجديدة ، ضواحى القاهرة

١٩٦٥/٣/٤

ابْنَتى الْمَحبوبَة عَزَّة .

تَحيةً وسَلاماً وشوقاً ، وَأَرْجو أَنْ تَكونوا جَميعاً بِخَيرٍ ، مُتَمَتِّعِينَ بِكُلِّ صِحَّةٍ وعافِيَةٍ . وَبَعدُ فَقَدْ نَسيتُ أَن أُرسِلَ إِليكِ هَديةً فى عيدِ ميلادِكِ يومَ الخميسِ الماضى . وَإِنى آسِفَةٌ كُلَّ الأَسَفِ ؛ لأَنَّنى لَمْ أَستَطِعِ الحضورَ فى ذلِكَ اليومِ .ويسرنى أَن أُرسِلَ إِليكِ فى هذِهِ الرسالةِ حِوالةً بجنَيهٍ ؛ لِتَشتَرِى بِهِ ما تُحِبِّينَ ، وَتختارِى ما تَريدينَ . وَأَمَلِى كبيرٌ فى أَن أَحضُرَ لِأَراكِ وَأَرَى الأُسْرَةَ كُلَّها قَريباً ، وَأُهَنِّئَكِ تَهنئةً صَادِقَةً بعيدِ ميلادك السَّعيدِ. أَرجو تبليغَ خالِصِ تَحيَّتِى وسلامى لوالدتِكِ ووالدِكِ وإِخوَتِكِ

عمتك نبيلة

فَرِحَت عَزَّةُ فَرَحاً كَثيراً حِينَما تَسَلَّمَت هٰذِهِ الرِّسالَةَ ، وَأَحَسَّت أَنَّها غَنِيَّةٌ ، وَغَنِيَّةٌ جِدًّا ، بِالْجنيهِ الَّذى أَهْدَتْهُ إِلَيْهَا عَمَّتُها. وَقالَت فى نَفْسِها : سَأَخرُجُ الْيَومَ مَعَ أُمِّى ؛ لِشراءِ سَريرٍ لِدُمْيَتى (عَروسَتى) مِنْ حَانوتِ اللُّعَبِ . فَهُناكَ سَريرٌ صَغيرٌ جَميلٌ ، ثَمنُهُ جُنَيهٌ ، رَأَيتُهُ مُنْذُ مُدَّةٍ ، وَكنتُ أُحِبُّ أَنْ أَشْتَرِيَهُ لَها .

فَقالَت لَها أُمُّها : ضَعِى الْجُنَيْهَ فى كيسِ نُقودِكِ يا عَزَّةُ ، وَحافِظِى عَلَيْه ، وَاحذرِى أَنْ تُضِيعيهِ ، فَإِنَّ الأَوراقَ الْمالِيَّةَ قَد يُطَيِّرُهَا الْهواءُ فَتَضيعُ .

فَقالَتْ عَزَّةُ : سَمعاً وَطاعَةً يا أُمِّى. وَجَرَتْ إِلَى حُجَرةِ نَوْمِها ، لتُحضِرَ كِيسَها ، وَتَضَعَ فيهِ نُقودَها. وَلٰكِنَّها حينَما دَخَلَتِ الحُجرَةَ ، وَضَعَت الْجُنَيْهَ عَلَى الْمِنضَدَةِ الَّتى بِجانِبِ النَّافِذَةِ ، وَتَرَكَتِ الْبابَ مَفتُوحاً ، وَكانَتِ النَّافِذَةُ مَفتوحَةً . ثُمَّ أَخَذَتْ دُميتَها (عَروستها) وَاسْتَمَرَّتْ تَلعَبُ بِها مُدَّةً طَويلَةً ،

وَتُخبِرُهَا عَنِ السَّريرِ الْجَميلِ الَّذى سَتَشتَريهِ لَها. ونَسِيَت الْوَرَقَةَ الْمالِيَّةَ على الْمِنضَدةِ ، وَكانَ هُناكَ تَيَّارٌ مِنَ الْهَواءِ فى الْحُجَرةِ بِسَببِ فَتْحِ الْبابِ ، وَفَتْحِ النَّافِذةِ الْمُقابِلةِ لهُ ، فطارَ الْجُنَيْهُ مِنْ فوْقِ الْمِنضَدَةِ إِلَى النَّافِذةِ الْمُطِلَّةِ عَلَى حَديقةِ الْمَنزِلِ .

لمْ تَنْتَبِهْ عَزَّةُ إِلَى ما حَدَث ، وَلمْ تَلْحَظْ شيئاً ، وَتَرَكت دُمْيَتها ، وَخرَجَتْ مِن حُجْرَتِها ، ونَسِيَتْ كُلَّ ما يَتعَلَّقُ بِالْجُنيهِ . وَفى الظُّهرِ تَذكَّرَتْهُ ، فذهَبَت لِتبحَثَ عَنُه فى حُجرَةِ نوْمِها ، فلمْ تَجِدْهُ عَلَى الْمِنضَدَةِ كما وَضَعَتْه .فتألَّمَتْ تألُّماً شديدًا ، وَلمْ تعرِفْ ماذا تقولُ لِأُمِّها إِذا سَأَلَتْها عَنْهُ. وَماذا تَستطيعُ أَن تقولَ؟ وَهِيَ لمْ تسمَعِ النَّصيحَةَ ، وَلم تَضعْهُ فى كِيسِ نُقودِهَا ، كما نصَحَت لها وَالِدَتُها ، بَل أَهْمَلتْ وَتركَتْهُ عَلَى الْمِنْضَدةِ بِجانِبِ النَّافِذةِ الْمَفتُوحَةِ ، وَتركتْ بابَ الْحُجْرَةِ مَفتوحاً ، وَهٰذا كُلُّهُ خطأٌ . فماذا تفعَل ؟

وَقدْ عَرَفت الأُمُّ أَنَّ عَزَّةَ لمْ تَجِد الْجُنيْهَ ، فَقالت لَها : إنَّكِ مُهمِلةٌ ، وَلمْ تسمَعِى النَّصيحَةَ . ولوْ عمِلْتِ بها وَوضَعْتِهِ فى كِيسِك كَما أَخْبَرْتُكِ لوَجَدْتِه . إنِّى أَعتقِدُ أَنَّهُ طارَ مِنَ النَّافِذةِ ؛ فقد كان الْهواءُ شديدًا الْيَومَ ، وَلا بُدَّ أَنَّكِ تركْتِ الْبابَ مَفتوحاً ، وَكانَت النَّافِذةُ مَفتوحَةً . وَالْمِنضدَةُ قريبَةً مِنْها ، فطيَّرَهُ الْهَواءُ . اذهَبِى وَابْحَثِى عَنهُ فى الْحَديقةِ.

فجَرَتْ عَزَّةُ ، وَخرَجَتْ إلَى الْحَديقةِ . وَأَخذتْ تَبْحَثُ عَن الْجُنيْهِ الضَّائِع . تَحت الأَزهارِ ، وَتحت الأَشجارِ ، وبَيْنَ الأَعشابِ ، وَتحتَ أَشجارِ الْعِنبِ ، وَعِندَ حَظيرَةِ الدَّجاجِ ، وَاسْتمَرَّتْ تبْحَثُ عَنهُ فى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْحَديقةِ ، وَلٰكِنَّها لمْ تَجِدْ لهُ أَثرًا .

فَاشتدَّ حُزْنُها ، وَزادَ أَلمُها ، وَأَخَذت الدُّموعُ تَسقُطُ مِنْ عَيْنَيها ؛ فقد ضَاعَ الْجُنيهُ مِنْها ، وَهُوَ هَدِيَّةٌ مِن عَمَّتِها . وَاعْترفتْ فى نفسِها أَنَّ هٰذِهِ غَلْطَتُها ؛ فقدْ أَخطأَتْ فى أَنها لمْ تضع الْوَرقةَ المالِيَّة فى كِيسِها

كَمَا أَخبَرتْها أُمُّها . وَلوْ أَطاعَتْها وَعَمِلت بِنصيحتِها ما حَدَث ما حَدَث ، ومَا ضاعَ مِنْها شيءٌ . وَلكِنْ مِنَ الْمُؤْلِمِ أَنَّها لمْ تَسْمَع النَّصيحَةَ ، وَلَمْ تعمَلْ بِها ، وأَخطأَتْ في أَنَّها تركت الْبابَ مَفتوحاً ، وَالْهَواءُ شديدٌ .

وَقالت لِنفسِها : سَأَنظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمُطِلَّةِ عَلَى الْحَديقةِ لِأَرَى كيفَ طارَ . ثُمَّ أَتتْ بِصُندوقٍ صَغيرٍ ، وَوَضَعَتْه عِندَ النَّافِذَةِ ، وَطلِعَتْ فوقهُ ، ثُمَّ نظَرَت ، فوَجَدت الْوَرَقةَ المالِيَّةَ مُلْتصِقةً بِنسْجِ الْعَنكبوتِ ، فَوْقَ غُصنٍ مِنْ أَغصانِ شجَرَةِ الْكُمَّثْرَى . فعَجِبَتْ عَجَبًا شديدًا . وَاسْتغرَبَت كثيرًا ، وَتحَقَّقت أَنَّ الْهَوَاءَ قدْ طَيَّرَ الْجُنيْهَ مِنَ النَّافِذَةِ حينما تَركَت بابَ الْحُجرَةِ مَفتوحاً ، فاعْترضهُ نسْجُ الْعَنكبوتِ ، وَأَمسكَ بهِ ، وَلمْ يَطِرْ إِلَى أَرضِ الْحَديقةِ ، كما كانتْ تظُنُّ . وَتأَكَّدَتْ أَنَّ بَحثَها في الْحَديقةِ كان عَبثاً أَي بغيرِ فائدةٍ .

وَكان نَسْجُ الْعَنكبوتِ كبيرًا ، فوقَ غُصنِ شجَرَةِ الْكُمَّثْرَى الْقريبَةِ مِنَ النافِذةِ ، وَفي داخِلِ النَّسْجِ

كَثيرٌ من الذُّبابِ الَّذى أَمْسَكَ بِهِ ، والْوَرَقةُ الْمالِيَّةُ الَّتى أُهدِيَتْ إلَى عَزَّة . وَقد فرِحَتْ كثيرًا حينَما رَأَت الْجُنيْهَ مُلْتصِقاً بنسْجِ العَنكبوتِ ، وَصاحَتْ : هٰذا مَنظرٌ عَجيبٌ . اُنظُرْ إلَى النَّسْجِ الَّذى حَفِظَ لى هَدِيَّتِى . ولٰكِن كيفَ السَّبيلُ إليْها ؟ وَكيفَ أَحصُلُ عَليْها ثانِيَةً ؟ وَكيفَ أُخرِجُ الْجُنيْهَ مِنْ نسْجِ الْعَنْكبُوتِ مِنْ غيرِ أَن أُلْحِقَ بِهِ ضرَرًا أَو أَذًى ؟

لَمْ تستطِعْ عَزَّةُ أَنَّ تحُلَّ المُشكِلَةَ بِنفْسِها ، وَتُخْرِجَ الْجُنيْهَ مِن نسْجِ الْعَنكبوتِ . فجَرَتْ إلَى أُمِّها . لتستَعينَ بتَفكيرِها وَتجْربَتِها عَلى حَلِّ هٰذِهِ الْمُشْكلَةِ ، وهِىَ الْحُصولُ عَلى الوَرَقَةِ الْمالِيَّةِ ، مِنْ غيرِ أَن تُلحِقَ ضرَرًا أَوْ أَذًى بالْعَنكبوتِ أَوْ بيْتِها . أَخبَرَت أُمَّها بالأَمرِ ، وَرجَتْها الْمُساعَدَة . فذهَبَتْ أُمُّها مَعَها ، وَأَطلَّتْ مِنَ النَّافِذةِ ، فعَجبَتْ كُلَّ الْعَجَبِ حِينما رَأَت الجُنيْهَ قدْ أَمْسَكَ بِهِ نَسْجُ العنكبوتِ . فسَأَلتْها عَزَّةُ : ماذا تفعَلينَ الآنَ ياأُمِّى

لإخراج الْجُنيهِ مِن بَيْتِ الْعَنْكبوتِ؟

فأَجابَت الأُمُّ: سأَنْفُخُ فى الْعَنكبوتِ برِفْقٍ مِنَ النَّافِذةِ، حَتَّى تخْرُجَ مِنَ النَّسْجِ، فأَمُدَّ يَدى، وَآخُذَ الْوَرَقةَ الْماليَّةَ مِنَ النَّسْجِ مِنْ غَير أَنْ أَضُرَّهُ. وَرُبَّما تخرجُ الْعَنكبُوتُ مِنْ بَيتها، فترَى بِنفْسِها هٰذِهِ الوَرَقة الْغريبَة الْمُلْتصِقةَ بنسْجِها، فَتَفْتحُ فَتْحَةً مِنَ النَّسْجِ، وَتَقطَعُ جُزءًا مِنْهُ، وتَطرُدُ بدِقَّة تامة الشيءَ الغريب الَّذى لا تُرِيدُهُ فى بيْتها من الفتحة الَّتى فتَحتها، ثُم تُصلحُها ثانيةً فى الْحال، وتُعيدُها إلَى ما كانت عليه فى وقتٍ قصيرٍ. وكثيرًا ما رأَيت الْعنكبوتَ تقطعُ جزءًا مِن نسْجها لتفتحَ فَتحةً تطْرُدُ مِنْها نحْلةً غريبةً دخلتْهُ خطأً. وفى يوم مِن الأَيَّام رأَيتُ الْعنكبوتَ تقطعُ جُزْءًا من نسجها لترمىَ مِنْهُ قطْعة خشبيَّة صغيرةً وقعتْ داخلَ نسْجها. وَقَدْ عَجبْتُ كَثيرًا لِمَهَارتهَا وَسُرْعَتهَا حينَما رأَيتُها وهِىَ ترمِى الْخشبةَ الصغيرة مِن الْفتْحةِ، ثُمَّ تُصْلح

نَسْجَهَا وبَيتَها فى الْحَال بَعْدَ رَمْىِ الْخَشَبة .

بَدَأَت الأُمُّ تنفخُ نَسجَ الْعنكَبوتِ برفقٍ ، فَتَحركَت الْورقَةُ الْماليةُ فى النسجِ مِن الداخلِ ، وتَحرَّكَت الْعنكَبوتُ الْكبيرةُ ، تَحتَ ورقة الشَّجرة ، وانتقلَتْ إلَى جهة أُخْرى مِن النسجِ ، فَعَجبَت عَزةْ كلَّ الْعجَب ، وصاحت : أُمِّى ، إنِّى أَعتقِدُ أَن هٰذهِ هىَ الْعنكبوتُ الكبيرة التى وَضَعتها بنفسى خارجَ النافذةِ الَّتى فى حُجرة نَومِى الليلةَ الْماضيةَ . إنها هى الْعنكبوت نَفسُها . وحَجمها كَحجْمها تَماماً . وأَنا مُتَـأَكِّدَةٌ مِمَّا أَقُولُ ؛ لأَنَّ الْعَلامَةَ الَّتى أَراهَا عَلى ظَهْرهَا الآن هىَ نفسُها الْعلامةُ الْغريبةُ التى لحَظتُها علَى ظهْرِ الْعنكبوتِ فى الديلةِ الْماضية .

فقالت الأُم : نعم إنِّى أَلحَظ أنها تَماماً فى حَجمِها وصُورتِها ، وأَعتقِدُ أَنها هى نفسها . اُنظُرى يا عزَّةُ ! إنَّها الآنَ تفْتَحُ فتحة فى النَّسجِ ؛ لتُخرجَ مِنْها هٰذا الشَّىءَ الْغريبَ الَّذى دخلَ بيْتها ، وَهُوَ

الْجُنيهُ. اُنظُرى إنَّها بَدأَتْ تَرمى الْورَقةَ الْمالِيَّةَ مِن الْفَتحةِ بعيدا عن النَّسْج. أَلا تَعتَقِدينَ معى أَنَّ الْعَنكَبُوتَ ماهِرَةٌ جِدًّا يا عَزَّةُ ؟ فَأَجابَت عَزَّةُ: أَعتقِدُ أَنَّها على دَرَجةٍ كبيرةٍ مِنَ الْمهارَةِ يا أُمِّى.

واسْتمرَّت الأُم وابنَتُها تنظُران إِلَى الْعنكبوت، وَهِىَ تَقْطَع نَسْجَها خَيطاً بَعدَ خَيط، وَقِطعَةً قِطعَةً، بالتَّدريج، وبمهارة، حتَّى انْتهتْ مِنْ قطع الخيوط التى كانت مُمْسكةً بالْورقة الْمالِيَّةِ، ومُلْتصِقة بها وحينما انْتهتْ مِنْ قطعِ الْخيطِ الأَخير وضَعَت الأُمُّ يدَها بكلِّ رفق وعِنايةِ، وأَخذت الْجُنيْه.

وقدْ خافت الْعنْكبوتُ حِينما أَحسَّت بيد الْأُم تمَسُّ بيتها ورجعتْ إِلَى بَيْتِها، ولكنها بعد لحظاتٍ معدودات خرجتْ ثانِية مِن بيتها، وأَصْلحتْ ما مزَّقتهُ من خيوطِ النَّسْجِ. وقدْ سُرت عزَّةُ كثيرا، وعَجبَتْ عَجَباً شَديدًا، حينَما رَأَتْها وَهِى تُصْلِحُ الْخيُوط الَّتى قَطعَتْها مِنْ بَيْتِها وَنَسْجِهَا، وَتَرْفُوها

بدِقَّةٍ تَامَّة ، وَمَهارَة فائِقَة ، وَسُرْعَةٍ غَريبَة . وَبَعْدَ أَن أَصْلحتْ بيتَها ، وأَعادته إلَى حالتِه الأُولَى ، رجعَتْ إليهِ ، وأَقامَتْ بهِ ، وأَخذت تنتظِر ، حتَّى تأْتِيَ ذُبابةٌ حمقاءُ ، وتدخُلَ بيْتَها اللَّزِجَ ، وحينئذٍ يلْتَصِقُ بها النَّسْجُ ، وَتموتُ .

أَخذتْ عزَّةُ ورقتَها الْمالِيَّة ، وهدِيَّتَها الضَّائعة وفرِحتْ بها فرَحاً كثيرا . وانْتهتْ مِنْ مُلاحَظَةِ الْعنكبوتِ الْماهِرةِ ، وهِيَ تُمزِّق خُيوطها ، ثُم تُصلِحُها بكُلِّ دِقةٍ ومهارة ، ثمَّ قالت : انْظرى ياأُمِّى إلَى هٰذا الأَمر الْعجيب ! إننِى لو لم أَضع الْعنكبوتَ الْماهِرة خارجَ النَّافذةِ الْمُطلَّةِ على الْحديقة ، بكُلِّ رفقٍ ورأْفة وعِناية ، فى اللَّيْلةِ الْماضية ما اسْتطاعتْ أَنْ تنسِجَ بيتها فوْق الغُصن الْقريبِ من الحائِطِ ، وَلَطارَتْ هَدِيَّتى الْماليَّةُ فى الْهَواءِ الشَّديدِ ، وَسَقَطَت فى الطَّريق ، وَضاعَتْ وَفُقِدَتْ إلى الأَبَدِ ، أَو ابتلَّتْ وتلِفت مِن الْماء والطِّين فى الْحديقةِ الْمرْوِيَّة

فقالت الأُمُّ : هلْ تذكُرينَ ما أَنْصحُ لكِ به دَائماً يا عزَّةُ ؟ من يَفْعلْ خيرًا يَجدْ خيرًا . « ومنْ جَاءَ بالْحسَنةِ فلهُ عشرُ أَمثالها » . أَحْسِنى إِلى منْ أَحسنتْ إِليك . وَلا تُسيئِى إِلَى من أَساءَتْ إِليْك . وَكثيرًا ما قُلْتُ لَك : إِنَّ عملَ الْخير يُؤدِّى إِلَى الْخيرالْكثير . وقد كُنْتِ شفيقةً علَى الْعنْكبوتِ ، ورأفْتِ بها ، وأَطْلقْتِ سراحَها بِكُلِّ رفْقٍ فى الليلة الْماضِية فنسَجَتْ لِنفسِها فى الْحال بيْتاً فوق غُصْنِ الشَّجرةِ ؛ لتَقْضِيَ فِيهِ لَيْلَتَها . وَقَداسْتَطاعَتْ أَنْ تُمسِكَ بورَقَتِكِ الْمَاليَّةِ ، وَتَحتَفِظَ لَكِ بِهَدِيَّتك الْمحَبوبَةِ ، حَتَّى تحضُرى ؛ لتأْخذِيها وتتسلمِيها بِنفسِك . لقدْ أَحْسنْتِ إِليْها فردَّتْ إِليْكِ الْمعَروفَ والْجميلَ ، وَكافأَتْك وأَحْسنتْ إِليْك ، وجزتْك جزاءً حسَناً . وَتأَكَّدِى يا عَزَّةُ تَمامَ التَّأَكُّدِ أَنَّ مَن زرَعَ جَميلاً حَصَد جميلاً ، وَمنْ أَحسن إِلَى النَّاس أَحْسنَ اللهُ إِليْهِ كُلَّ الإِحسانِ .

فقالت عَزَّة ، وهىَ فرحَةٌ مسرورَةٌ : إِنى أَحْمَدُ الله كُلَّ الْحمْد ، وأَشكُرُ لهُ كُلَّ الشُّكرِ ؛ فقد وجَدْت الْهدِيَّة بعد ضَياعِها . والآن أَستطِيعُ أَن أَصِل إِلَى رَغْبتِى الَّتى كنْتُ أَتمنَّاها ، وهى أَنْ أَشترى سريرًا جميلا لدميتى (لِعروستى) ، ثُمَّ رجَتْ أُمَّها أَن تَخرُجَ معها لِشراءِ السريرِ الصَّغير مِنْ حَانوتِ (دُكان) لعبِ الأَطْفال .

فخرجت أُمُّها مَعها ، وَاشترتْ لها السَّريرَ الذى تحِبهُ . وصارَت عزةُ فرحةبِالسريرِ الصغير ، فخورةً بدُميَتِها الْجَميلةِ ، فى سريرها الْجديد .

ولمْ تنسَ عزةُ طولَ حياتها هٰذا الدرسَ الَّذى تعلمتْهُ : من فعَلَ خيْرا كافأَهُ الله بِكل خيرٍ .

الفيلسوف الزاهد

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه ديوبند (يو-پى)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهد فى اختيارها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القِصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يرَغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرار فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المُثلِ العليا فى النواحِي الخلقية والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضِي إلى نهايتِها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهيَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسب منها الأطفال دقةَ الملاحظةِ ، وجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمّى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتُهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفسهم حينَ يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبي نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرقِ العربىّ .

أسأل الله التوفيق ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطية الإبراشى

القِصَّةُ الأُولى

الفَيلسوفُ الزاهدُ[1]

« من الأَدبِ اليُونانيِّ القدِيمِ »

فى مدينةٍ من مدنِ[2] اليونانِ القديمةِ كان يعيشُ رجلٌ حكيمٌ عُرِفَ بَينَ النَّاس بالرِّضا والقَناعَة ، والزُّهدِ فى الحياةِ ، وعَدَمِ الاكتراثِ لزُخْرُفِ الدنيا ، وَزينتِها. وكان يَرى أن الإنسانَ ينبغى ألا يملكَ فى هذه الدنيا شيئاً أكثرَ مما يَسُدُّ به حاجتَه الضروريةَ للحياة ، من طعامٍ وشَرابٍ ، ومَلبَسٍ ومَسْكنٍ . كان ذلك الحكيمُ الزاهدُ يقضى يومَه فى الشمس بين الحقول ، ينطِقُ بالحكمةِ ، ويُعَلِّمُ كلَّ مَنْ يُحيطُ به من تلاميذِهِ الذين يَحضُرون إليهِ لِتَلَقِّى العِلم والحكمة عنه ، وأَبَى

(١) هوديوجينس الحكيم .

(٢) مدينة كورنث .

أَن يتخذَ مَسكنه بين القصور الشامخةِ ، والدُّورِ العاليةِ ، بلْ كان يأْوى إِلى كوخٍ صغيرٍ أَعدَّه لنفسِه فى الْخَلاءِ ، وينتقِل من جهةٍ إِلى أُخرى ، ومن مكانٍ إِلى آخرَ .



(ديوجينيس) العالم اليونانى . والفيلسوف الزاهد

وقد ذاعَ أَمْرُ هذا الحكيم الزاهدِ بينَ الناسِ .

فأَقبلوا عليه من كل صَوْب [١] وناحيةٍ ، يَتَلَقَّوْن عنه العلمَ ويستمعون لعِظاته وآرائه ، وحِكَمِه البليغة ، ولم يكنْ يفكِّرُ فى شىءٍ سِوى الإرشاد والنُّصحِ لمن يُصغِى إليه ويُقْبِل عليه منَ الطَّلَبة .

وذاتَ يوم رُئِىَ الفيلسوفُ الزاهدُ ماشياً فى الظَّهيرةِ ، مُتنَقِّلًا منْ شارعٍ إلى شارعٍ ، ومن مَكان إلى آخرَ ، وقد حَمَل بيدِه مِصباحاً مُضاءً ، وأَخذ ينظُر حولَه هُنا وهُناك ، كأَنه يَبحثُ عن شىءٍ فُقِدَ منه . فَعَجِب المارُّون من أَمْرِه ، وسَأَلَه أَحدُهم : لماذا تَحمِلُ ياسيدى الفيْلسوف هَذا المصباحَ المُضىءَ ، والشَّمسُ مُشرِقَةٌ تملأُ الدنيا ضياءً ونُورًا ؟ فأَجاب الحكيمُ الزاهدُ : إنى أَبحثُ عن رجل أَمينٍ مخلصٍ ، وإلى الآنَ لم أَجِدْه .

وعندما ذهب الإسكندرُ المقدونىُّ إلى تلك المدينةِ التى كان يسكُنها ذلك الحكيمُ الزاهدُ خرجَ جميعُ

(١) جهة .

النَّاسِ يستقبلونه ، ويحتفِلون به فَرِحين مسرورين ، ولم يَتَخَلَّفْ من سكانِ تلك المدينةِ أَحدٌ سِوى ذلك الحكيمِ الزاهد .

وكان الإسكندرُ قد سمِع عنه ، وعن حِكمتِه وفَلْسفتِه ، وآرائه وزُهدِه الشيءَ الكثيرَ ، فرغِبَ فى مقابلتِه والتحدُّث معه ، فلما لم يجِدْه الإسكندَرُ بين المستقبلين له سأَل عنه ، وذهب إليه بنفسِه ، وحولَه حاشيتُه وجندُه ، فوجدَه نائماً فى الخلاءِ بجانب كوخِه ، يتمتَّعُ بالطبيعةِ وجمالِها ، والشمسِ المشرقةِ وأَشِعَّتها .

دَنا الإسكندرُ من ذلك الفيلسوفِ الزاهد ، فَحيَّاهُ وقال له : أَيها الحكيمُ ! لقد سمِعتُ كثيرًا عن حكمتِك ووَدِدْتُ مشاهَدتَك ؛ لِأُقَدِّمَ لك كلَّ ما تريدُ ، فهل هناك شيءٌ أَستطيعُ القِيامَ به نحوَك ؟

فأَجابه الحكيمُ : نعم ، يمكِنُك أن تقِفَ إلى جانبي ، حتى لا تَحْجُبَ ضوءَ الشمس عن جسمى !!

فعجبَ الإسكندرُ منْ زُهْدِ هذا العالِمِ الفيلسوف ، وازداد إكبارُه له ، وإعجابه به ، ثم نظر إلى حاشيتِه وحرَسِه وقال : قولوا ما تقولون ، وظُنُّوا ما تَظنُّون ، ولا تَعْجَبوا من إجْلالى له ، وإعجابى به ؛ فإنه سَعيدٌ بحياتِه هذِه ، وإنِّى لَوْ لم أكنِ الإسكندرَ لَودِدْتُ أن أكونَ (ديُوجِينِيسَ) الحكيمَ الفَيلسوفَ الزاهدَ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) أين كان يعيش الرجل الحكيم العالم ؟ وبماذا عرف ؟ وما رأيه فى الحياة الدنيا ؟

(٢) كيف كان يقضى يومه ؟

(٣) لماذا أقبل عليه الناس ؟

(٤) لقد عجب المارّون من أمر العالم الزاهد ، فما السبب فى ذلك ؟

(٥) بماذا أجاب الحكيم الزاهد حين سأله أحد المارين لماذا تحمل هذا المصباح يا سيدى العالم ؟

(٦) ماذا فعل الناس عندما ذهب الإسكندر المقدونى إلى مدينة الحكيم الزاهد ؟

(٧) ما الذى حمل الإسكندر على مقابلة العالم الزاهد ؟

(٨) أين وجد الإسكندرُ العالم الزاهد ؟ وماذا قال له ؟

(٩) بماذا أجاب العالمُ عن قول الإسكندر ؟

(١٠) ماذا قال الإسكندر لحاشيته ؟

(١١) بين الغرض الذى ترمى إليه هذه القصة .

(١٢) هل تقر العالم (ديوجينيس) على رأيه أو لا تقره ؟ بين رأيك .

(١٣) اذكر هذه القصة بعبارة عربية صحيحة :

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وضعها فى جملة مفيدة :

بالعالم ــ معجبٌ ــ الزاهد ــ أنا

القِصَّة الثانية

وِيليم تِل
« قِصَّةٌ سُويسْرِيَّةٌ »

مُنْذ مئاتِ السِّنينَ كان يحكمُ سويسرة حاكم [١] مُغْتر بنفسِه ، كثيرُ الظُّلمِ والطُّغيانِ ، حَتَّى صَارَ أَهلُها فى شَقاءٍ وَبلاءٍ ، ولم يكونوا أَحْرارًا سُعَداءَ فيما مَضَى كما هم فى هَذِهِ الأَيام .

وذاتَ يومٍ أَقامَ الحاكمُ تِمثالًا كبيرًا فى مَيْدانٍ عامٍّ ، ووضَعَ قلَنْسُوَتَهُ فوقَ ذلك التِّمثَال ، وأَمَرَ بأَنَّ كُلَّ مَنْ يمرُّ به لَا بُدَّ أَنْ يَنْحَنِىَ أَمامَه . فخضَع أَهْلُ سويسرةَ لهذا الأَمْرِ الشَّاذِّ إِلَّا رَجلًا [٢] شُجاعاً واحدًا ؛ فإنه أَبَى الانْحناءَ أَمامَ ذلك التِّمثالِ ، فكانَ إِذَا مَرَّ به وَقَفَ مَرْفوعَ الرَّأْسِ ، مُعتِدِلَ القامةِ ، ثابِتَ

---

(١) هو (جزلر Gesler) (٢) هو (وليم تل : Wiliam Tell)

الجأشِ ، واضِعاً يَدَيهِ على صَدْرِهِ وهو يَضْحَكُ من تلك القلنْسُوَةِ التي تُمِيلُها الرِّياحُ مِن جهةٍ إلى أخرى.

سَمِع الحاكمُ بِعِصْيانِ ذلكَ الرَّجلِ وهوَ «وِلْيم تِل» ، فغَضِب الحاكِم كُلَّ الغَضَب ، وخافَ أَنْ يَمْتَدّ العِصْيانُ وينْتَشِرَ حتى يعُمَّ أنحاءَ البلاد ، فعزَمَ عَلَى مُعاقَبةِ ذلك الرَّجُل لمُخالَفَته أمرَهُ

كان ذلك الرجلُ يَسكنُ فى جهةٍ جَبَلِيَّةٍ من سويسرة ، فى بيتٍ رِيفِيٍّ جميل . تحيط به المناظِرُ الجبليَّة الجميلةُ . وكان يميلُ إلى الصَّيْدِ والرِّمايةِ بالقَوْسِ والرُّمْحِ . عرفَ الحاكمُ ذلك ففكَّرَ فى حيلة يَتَّخِذ بها مَهارَةَ الصَّيَّاد وسيلةً لأَلمِه وحُزنِه ، فأَمَرَ بإحضارِ ابن ذلك الصَّيَّادِ ووُقُوفه فى المَيْدانِ العام عند ذلك التِّمثال . ووضعَ على رأسِه تفاحةً ، ثم أَمرَ أَباهُ أَنْ يُصِيبَ التُّفاحةَ بَسهْمٍ من سهامِه . فتوسَّل الأَبُ إلى الحاكِم الطَّاغِية بكلِّ الوسائِلِ ، لِيُعْفِيَه من

تلك التَّجْربة ؛ إذْ خاف أَنْ يقتُلَ ابنَهُ إذا تحرَّك أَقلَّ حَركة ، أَوْ أَخْطأَ السَّهْمُ التُّفاحة ، أَو ارتَعَدَت يَدُ الصَّيادِ . وقال للطَّاغِيَة : أَتُرِيدُ مِنِّى أَنْ أَقْتُلَ ابْنى الوَحيدَ بيدِى ؟

فأَجابَ الطَّاغيَة : لا تَتَفَوهْ بشىءٍ ، ولا تَتَكَلَّمْ



صورة (وليم تل) وهو يحاول أن يصيب بسهمه التفاحة التى وضعت على رأس ابنه

بعدَ الآن . بلْ يجبُ أن ترْمىَ التُّفاحَةَ بِسَهْمِك ، وتعمَلَ على أنْ تُصِيبَها ، وإذا لم تُصِبْها أمَرْتُ جُنودى بِقَتْل ابنِك أمامَ عَيْنَيْكَ .

لم يَفُه الأَبُ بِبِنْتِ شَفَة ، ووضَعَ السَّهْمَ فى القَوْس ، وَأَطْلَقه لِيُصِيبَ التُّفاحَةَ .

كان الوِلدُ واثِقاً تمامَ الثِّقةِ بمهارَةِ أبيه فى الصَّيْد والرِّمايةِ ، فوقف رابطَ الجأْش ، ثابتَ الجنان ، لا يُخالِجُه خَوْفٌ ، ولا يَظْهَرُ عليه رُعْبٌ أَو فَزَعٌ . وفى ذلك الوَقْتِ مرَّ السهمُ بالهَواءِ ، وَسُمِعَ له حفيفٌ قَوِىٌّ ، وأَصابَ التُّفاحَةَ فى وَسطِها ، ورماها بَعيدًا .

حينئِذ صاحَ المجتمعون فرَحاً وإعجاباً بمهارةِ الأَب ، فأَطْلقَ الحاكمُ سَراحَه ، ولِكنْ حينَما أَخذَ يغادر المَيْدَان العامَّ سقطَ منه على الأَرضِ سَهْمٌ كان قد أَخفاه تحتَ مِعْطَفِه ، فناداه الحاكمُ وسأَلَه ؛ ماذا كُنْت تقصِد بهذا السَّهْمِ الآخر ؟

فأجابَه الرَّجلُ بكلِّ شجاعَةٍ : أَيُّها الطاغِيةُ ، لَقَدْ أَعْدَدْتُ هذا السَّهْمَ لأَقْتَصَّ بهِ مِنك إذا أَخْطأْتُ الرِّمايَةَ وقَتَلْتُ ابنى ، وَالآنَ وَقَدْ نَجا وَلَدى رَغِبْتُ أَن أُنْجِىَ الرعيةَ مِنْ طُغْيانِكَ وظُلمِكَ ، ثم أَطْلَقَ السهْمَ عَلَيْهِ ، فوقَعَ على الأَرضِ صَرِيعاً ، وأَنْقَذَ بلادَه من الظُّلْمِ والطُّغْيان ، والانْحِناءِ أَمامَ التَّماثيل والأَصنام .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) لماذا لم يكن أهل سويسرة أحراراً سعداء فى غابر الأيام كما هم الآن ؟
(٢) ماذا فعل الحاكم المغتر بنفسه ؟
(٣) ما الذى كان يفعله الرجل الشجاع حين يمر بالتمثال ؟ وما اسمه ؟
(٤) أين كان يسكن الرجل الشجاع ؟ وما الذى كان يميل إليه ؟
(٥) ما الحيلة التى فكر فيها الحاكم الطاغية ؟ ولماذا فكر فيها ؟
(٦) هل كان الرجل الشجاع يخشى شيئاً ؟ اذكر السبب ، وبين ماذا فعل ؟
(٧) كيف كان حال الولد الصغير والتفاحة فوق رأسه ؟
(٨) لماذا صاح المجتمعون فرحين معجبين ؟
(٩) ما الذى كان يخفيه الرجل الشجاع تحت إبطه ؟ ولماذا ؟
(١٠) بماذا أنقذ الرجل الشجاع بلاده من الظلم والطغيان ؟
(١١) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة من عندك .

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :
الأب ، أنقذ ، من ، الظلم ، بلاده ، والطغيان

القِصَّةُ الثَّالِثَة

طريدُ الإنسانية . .

« قصةٌ من الأَدَبِ الفَرنسيِّ »

« جُون فالجان »

كان « جون فالْجَان » ابناً لنجارٍ ، تُوُفِّيَ وتَركهُ صَغيرًا ؛ فقامَتْ أُختُه الكبرَى بتربيتهِ والعنايةِ به ، حَتى وجَدَ له عملاً يَكْسِبُ منه قوتَه . ولَكِنْ حدَثَ حينما بَلغَ من العُمرِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنةً أَنْ تُوُفِّيَ زَوجُ أُختِه ، وتركَ لها سَبعةً من الأَطفالِ الصِّغار ، فلمْ يَنْسَ « جون » جَميلَ أُختِه ، ورأَى وَاجبًا علَيه أَن يَكفُلَ أَولادَها ، ولكنَّه وجَد صعُوبةً فى إطعامِهِم والإنفاقِ عَليهم ؛ لأَنَّ عَملَه لايُدرُّ عليه إلا قليلًا من المالِ .

وفى يوم من أَيامِ الشِّتاءِ لَم يَجِدْ عَملا يَعْمَلُه ، معَ رَغبتِه فى العمَل ، وحُبِّه له ، وقُدرَتهِ عليه ، ولم يَجد الأَطفالُ خُبزًا يَقتاتون بِه ، فأَخَذوا يَبكونَ حتَّى

كادوا يَموتونَ من شِدةِ الجوع . فلَمْ يُطِقْ صَبراً ، وخَرجَ لَيلاً وذهَبَ إلى حانوتِ خَباز ، وكَسَرَ نافذتَه ، وأَخذَمَعه إلى بَيتِه رغيفاً من الْخُبز لهؤلاءِ الأَطفالِ الجياع .

وفى الصباحِ التالِى قُبِضَ عليه مُتَّهماً بالسَّرِقَةِ ، وشَهدَتْ عَليه يَده المجروحةُ ، وأُرسِلَ إلى السِّجنِ ، ووُضِعَتِ الأَغلالُ والسَّلاسِلُ فى عُنُقِه ويَدَيْه .

مَكَثَ فى السِّجن أَربَعَ سَنَواتٍ ، وقبلَ نهايتِها حاولَ الفِرارَ من ذلك السِّجن ، فقُبِض عَليه ؛ وحُكِم عليه بثلاثِ سَنواتٍ أُخرَى ، ثم حاولَ الهَربَ ثانيةً فلم يَنجحْ ، وكانت العاقبةُ أَنْ بَقِيَ فى السجن تِسعَ عَشْرَةَ سَنةً ، بدلًا من أَربع سَنواتٍ ، كلُّ ذلكَ من أَجل سَرقَةِ رغيفٍ من الْخُبز يُطعِمُ به أَطفالًا جِياعاً .

انتَهَتْ تلكَ الْحِقبة الطويلةُ ، وتركَ «جون فالجانُ» السجنَ ،وقد قسا قَلبُه ، وأَخذَ يَشعُرُ بسُخطٍ على العالَم وما فيه ، وصارَ إلى الحيوانِ أَقْرَبَ منه إلى الإِنسانِ.

نَفَرَ منه الجميعُ حتَّى أَصبحَ مَنبوذًا مُشَرَّدًا طريدًا ، يَنفِرُ من الناسِ ، والناسُ يَنفِرون منه .
ذَهَبَ إلى فُندُقٍ صغير ليبحثَ عن عَمل أَو مَأْوًى فطُرِدَ شَرَّ طِرْدَةٍ ؛ فَقد عُرِفَ أَنه مُجرِمٌ خطِرٌ اعتادَ الإِجرامَ .

وما بالُكَ برجل يُحكَم عليه بالسِّجن تِسعَ عَشْرَةَ سَنةً ؟ وحيثما ذهبَ سَبَقَتْه أَخبارُه ، ونَبذَه كلُّ مَن التَجَأَ إِليه أَو توَسَّل به ، ولم يَسْمَحْ له أَحَدٌ بالنوم حتَّى فى مَأْوَى كلبٍ من الكلابِ . أَو بإِعطائهِ شَيئًا من فَضَلاتِ الطعامِ . وأَيْنَ توَجَّه قُوبِلَ مُقابلَةً قاسيةً دُونَها كلُّ قَسوةٍ وغِلظَة . وصاحَ الكلُّ فى وجهه : اخرجْ أَيُّها المجرم ، وإِلاَّ دَعوتُ لكَ الشُّرطَةَ لتُكَبِّلَ يَدَيْكَ الآثِمتَينِ بالْحَديدِ .

أَخذَ « جون فَالجَانْ » يَذْرَعُ الطُّرُقَ حتى اهتَدى إلى بَيتِ أُسقُفٍ — وهو رئيسٌ دينىٌّ المَسيحِيِّينَ — كانَ رحيمَ القلبِ ، كثيرَ العَطفِ ، عَظِيمَ الإِحسانِ ،

تَمنَحُه الحكومةُ فى السنة سِتَّمائةِ جُنيهٍ لما يُؤدِّيه من الواجباتِ الدِّينيةِ. فكانَ يُنفِقُ على نَفسِه أَربَعينَ جُنيهًا ، ويُنفِقُ الباقىَ على الفقراءِ والمساكينِ من بَنِى الإِنسانِ. وكانَ يَعيشُ عِيشَةَ الزُّهَّادِ ، لا يُفكِّرُ فى نَفسِه ، بل يُفكِّر فى غَيرِه. يُحِبُّ الناسَ جَميعًا ، والناسُ جَميعاً يُحبونَه ؛ لأَنه طَيبُ القَلبِ ، مُحِبٌّ للخير ، كثيرُ الإِحسانِ .

وحينما دخل « فالجانُ » بيتَ الأسقُف انتَبَه إليه كُلُّ منْ رآهُ ، فقد كان يَبْدُو عَلَى أَساريرِ وجْههِ أَنه رجلٌ خَطِرٌ كثيرُ الإِجرام ، وما كان هذا المِسْكينُ مجرماً ، ولكنَّ البيئةَ الظالمةَ القاسيَةَ هى التى جَعَلتْهُ مُجرمًا.

تَقدَّمَ إلى الأُسْقُف ، وصاحَ بصوتٍ مُرتفعٍ : أُنظُر !! . لَقَدْ كنتُ سَجيناً . وهَاكَ صحيفة لشخصيتى . ومنها تَرَى تلك الأَحكام :

« أَربعَ سَنوات للسَّرقة ، وخمسَ عَشرَة سنة لمحاولةِ الهَرَبِ من السِّجن . ذلكَ الرجُلُ خَطِرٌ جِدًّا » ،

فالآنَ أنتَ تَعرِفُنى ، ورجائى أن تُعطِينَى قَليلا من الطعام ، وتَسمَحَ لى بالمَبيتِ ولَو فى مَربِطِ الخيل .

فَنظَر إليه الأسقُف وقال لَه : « اجلِسْ لِتَستريحَ وتُدْفئَ نَفسَك . إنكَ سَتَتَناولُ العَشاءَ مَعى ، وسَتَنامُ فى حُجرةٍ خاصَّة بك » .

لم يَستطعْ « جون فالجانُ » أن يُصدِّقَ هذا القَوْل ، فَقدعَوَّدَه المجتمعُ أَن يَقْسُوَ عَلَيه فى غَيرِرحمةٍ ولا شَفَقة .

اشتَدَّ فَرحُ « جون فالجان » لأَنه وجَدَ إنساناً يَعطِفُ عليه فى النهايَةِ . وأَخبرَ الأَسْقُفَ بأَن لَديه نقودًا يَستطيعُ أَن يَدفَعَ منها لعَشائه ونومه ، ولكن الأسقُف قال له : « لقد أَتيتَ قوماً أَهلاً ، فمَرحَباً بك ، إن هذا البيتَ ليسَ ببيتى ، ولكنَّه بَيتُ الإِنسانية ، وهُو للفقراءِ والمساكينِ. لقد عَرَفْتُ اسمَكَ قَبلَ أَن تُرِيَنى بطاقَتك . . إنكَ أَخى ، وأَنا أَخوك » .

وبَعد العَشاءِ استَراحَ القسُّ والضَّيْفُ قَليلا ، ثمَّ

أَوَى كلٌّ إلى فِراشِه ، وفى أَثناءِ ذَلك أَعطى الأَسْقُف « فالجانَ » إناءً فِضيًّا به شَمعةٌ مُشْتَعِلةٌ . وذهَبَ معه ليُرِيَه حجرةَ نومِه التى أَعَدَّها له .

وفى مُنتَصَفِ الليل استيقَظَ « فالجانُ » وقد فاضَ قلْبُه كُرْهاً للعالَمِ ومَن فيه ، وشَعَرَ بأَن الوقتَ قد حانَ لينتَقِمَ لنفسِه مِن ذلك المُجتَمعِ القاسى الذِى لا يَعرِفُ الرحمةَ ، ولا يَشعُرُ بحقوقِ الأَفرادِ . تذكَّرَ السكاكينَ والشَّوكاتِ والملاعقَ الفِضيةَ التى استُعمِلَتْ فى العشاءِ ، فصَمَّمَ على أَنْ يَسْرِقَها ويَهرُبَ بِها ، فجمَعَ ما استطاعَ أَنْ يأْخذَه منها ، ثم نزَلَ إلى الحديقَةِ يَطلُبُ الفِرارَ

وحينما استيقَظَ الأَسقُف فى الصباحِ عَلِمَ من رئيسِ الخدَمِ أَن الأَوانىَ الفِضِّيةَ قد سُرِقَتْ ، فقال : لقد فَكَّرتُ مُنذُ مدةٍ ليستْ بالقصيرةِ فى التخلص مِن تلك الأَوانِى ، وكانَ من الواجبِ أَن أَتَصَدَّقَ بها على الفقراءِ ،

لِيَستَعينوا بها فى مَعيشتِهِمْ . ولا مِريةَ فى أَن ذلكَ الرجلَ



جون فالجان طريد الإنسانية

فقيرٌ ، وفى حاجةٍ إلى العَطف والشَّفَقةِ والمَعونَةِ .

وفى وقت تَناوُل الطعام صَبَاحاً حَضَر خمسةٌ من الجنودِ إلى مَنزلِ الأُسقف ومَعَهم « جون فالجانُ » ؛ فقد قَبَضوا عليه وهو يَبِيعُ ما سَرَقه من الأَوانى الفِضّيةِ. فلما دَخَلوا نَظَرَ الأُسقف إليه ، وقالَ له : لقد عُدْتَ يا « فالجانُ » . إنى مسرورٌ لرؤيتك . وإنى أَمنَحُك هذِه الأَوانىَ الفِضيةَ الأُخرى ، وهى تساوى ثَمانيةَ جنيهاتٍ ، وقد نَسِيتَ أَن تَأْخُذَها معَك ، فلِمَ لَم تَأْخُذْها مَع ما أَخَذْتَ من الأَوانى يا « فالجانُ » ؟

تأَثَّر « فالجانُ » كلَّ التأَثر لهذا العطفِ الذى لم يَنتظرْه ، وتَأثَّرَ الجنود لهذا المنظَرِ. ثم قال أَحَدهم : إنَّ هَذا الرجلَ قد أَخبرَنا بأَن الأُسقُف العظيم قد مَنَحه تلك الأَوانىَ الفِضيةَ ، ولكنَّنا ظَنَنَّا أَنه سَرَقها وهَرَب بها ، فَقَبَضْنا عليه وهو يَبيعها لأَحدِ التُّجار .

فقال الأُسقُف : لقد أَخطَأْتُم فى إرجاعِه . دَعُوه

يَذهب ؛ فقد وَهَبتُ له هَذه الأَوانىَ ليَستعينَ بها على الحياة . فخرجَ الشُّرَطُ ، وتركوا « جون فالجانَ » مع الأسقُف. فسأَل «فالجانُ » الأُسقف : أَحقًّا أَنى لن أَعودَ إلى السجنِ؟ وهل يُمكِنُنى أَن أَتمتعَ بالحرية وأَعيشَ حُرًّا؟

فأَجابَ الأُسقُف : حَقًّا إنكَ حُرٌّ ، ولن تعودَ إلى السجنِ بَعدَ اليوم . ولكن قبلَ أَن تَخرجَ خُذْ مَعلكَ الأَوانىَ الفِضيةَ الأُخرَى . فَدَهِشَ « فالجانُ » كلَّ الدَّهشَةِ ، واعتَراه الذهولُ ، وأَخذَ الأَوانىَ وهو يَشْعُر كأَنَّه فى حلم ، ثم قال الأُسقُف ·

« لا تخفْ ولا تَحزَن ، وهَدِّئْ مِن رَوعِك ؛ فَلَستَ فى حاجةٍ إلى أَن تَهرُبَ من البابِ الخلفىِّ للحديقةِ ؛ فالبابُ الأَمامىُّ مَفتوحٌ لكَ دائمًا ليلًا ونهارًا ، لتأْتِىَ متَى شِئْتَ ، وتخرُجَ آمِناً متى أَردتَ .

زادَ تأَثر « فالجان » لذلكَ العَطفِ الذى لم يَعهَدْه من قبل ، وأُغمِىَ عليه ، وأَصابَه الذُّهول ، فأَخذَ

الأُسقف يَده وهَدَّأَ مِن رَوْعِه ، وبَدأ يحادِثُه حتى عادَ إليه صَوابُه ، ثمَّ قالَ لَه : أَرجو أَن تنتفِعَ بهذهِ النقودِ فى مَعيشَتِك وحياتِك . فيمكنكَ أَن تَتجِرَ بها حتَّى تصِيرَ رَجلا أَميناً كما كُنْتَ من قَبلُ ، ولكن «فالجان» لم يتَذكَّرْ أنه وعد بشيء مُطلقاً ، فوقَفَ يصغِى متأَثِّرًا ، والأُسقُف ينصحه قائلا : «جون فالجان» . أَنتَ أَخِي ، ولن تكونَ شَرِيدًا أَو طَرِيدًا بَعدَ اليوم ، وستصير من الآنَ رَجلا مستقيماً كامِلا. لقد دَعَوتُ الله لكَ أَن يَهدِيَك الصراطَ المستقيمَ ، ويبعِدَكَ عن الشَّرِّوارتكابِ الآثام .وإنِّى مستعدٌّ دائِماً لمساعَدَتك فى أىِّ وقتٍ ، فَاذهَبْ واعمَل ، وبالله تَوفيقُك» .

عِندئذٍ أَخَذَ قَلب «جون فالجانَ» يَتَرَدَّدُ بين الخير والشرِّ : أَيَختار الأَوَّلَ أَم الثانىَ ، ولكنَّ اللهَ قد أَجابَ الدعاء ، وأَخذَتْ عَوامل الخير فى نفسه تتغَلَّبُ على بَواعِثِ الشَّرِّ ، حتى صَارَ رَجلا أَميناً طيبَ القلبِ

مستقيماً ، يحبُّه المجتمعُ بَعد أَن نَفَرَ منه ، ويحسن إليه بَعدَ أَن أَساءَ إليه ، وأَخَذ يَعمَل ويَشتغِل بالتجارةِ معتمِدًا على نَفسِه ، حتى نجحَ فى عَملِه ، وعاشَ شَريفاً ممَتَّعاً بحياة كلُّها أَمانةٌ وإخلاصٌ .

أسئلة فى القصة :

(١) صف شعور « جون فالجان » نحو أخته .

(٢) لماذا سرق « جون فالجان » رغيف الخبز ؟ وما الذى حمله على السرقة ؟

(٣) سجن « جون فالجان » ، ثم حاول الهرب من السجن مراراً ، فما الذى ترتب على ذلك ؟

(٤) حكم على « جون فالجان » بالسجن ١٩ عامًا من أجل رغيف من الخبز يطعم به أطفالاً جياعًا ، فهل كان هذا حكما عادلا ؟

(٥) لماذا قسا قلب « جون فالجان » وسخط على العالم ومن فيه ؟

(٦) كيف كان الناس يعاملون « جون فالجان » ؟

(٧) صف حال الأسقف الذى اهتدى إلى بيته « جون فالجان » .

(٨) ما الذى شعر به « جون فالجان » حين استيقظ بعد منتصف الليل

في بيت الأسقف ؟

(٩) بين موقف الأسقف حين جاءه الجنود الخمسة « بجون فالجان » مقبوضاً عليه ؟

(١٠) ماذا كان يقصد الأسقف من موقفه هذا ؟

(١١) لماذا أغمى على « جون فالجان » ؟

(١٢) كيف صار « جون فالجان » رجلا شريفاً طيباً ؟

(١٣) ما رأيك في هذا القس النبيل ؟ وهل تتمنى أن تفعل مثله ؟ ولماذا ؟

القِصَّة الرابعة

الطبيبُ المحرِّرُ لِلعبيدِ

لقد كان «وِلْيَم وِلْبَرْفُورْس» [١] أَحَدَ عظَماءِ الإنجليز الذين نَادَوْا بِتحريرِ العبِيدِ ، وأَخَذَ ينادى بتلكَ الفِكْرَةِ بِكلِّ جُرْأَةٍ وشَجَاعَة ، فى وقتِ كان الشُّعور العامُّ السَائِد فى الممتلكاتِ البريطانيَّة أَنه ليس هُناك ما يَدعو إلى تحرير الرِّجال والنِّساءِ والأَطْفال من البَيْعِ والشِّراءِ واتخاذِهم عبيدًا فى المسْتَعْمَرات لسادتهم الأَورُبيين بيضِ الوُجُوه . ولقد رَبحَتْ بريطانيا ثَروَةً كبيرةً من الاتجارِ بالعبِيد فى القرن الثامنَ عشر ، تلك التجارة التى طالبَ «وِلْبَرفورُس» شعبَه بأَن يضَحِّيَ بها فى سبيل الإنسانية ، ويضَحِّيَ بها بمَحْضِ إرَادَته واخْتِيارِه . وكانت تلك التجارةُ منْتشِرَةً

(١) William Wilberforce

بإنجلترا حين بلَغَ «وِلْبَرْفُورْس» ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً من العمر أى سنة ١٧٧٢ . ومما دَعَا «ولبرفورس» إلى المُطالبة بتحرير العبيد اعتقادُهُ أَن العبدَ إنسانٌ وليس بحيوان . إنسانٌ له روحه وعَقْلُه وحقوقُه ، إنسانٌ له الحقُّ فى الحرِّيَّة والعَطفِ والشفَقَة والمساواةِ ، له الحقُّ فى أَن يكونَ حرًّا كالرَّجلِ الإنجليزى نفْسِه ، فالعبْدُ فى نظرِه إنسانٌ له بما لِلإنسان من حقوق ، سواءٌ أكان رَجلاً أَم امرأَة أَم طِفْلا ، مهما يكن لَونُه ، ومهما يكن بلده الذِى يَنْتَسِب إليه ، ومهما تكن جِنْسِيَّتُهُ التى يَتجَنَّسُ بها .

صوَّرَ «وِلْبَرفُورْس» الطريقةَ التى يعامَلُ بها العبيدُ بصورة بَشِعَةِ المنظر لعبد وضِعَ الغُلُّ فى عنقِه ، والسَلاسلُ فى يَديه ورجليه . أخذ يصوِّرُ تلك الصورةَ أَمام بريطانيا منادِياً بجعل العبيد أَحرارًا ، واستمَر ينادى بتحرير العبيد فى إنجلترا أَكثَر من أَربعين

سَنةً بغير انْقِطاع ، حتى بَدَأَتْ بريطانيا تَكْتَرِثُ لِندائه ، وكان يُنادى بهذا المَبدإِ عن عَقِيدة ؛ لأَنه كان يعتقِد أَن الدِّيانةَ المسيحية التى تدينُ بها إِنجلترا ضِد العبُودية والاسترِقاق .

المعارَضة فى تحرير العبيد :

وحينما بَدَأَ « وِلْبَرفُورْس » حَرَكَتَه الْمبَارَكة فى لمناداة بتحرير العَبيد كان « وليم بِت[1] » الصغير رئيساً للوزراءِ بإِنجلترا ، وكان رئيس الوزارة وكثيرٌ من الوزراءِ يعَضِّدون « ولبرفورس » فى حركته ، ولكن الشعبَ كان معَارِضاً للفِكْرَة ، وبخاصَّةٍ هؤلاءِ الماليون أَصحابُ الممتلكاتِ العظيمةِ فى المستعمرَات البريطانية ، خَوفاً من أَن تتَأَثرَ ثروتُهم وأَملاكُهم إِذا مُنِحَ هؤلاءِ العبيدُ ما يستحِقونه من حرِّيَّة ، وخَوفاً من أَن تتأَثَّرَ تجارتُهم فى شِراءِ العبيد وبَيْعهم ، وأَخذوا يقولون : من

(١) William Pitt the Younger

الذى يقومُ بالعَمَل فى تلك الأَراضى وتلك المناجم إذا زالت العُبودية ؟ لهذا كان بعضُهم يَعتَقِدُ أَن العُبودِيةَ شَرٌّ لا بدَّ منه ، ورأى آخرون أَن هؤلاءِ العبيدَ وتلكَ الشعوبَ الملَوَّنَةَ لا يَستَحِقُّون أَن يفكِّرَ فيهم أَحد .

أَخذ « وِلْبَرْفُورْس » يَتَقَدَّم إلى مَجْلس العُموم بِمشْروع تحرير العبيد مرةً بعد أُخرى ، ولكنه كان يُقابَل بالرَّفْضِ دائماً . لم يَتَسرَّب اليأْس إلى قلبِ ذلك الرَّجل ، وأَخذ يطَالب وينادى بتحرير العبيد حتى بدأَت إنجلترا حكومةً وشَعباً تنظر إليه نظرةً جديدة ، وحتى فاز فى النهاية بعد عشَرات السنين .

أَولُ الغيثِ قطرٌ :

لم يَنْتَظِر ذلك الرَّجل العظيمُ أَن يَنْتَصِرَ مرةً واحدةً ، ولم يَنْتَظِر أَن تُلْغِيَ بريطانيا الاستِرقاقَ والاستعبادَ مرةً واحدةً . ومن الأَشياءِ الأُولى التى قام بها أَنه دعا جماعات من العظماءِ لزيارة سفينة من السُّفن المحَمَّلَةِ

بالعبيد للتِّجارَة فيهم ؛ لَيرَوا كيف يعامَل هؤلاء العبيدُ ، وهم على ظهْرِ السَّفينةِ فى مكانٍ ضيِّقٍ لا يَتَّسِع لهم ، وكيف يجمَعون كما يَتجَمَّع القطِيعُ من الغنم ، وكيف يُعامَلون كما يعامَلُ الحيوان ، وكانت نتِيجَةُ تلك الزيارة أَن تأَثر الزائرون بهذا المنظر ، وبقسوة تلك المعاملة ، فقرَّر مجلس العمومِ تحديدَ عددِ العبيد الذى ينقل على ظهْر السَّفينة ، وترك الفراغِ الكافى لهم كى لا يشْعروا بهذا الضِّيق ، وما هذه إلا خُطوةٌ صغيرةٌ نحو الأَمام من العَمَل العظيم الذى ينادى به « ولبرفورس » . تلك الخُطوة الصغيرة تُعَد بُشْرى النجاح لذلك الرَّجل العظيم ، وتدلُّ على أَن هذا بَدءُ الانتصار والفوز ، وعلى أَن من الممكن أَن تؤثرَ فى الرَّجل الأَبيضِ حتى يتأَلَّمَ للرجل الأَسودِ من بنى الإنسان .

استمَرَّت المقاومةُ سنواتٍ بين « ولْبَرفورْسَ »

ومعارِضِيه من التُّجار والمُلاَّك الأَغنياء ، ولكن شجاعَتَه وَمُثابَرَته على النِّداءِ بمَبدَئه ، وحياتَه النقيةَ الطاهرة ، كل هذه الصِّفاتِ تَركت بالتَّدريج أَثَرًا فى نَفْسِيَّة الشَّعبِ الإِنجليزى الذى يُفكِّرُ فى حَقِّ هؤلاء العَبيد فى الحُرِّيَّة ، وفيما يُلاقونَه من ظُلم وَقسوةٍ فى المعاملة .

بَدَأَ ذلك الرَّجلُ العظيمُ حياته ونِداءَه وَلَدَيْهِ ثَرْوَةٌ كبيرةٌ خاصَّةٌ به وَرِثَها عن أَبيه ، ولكن تلك الثَّروَةَ كلَّها قد أَنْفَقَها فى سبيل تلك المساعى الجبَّارةِ التى بَذَلَها لإِيقاظ الشُّعورِ العام فى إِنجلترا لِتَحْرير هؤلاءِ العبيدِ المساكِينِ ، وبَدَأَ الشُّعورُ فى إِنجلترا يَتَحَوَّلُ نحوَ تحريرِ العبيد . ففى سنة ١٨٠٥ م حَصلَت بريطانيا على مُسْتَعمَراتٍ جَديدَةٍ من حُروب نابليون ، فَحَرَّمَت فى تلك المُسْتعمرات الجديدة الاتجارَ بالعبيد . وفى سنة ١٨٠٦ وُضِعَ قانون يُحَرِّمُ على البريطانيين بَيْعَ العبيدِ أَو شِراءَهم فى أَىِّ مكان

من الأَمْكنَةِ ما عدا المُسْتعمَرات البريطانية الأُولى .
وفى سنة ١٨٠٧ أُلْغِيَتْ تِجارةُ العبيد كُلِّيَّةً ، وحُرِّمَتْ هذه التجارَةُ كُلَّ التَّحْريم .

ولكن «وِلْبَرفُورس» لم يَقْتَنِعْ بتلك النَّتيجةِ ؛ فإن هذا القانونَ قد حَرَّمَ شِراءَ رجالٍ أَو نساءٍ أَو أَطفال جُدُد وبَيْعَهم فى المستقبل ليكونوا عَبيدًا ، ولكنه لم يُحَرِّرْ هؤلاءِ الذين كانوا عبيدًا بالفعل واشْتُروا أَو بِيعوا فى الماضى ، فهؤُلاءِ ما زالوا مُسْتعْبَدين ، وَما زَالَت الأَغْلالُ فى أَعناقهم . لم يَقْنَعْ ذلك الرجلُ بتلكَ النتيجةِ . وما زَال يُنَادى بتَحريرِ العبيد الذين حُكِمَ عليهم بالعُبوديَّة فى الماضى ، واسْتَمَرَّ يُبَيِّنُ لإنجلترا كيف يُعَامَلُ هؤلاءِ العبيد ، ولم يُنْزل تلك الصورةَ التى صَوَّرَها للرِّقِّ والعُبوديَّةِ ، وقد مكث نحوَ عشرينَ سنةً ، وهو يُنادى بتحريرِ العبيدِ فى جَميع المُسْتعمراتِ قديمِها وحديثِها ، وأَخَذَ ينادى سِتَّ عَشْرَةَ سنةً أُخرَى

بإعْطاءِ الحرِّيَّةِ لِكُل عبدٍ فى المستعمراتِ البريطانية ، وأخيرًا وفى الوقتِ الذى بَدا فيه الضَّعفُ على « وِلْبرْفورْسَ » وبَدا عَليهِ كبَرُ السِّنِّ رفعت بريطانيا يَدَها ، لِتَقْضِى على سَلاسل الاسْتِرْقاقِ ، وأمَرَتْ بتحريرِ العبيد جميعاً فى كلِّ ممتلَكاتها ، وتمَّ ذلك قبل وفاته .

عَظَمَةُ هٰذا الرجُل :

لقد عاش « وِلْبَرْفورْسُ » ليرَى أثَرَ انْتِصارِه وانتصارِ مَبْدئه فى حياته ، فقد وُلِدَ ثَرِيًّا من أكْبَرِ الأثْرياءِ ، وتربَّى تربيةَ الأشرافِ . وكان فى اسْتِطاعَته أن يكونَ فى أكْبَر المراكزِ ومن أكبر رِجالِ السِّياسَة ؛ ولكنَّه ضَحَّى بثرْوَتِه ومَرْكَزه ومُسْتقْبَلِه ووقتِه وصِحَّتِه وقُوَّته فى سبيل ذلك المَبْدَإِ الإنسانى ، مَبْدإ تحْرِير العبيدِ ؛ لأنه كان يَعْتَقِدُ أنَّ الدُّنْيا فانِيةٌ ، وأن المالَ والثروةَ والمراكزَ والقوَّةَ كلَّها فانيَة ، وليست بِخالِدَة ، ولكن العَمَلَ العظِيم الخالِدَ هو التَّفكيرُ فى الإنسان ،

وفى الناحية الإنسانِيَّةِ ، وفى الحقِّ والعدالة . وقد حدَثَ ذاتَ مرة أن أَحَدَ أبنائِه طَلَب منه أن يَشْتَرِىَ للأُسْرَةِ بَيْتاً يَقْرُبُ من بُحَيْرَة «جراسمير»[1] الجميلة ، فأجابه أبوه : «يَجبُ أن تَتَذَكرَ يا بُنى أننا لم نُرْسَلْ إلى هذا العالمِ للإعجابِ بالمناظِرِ الجميلةِ والتَّمتُّع بمُتَعِ الحياة فقط ، فهناك أشياءُ أجملُ من تلك المناظِرِ وألذُّ مِن مُتَعِ الحياةِ ، تلك هى التَّفْكِيرُ فى بنى الإنسانِ . ويجب أن نُحاكىَ هؤلاءِ العظماءَ الذين أتَوْا إلى هذا العالَمِ ليَخْدُمُوا غيرَهم ، لا لِيَخْدُمُوا أنفُسَهُم . وإذا احْتجْنا إلى الرّاحَة من الأعمال الشّاقة بين حين وآخر جازَ لَنا أن نَسْمَحَ لِأنْفُسِنا بالتَّمَتُّعِ برُؤْيَة تلك المناظِرِ لا لمجرَّدِ التمتع ، بل لنَتَمكَّنَ من العَمَل لإتْمامِ ما علينا من وَاجبَاتٍ نحوَ الفُقَرَاءِ من بنِى الإنسانيةِ . »

---

(١) The Lake of Grasmere

هكذا كانَ الرُّوحُ المُسَيْطِرُ على حَياةِ هذا الرجل العظيم ، حياته المملوءة بالتَّضْحِيَة ، التَّضْحِيَة فى سبيل غَيْره ، فى البَيْت وفى السياسة ، وفى الحياةِ وفى العَمَل . وكانتْ حَياتُه كلُّها نقِيَّةً باهرةً مملوءَةً بالإخْلاص والطَّهارة والاسْتِقامَة والتَّضْحِيَة . ولقدْ قال عنه « رُوبَرْت[1] هُول » : « إنَّه رَجُلٌ صَغيرُ الجسم ، قَبيحُ المَنْظَر ، ولكن انظرْ إلى وَجْهه ، اسمَعْه وهو يَتَكلَّم ؛ فإنك تَنْسَى كُلَّ شيءٍ ؛ لأنَّهُ المثَلُ الأعْلى للإنسانيَّة ، فى نَظراتِه ، وفى أقوالِه وأعْمالِه » .

لقد وُلِدَ ذلك الرجلُ غنيًّا ثَرِيًّا ، ولكنه تُوُفِّيَ فقيرًا ، مضَحِّياً بثرْوَتِه وثروَةِ أوْلادِه منْ بعْدِهِ ، فثروَتُه كلُّها قدْ ذهَبتْ ، وكلها أُنْفِقَتْ على غيْرِه من بنى الإنسان . أُنْفِقَتْ على الفُقَراءِ والمَرْضَى والعَبِيد وأبناءِ السبيل ، والمَطْرُودِين والمُشَرَّدين . وكَان

---

(١) Rabert Hall

هؤلاء جميعاً يعلمون حقَّ العِلْم أَنهُ صديقٌ لهمُ ، صَديقٌ لمنْ لا صَديقَ له ، ومُعينٌ لمنْ لا مُعينَ له . كان يَتصدّق سِراًّ ، ويُحْسِنُ سِراًّ . وعنْدَ وفاتِه حَزِنَتْ عليهِ الإمبراطوريةُ الإنجليزيةُ العَجوزُ حُزْناً شَديدًا ؛ فقدْ تَعِب فى حَياتِه فى سبيلِ الدِّفاع عن الإنسانية .

ولقد دُفِنَ « وِلْبَرْفُورْس » فى مقبَرَةِ « وِسْتمنِسْتر »[١] حيث يُدْفَن الأَبْطال والعُظَمَاءُ ، والأُدَباءُ والعُلماءُ . وسيُذْكَرُ دائماً بين رِجال التارِيخ على أنه فرْدٌ انتصَرَ على شعبه ، وقام بتحرير العبيد ، وحققَ المثل الأَعلى ، وانْتَصَرَ للْحَقّ والعَدالة انتصارًا باهرًا ، ووَضَعَ أُسُسَ الحريةِ . فهوَ بِحَقٍّ يُعَدُّ الواضِعَ للْحَجر الأَساسىّ فى تحرير العبيدِ .

---

(١) Westminster Abby

أسئلة فى القصة :

(١) ما الفكرة الإنسانية التى أخذ « وليم ولبرفورس » يعمل على تحقيقها ؟

(٢) ما الاعتقاد الذى كان يدين به « وليم ولبرفورس » والذى من أجله طالب بتحرير العبيد ؟

(٣) من كان يعارض فكرة تحرير العبيد فى إنجلترا ؟ ومن كان يؤيد هذه الفكرة ويعضد « وليم ولبرفورس » ؟

(٤) ماذا كان يقصد « وليم ولبرفورس » من دعوة بعض العظماء لزيارة سفينة محملة بالعبيد ؟

(٥) وماذا كانت نتيجة هذه الزيارة ؟

(٦) فيم أنفق « وليم ولبرفورس » ثروته الكبيرة ؟

(٧) ما أولى النتائج التى برهنت على تحول فكرة الشعب البريطانى نحو تأييد فكرة تحرير العبيد ؟

(٨) متى ألغيت تجارة العبيد ؟

(٩) ما الذى كان يسعى إليه « وليم ولبرفورس » بعد صدور القانون الخاص بتحريم تجارة العبيد ؟

(١٠) ما الدرس الذى ألقاه على ابنه حين طلب منه شراء بيت للأسرة فى بقعة غنية بالمناظر الجميلة ؟

(١١) لماذا حزنت الإمبراطورية البريطانية على وفاة « وليم ولبرفورس » ؟

القِصَّة الخامسة

صاحِبُ السَّحابةِ

كان في قديمِ الزَّمان رَجُلٌ مِنَ المَشْهُورِينَ بالعِبادَةِ ، المَوْصُوفينَ بالقَناعَةِ والزَّهادَة ، وكانَ إذا دَعا رَبَّه أجابَه ، وإذا سأَلَهُ أَعْطاه ، وحققَ لهُ مُناه ، يَعيشُ في الْجِبال ، ويَقومُ اللَّيْل ، وكانَ اللهُ قَدْ سَخَّرَ لهُ سَحابةً تَسيرُ مَعَهُ حَيْثُ يَسِيرُ ، وتَسْكُبُ عَلَيْه ماءً طاهرًا عذباً فيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَشْرَبُ .

اسْتَمَرَّ هكذا حتَّى اعْتَراهُ فُتُورٌ في العِبادةِ في بَعْضِ الأَوْقاتِ ، فأَزالَ اللهُ عَنْهُ سَحابتَهَ ، وحَجَبَ عَنْهُ إجابَتَه ، فَكثُرَ لِذلكَ حُزْنُه ، وطالَ كَمَدُه[1] وكَدَرُهُ ، وما زالَ يَشْتاقُ إلى السَّحابَةِ الَّتي مَنَّ اللهُ بها عَلَيهِ ، ويَتَحَسَّرُ ويَتَأَسَّفُ ، فَنامَ لَيْلَةً مِن

(١) حزنه .

اللَّيالِي ، فَسَمعَ مَنْ يَقُولُ لهُ فى نومِهِ : إنْ شِئتَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ إلَيكَ سَحابَتَكَ فتوَجهْ إلى الْمَلِكِ الفُلانِيِّ فى بَلَدِ كذَا ، واسْأَلْهُ أَن يَدْعُوَ اللهَ لكَ ؛ حتَّى يَرُدَّها اللهُ عَلَيْكَ ، ويَسُوقها إلَيكَ ، ببَرَكَةِ دَعَوَاتِهِ الصَّالِحاتِ.

فَلَما أَقْبلَ الصباحُ سارَ الرَّجُلُ يَقْطَعُ الأَرْضَ ، حتَّى دَخَلَ البَلْدَةَ الَّتى ذُكِرَتْ لَهُ فى المنامِ ، فَسَأَلَ عَنِ الملِكِ ، فَدُلَّ عَلَيهِ ، فَسارَ إلى قَصْره ، فإِذا بالبابِ غُلامٌ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ عَظيمٍ ، ويَلْبَسُ مَلابِسَ جَميلَةً ، فوَقفَ الرَّجُلُ وسَلَّمَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وسأَلَهُ ما حاجَتُك ؟

فأَجابَ : إنِّى مُحْتاجٌ لِلقاءِ الملِكِ ، وقَدْ جئتُ لِأَرْفَعَ قَضِيتِى إلَيْهِ .

فَقالَ الغُلامُ : لا سَبيل لكَ اليَوْمَ إلَيْه ؛ لأَنَّهُ قد جَعَل لِلشَّاكِينَ فى الأُسْبوعِ يَوماً يَدْخلُونَ عَلَيهِ فيهِ ، وهُوَ يَوْمُ كَذا ، فانتظِرْ حتَّى يأْتىَ ذلكَ اليَوْمُ . . .

فَأَنْكَرَ الرَّجُلُ عليه تَحَجُّبَه وبُعْدَهُ عن الناس ، وقالَ : كَيْفَ يكونُ هذا وليًّا مِنْ أَوْلياءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وهوَعلى هذه الحال ؟وذهبَ يَنْتَظِرُ اليَوْمَ الَّذِى حدَّدَ له.

فَلَمَّا كَانَ ذلكَ اليَومُ دَخلَ فوجَدَ لَدَى البابِ أُناساً يَنْتَظِرونَ الإِذْنَ لَهُمْ بِالدُّخولِ ، فَوَقفَ مَعَهُمْ إِلى أَنْ خَرَجَ أَحَدُ الوُزَراءِ ، وبَيْنَ يَدَيْهِ الْخَدَمُ والْعَبيدُ ، فقالَ : لِيَدْخُلْ أَصحابُ الحاجات ، فَدَخلوا ، ودخَلَ صاحبُ السَّحابةِ فى جُمْلتِهم ، فإذا الملِكُ قاعِدٌ وبَيْنَ يَدَيهِ كِبارُ مَمْلَكتِهِ عَلَى اختلافِ مَراتبِهم .

فوقَفَ الْوَزيرُ ، وجَعَلَ يُتَمِّمُ الواحِدَ مِنْهُم بَعْدَ الآخَرِ ، حتَّى وصلت النَّوْبَةُ إلى صاحبِ السحابةِ ، فَلمَّا قدَّمَهُ الوَزيرُ نَظَرَ إِليهِ الملِكُ وقالَ : «مَرْحَباً بِصاحبِ السَّحابَةِ . اجْلِسْ حتَّى أَفْرُغَ لكَ» .

فَتَحير مِنْ قَوْلِه ، واعْتَرَفَ بِمَنْزلَتِهِ عِنْدَ اللهِ وفَضْلِه ، فَلَمَّا انْتهَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الرَّعِيَّة ، وفَرَغَ من



الملك يقضي بين الناس بالعدل وقد وقف الوزراء حوله

الشِّكاياتِ قامَ ، وقامَ الوَزيرُ ورِجالُ الدَّوْلةِ ، ثمَّ أخذَ المِلكُ بِيَدِ صاحبِ السحابَةِ ، وأَدْخَلهُ القَصْرَ ، فَوَجَدَ على بابِهِ عَبْدًا أَسْوَدَ ، وفَوْقَ رأسهِ أَسْلِحةٌ ، وعَنْ يَمينِهِ وشِمَالِه دُروعٌ وسُيوفٌ .

قالَ صاحبُ السحابة :

فَفَتَحَ العَبْدُ بابَ القَصْر ، فدخلَ المِلك ، ويَدى فى يَدِه ، فإذا بَيْنَ يَديهِ بابٌ قَصيرٌ ، فَفَتَحَهُ المِلكُ نَفْسُهُ ، ودخلَ خَرِبةً وبِناءً كَبيرًا ، ثمَّ دَخلَ حُجرةً لَيْسَ فيها إلَّا سجَّادَةٌ وقَدَحٌ لِلْوُضُوءِ ، وشَىْءٌ مِنَ الخوص ، ثمَّ خَلَعَ ثِيابَه الَّتى كانَتْ عَلَيهِ ، ولَبِسَ جُبَّةً خَشِنَةً من الصُّوفِ الأَبيض ، وجَعَلَ على رَأْسِه قَلَنْسُوَةً من اللُّبْد ، ثمَّ جَلَسَ وأَجْلَسَنى ، ونادَى زَوجَته ، فقالتْ لهُ : لَبَّيكَ ، فَسَأَلها : أَتَدْرِينَ مَنْ ضَيْفُنا فى هذا اليَوْمِ ؟

فَأَجابتْ : نَعمْ هوَ صاحبُ السَّحابةِ .

فقالَ لها : أُدخُلى . فإذا هى امرأةٌ كأنَّها الْخَيالُ ، وَوَجْهُها يَتلألأُ كالهلالِ ، تَلْبَسُ جُبَّةً منَ الصُّوفِ ، وعَلَيْها القِناعُ [١] .

ثمَّ قالَ الملِكُ : أَتُريد يا أخى أَنْ تَعرفَ خبَرنا أَوْ ندْعُوَ لكَ وتَنْصَرِفَ ؟

قال الضَّيفُ : بل أُريدُ أَنْ أَسمَعَ خبَرَ كُما فإنِّى فى شَوْقٍ إلَيْه .

فقالَ لهُ : لَقَدْ كانَ آبائِى وأجدادِى يَتداوَلون المملكةَ ويَتوارثونَها إلى أَنْ ماتوا ، ووَصل الأَمْرُ إلىَّ ، فَبغَّضَ اللهُ ذلك لى ، وأَردْتُ أَنْ أَسِيحَ فى الأَرضِ ، وأَتْرُكَ أَمْرَ النَّاس لأَنفسِهم ، ولكنِّى خِفْتُ علَيْهِم الْفِتْنَةَ ، وتَضييعَ الشرائِع ، وتشتيتَ شمْل الدِّينِ ، فتركتُ الأَمرَ على ما كان عليهِ ، وجعَلتُ لكُلِّ فرد نَصيباً مُعيَّناً ، ولَبِسْتُ ثيابَ المُلْكِ ، وأَجلَسْتُ

(١) القناع : أوسع من المقنعة . والمقنعة : ما تقنع به المرأة رأسها .

العبيدَ على الأبوابِ إرهاباً وتخويفاً لأهلِ الشرِّ ، ودِفاعاً عن أهلِ الخيْرِ ، وإقامةً للحدودِ . فإذا فرغْتُ من ذلكَ كُلِّهِ دخلْتُ مَنْزِلى ، وأَزَلْتُ هذه الثِّيابَ ، ولَبِسْتُ ما تَرَى ، وهذهِ زَوْجتى وابنةُ عَمِّى ، قَدْ وافقتْنى على الزُّهدِ والقناعَة ، وساعدتْنى فى العِبادة ، فَنصوم ونَعمَلُ من هذا الْخُوصِ نَهارًا ما نُفْطِرُ بِثمنِه لَيْلًا ، وقد مضَى عَليْنا ونحنُ على هذه الحَال نَحْوُ أَرْبَعينَ سَنةً ، فَأَقِمْ مَعناحتَّى نَبيعَ خوصَنا ، وتُفْطِر مَعنا ، وتَبيتَ عِنْدَنا ، ثم تَنْصرفَ بحاجَتِكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

فلَمَّا كانَ آخِرُ النَّهارِ أَتَى غُلامٌ ودخلَ ، فأَخذَ ما عَمِلاهُ منَ الخوصِ ، وسارَبه إلى السُّوقِ ، فَباعهُ واشْتَرَى بثمنه خُبْزًا وفُولًا ، وأَتَى بهِما ، فأَفطَرْتُ معهُما ونِمْتُ عِندَهما.

فَقاما مِنْ نِصْف الليْلِ يُصَلِّيانِ وَيَبْكِيانِ ، فَلمَّا كانَ الفَجْرُ قال المَلِكُ : «اللَّهُمَّ إن هذا عَبدُكَ ، يَطْلبُ مِنكَ أَنْ تَرُدَّ سَحابتَهُ إليه ، وأَنتَ على كُلِّ

شَيءٍ قديرٌ. اللّهُمَّ أَجِبْ دَعوتَهُ، وارْدُدْ عليه سَحابتَهُ ».
فَأَمَّنتْ زَوْجتُهُ. وقالت: « آمين، اللّهمَّ اسْتَجِب ».

فإذا السَّحابةُ في السَّماءِ، ففرِحْتُ واغتَبطتُ وَسُرِرتُ. وَوَدَّعتُهُما وانْصَرَفت، والسَّحابةُ تَسيرُ مَعِي كما كانتْ.

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) كيف كان الرجل الصالح يعيش ؟
(٢) لماذا أزال الله عنه سحابته ؟
(٣) كيف ردّ الله إليه سحابته ؟
(٤) هل عرف الملك صاحب السحابة ؟ كيف عرفه ؟
(٥) كيف كان الملك يقضى بين رعيته ؟
(٦) وهل عرفت الملكة صاحب السحابة ؟
(٧) كيف كان الملك والملكة يعيشان ؟
(٨) بماذا شعر صاحب السحابة حينما ردّت إليه سحابته ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية، وكون منها جملة مفيدة :
مظلوم، رجل، أنا

(ح) هات أسئلة للأجوبة الآتية :
(١) جئت إلى الملك لأرفع قصتى إليه .
(٢) قال الملك : اجلس حتى أفرُغ لك .
(٣) فتحَ العبد باب القصر .
(٤) دخل الملك الحجرة .
(٥) لبسَ الملكُ جبةً من الصوف .

فهرس الكتاب

الموضوع

الرّاعي الأمين

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه، ديوبند، يوپی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلـهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخير منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذهِ المجموعةِ ألوانًا من القِصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرَغِّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المُثلِ العليا فى النواحِى الخلقية والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضى إلى نهايتِها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغة ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ماصَعُب . وَوضّحتُ بعضَ القصصِ بصور واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ . وليكتسِبَ منها الطفلُ دقّةَ الملاحظةِ ، وَجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمّى خيالَه وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لَذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفُسهم حينَ يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الْجيل الْجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى الجمهورية العربية المتحدة ، والشرقِ العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطية الإبراشى

القِصَّةُ الأُولى

الرَّاعِي الأَمِين

كان كمالٌ طِفْلًا يَرْعَى الغَنَمَ فِي مزْرعةٍ كبيرَةٍ مُمْتدّةِ الأَطْرافِ ، فأَقْبلَ عليْه أَحَدُ المارِّينَ فَسَأَلَهُ عن الْمسافَةِ إلى أَقْرَبِ قَرْيةٍ منَ الْمَزْرعةِ . فأَجَابَهُ كمالٌ : إنَّها سِتَّةُ أَمْيالٍ يا سيِّدى ، والطَّريقُ غَيْرُ مُعَبَّدٍ ، ومنَ السَّهْلِ أَن يُخْطِئَهُ الإِنْسَانُ أَو يَضِلَّ فيه إذا لم يكُنْ عالِماً به .

فقالَ الرَّجُلُ — وكانَ يمْتَطِي (يركبُ) صهْوَةَ جَوادٍ أَصِيل — لو أَتيتَ يا بُنَيَّ لِتدُلَّنى عَلَى الطَّريقِ مَنَحْتُك جائِزَةً ثَمِينةً . فهَزَّ كمالٌ رَأْسَهُ ، ورفَضَ تلكَ الرغبَةَ ، ثمَّ قالَ : ليْسَ فى اسْتطاعتِى أَنْ أُجِيبكَ إلى رغْبتِك يا سيِّدى ؛ فإنِّى إذا تركْتُ الغَنَمَ وحْدَها أَخْشَى (أَخافُ) أَن تَتيهَ فى الْحَقْلِ ، فتقَعَ فَرِيسةً للذِّئابِ ، وتُصْبحَ عُرْضَةً لأَنْ يَسْرقَها اللُّصُوصُ .

فقالَ الرَّجلُ : لا تَخفْ يا بُنَيَّ عَلَى الغنَم ، ولوْ

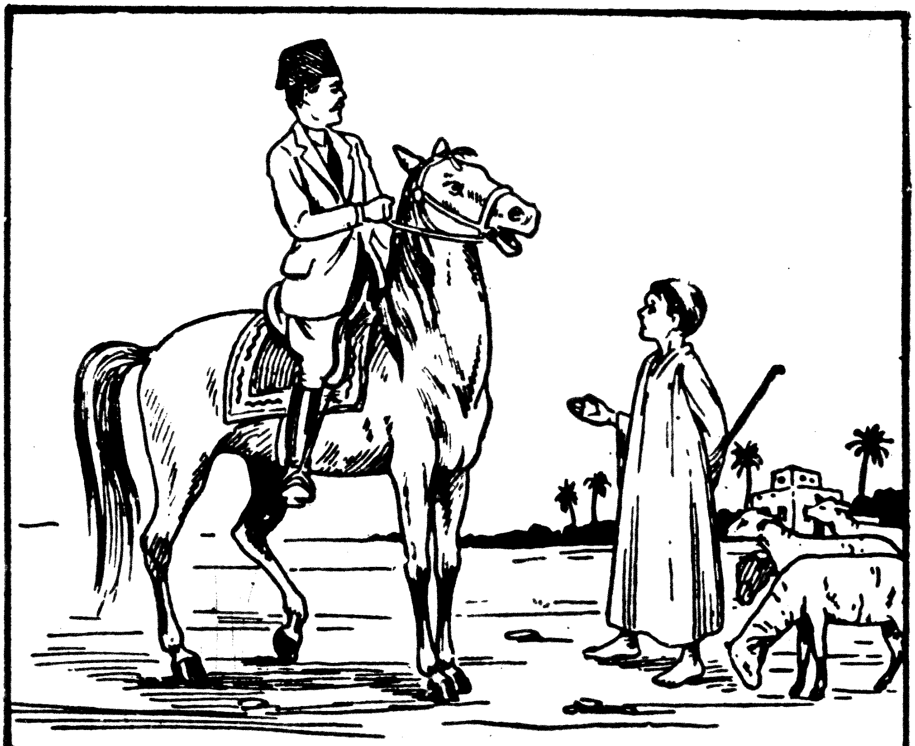
ضاعَ شيءٌ مِنها دَفعْتُ لك ثَمنَهُ ، وكافأْتُك مكافأةً أَكثرَ مِما تكْسِبُه فى سَنَةٍ .

فقالَ الرَّاعِى : إِنِّى أَسِف أَشدَّ الأَسَف يا سيِّدى ؛ لِعدمِ تحقِيقِ رَغبتِكَ وإِجابَتِكَ إِلى طَلبِكَ ؛ فإِنَّ الغنَمَ ليْسَت مِلكاً لى ، وإِذا فقَدْتُ منْها شَيْئاً لامَنِى سيِّدى عَلَى تفْرِيطِى فى حِراسَتها .

فسأَلَ الرَّجُلُ : هلْ تَسْمحُ أَن تأْتينِى بفَتًى أَمِينٍ يُرشِدُنى إِلى الطَّرِيقِ ما دُمْتَ لا تَسْتطِيعُ أَن تُرافقَنى؟ وسأَقومُ بحِراسةِ غَنمِكَ حتَّى تُحضِرَ لى أَىَّ فتًى .

فقالَ الرَّاعى : إِنى أَسِفٌ جدًّا يا سيِّدى ؛ لأَنِّى لا أَسْتطِيعُ أَن أَترُكَ مَكانى . وإِنَّ الغَنمَ لا تعْرِفُ صوْتَكَ وأَخافُ . . . ثم أَمْسكَ الفتَى عن الكلامِ .

فسأَلهُ الرَّجُلُ : أَلا تثِقُ بى يا بُنَىَّ؟ فأَجابَ الفتَى : مَعاذَ اللهِ يا سيِّدى أَن أَشُكَّ فى أَمانتِكَ ، ولكنَّكَ تُرِيدُ أَن تحمِلَنى عَلَى أَن أَنقُضَ عهْدى مع صاحبِ الغنَمِ . ومنْ يَضْمنُ لى أَنكَ تَسْتطِيعُ أَن



لراعى الأمين يقول للأمير : من يضمن لى أنك تستطيع أن تحرس الغنم ؟

تحرُسَ الغنَمَ وتفِىَ بوعْدِك ؟

فضَحِكَ الرَّجُلُ وقالَ : لقَدْ أَصَبْتَ الرَّأْى ، وأَحْسنْتَ القَوْلَ ، ولَيتنِى أَجدُ خادِماً أَميناً مِثْلَكَ أَثِقُ به . فَصِفْ لى الطَّريق من فَضْلِكَ ، وسأُحاولُ أَن أَذْهبَ إلى القَرْيةِ وحْدِى . وما كادَ يَفرُغُ من كلامِه حتى أَقبلَ رِجالٌ يَبْدُو (يَظْهرُ) عَلَى وُجُوهِهم الفرَحُ والسُّرُورُ للعثورِ عليْه . وقالَ أَحَدُهم : لقدْ ظَننَّا أنك

ضَلَلْتَ الطَّرِيقَ أَيُّها الأَميرُ الْعزيزُ ، وكنَّا فى قلَقٍ من جِهَتِك .

وقدْ سَمِع الرَّاعى تلْكَ الكلِمةَ « كَلِمةَ الأَمِيرِ » ، فاشْتدَّ خَوْفهُ ، واضْطرَبتْ أَعْصابُهُ ، وقلِقَتْ نفسُهُ ، وخافَ أَن يُعاقِبَهُ الأَمِيرُ ، ويَنتقِمَ منهُ ، ولكنَّ الأَميرَ تقدَّمَ إليْه ، وقد ارْتسمَتْ عَلَى فمِه ابتِسامةٌ رقِيقةٌ عَذْبةٌ ، وأَخذَ يُثْنى عَلَى إخْلاصِهِ ، وقِيامِه بالوَاجبِ ، ووَفائِه لسَيِّدِه ، واعْتمادِه عَلَى نَفسِه ، وعدَم ثقَتِه بأَحَدٍ ممنْ لايَعْرِفُه .

ومَضتِ الأَيَّامُ حتى نسِىَ كمالٌ ما حَدَثَ . وفى ذاتِ يَوْمٍ أَرسلَ الأَميرُ رسُولًا يدْعُو كمالًا لِلْمُثُول (للوُقوفِ) بيْنَ يديه ، فاسْتأْذَنَ سيدَه ، وذهبَ لِمُقابلةِ الأَمِيرِ . فلما مَثلَ (وَقفَ) بينَ يدَيْه قالَ لهُ الأَميرُ : إنى أَوَدُّ أَن تترُكَ غَنَمكَ وتحْضُرَ لخِدْمتى ، فإنكَ غُلامٌ تَسْتحِقُّ كلَّ ثِقةٍ وتَقْديرٍ .

ففَرِحَ كَمال فرَحاً كثِيراً ، وقرَّتْ عيْنهُ برغْبةِ الأَمير

وقالَ : أَنا طوْعُ أَمْرِكَ يا سيِّدِى ! وإِنى مُستعِدٌّ لِلحضورِ لِخِدْمَتك إِذا اسْتطاعَ سيدى أَن يجِدَ راعِياً غيرِى .

فقَدَر فيه الأَميرُ إِخْلاصَه لِسَيِّدِهِ ، ورجَع كمالٌ وقلْبُهُ مملوءٌ بالسُّرُورِ والاِنشراحِ ، وأَخْبرَ سَيِّدَهُ بما حدَثَ ، واسْتمرَّ يَرْعَى غنَمَه حتى اهْتَدَى إِلى راعٍ آخرَ ، وأَذِنَ لَهُ بالذَّهابِ ، فوَدَّعهُ ثمَّ عَاد إِلى الأَمير ، ومَكثَ معه يَخْدُمُه مَدَى (طول) الحياةِ بكلِّ وفاءٍ وإِخْلاصٍ .

أسئلة فى القصة :

(١) لماذا رفض الراعى أن يسير مع الرجل ليدله على الطريق ؟

(٢) ماذا كنت تفعل إذا كنت مكان الراعى ؟

(٣) هل كان الراعى يشك فى أمانة الرجل ؟

(٤) بماذا شعر الراعى حينما عرف أن الرجل أمير من الأمراء ؟

(٥) ما الذى شعر به الأمير نحو الراعى ؟

(٦) ماذا عرض الأمير على الراعى حينما حضر بين يديه ؟

(٧) من يذكر هذه القصة بعبارة من عنده ؟

(٨) اكتب هذه القصة بعبارة صحيحة .

(٩) رتب الكلمات الآتية لتكون منها عبارة صحيحة :

وتحضر ، أحب ، إنى ، أن ، غنمك ، لخدمتى ، تترك .

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ

قاطِعُ الْحِجارَةِ (قِصَّةٌ يابانِيَّةٌ)

كانَ عامِلٌ مِنَ الْعُمَّالِ يَشْتَغِلُ بِقَطْعِ الْحِجارَةِ ، يَذْهَبُ كُلَّ صَباحٍ بِقَدُومِهِ وَمِطْرَقَتِهِ لِيَقْطَعَ الْحِجارَةَ مِنْ جانِبٍ فِي الجَبَلِ ، ثُمَّ يَصْقُلُها لِتَكُونَ صالِحَةً لاسْتِعْمالِها فِي الْمَبانِي .

وَلِمَهارَةِ ذٰلِكَ العامِلِ فِي عَمَلِهِ وَجَدَ كَثِيراً مِنَ الْأَعْمالِ تَنْتَظِرُهُ ، وَعاشَ سَعِيداً مَسْرُوراً بالقَناعَةِ وَكَثْرَةِ إِقْبالِ النَّاسِ عَلَيْهِ وعلى عَمَلِهِ .

وفِي ذاتِ يَوْمٍ أَخَذَ قِطَعاً مَصْقُولَةً مِنَ الْحِجارَةِ إلى بَيْتِ أَحَدِ الأَغْنِياءِ ، فَرَأَى قَصْراً شاهِقاً مُرْتَفِعاً جَمِيلاً ، وشاهَدَ فِيهِ كَثِيراً مِنَ الْأَثاثِ الْفاخِرِ ، وَالْأَشْياءِ الثَّمِينَةِ الَّتِي لَمْ يَرَها مِنْ قَبْلُ ، فَدَبَّتْ فِي نَفْسِهِ عَوامِلُ الْغِبْطَةِ والسُّرُورِ . وبَدَأَ يَتَمَنَّى وَيَقُولُ : لَيْتَنِي كُنْتُ غَنِيًّا أَمْلِكُ مِثْلَ هٰذا الْقَصْرِ الجَمِيلِ . وَأَنامُ عَلَى سَرِيرٍ ذَهَبِيٍّ مَفْرُوشٍ بِالْحَرِيرِ ، تُحِيطُ بِهِ سَتائِرُ جَمِيلَةٌ ، وَأَجِدُ ما تَشْتَهِيهِ نَفْسِي ، وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنِي .



العامل اليابانى يقطع الحجارة من جانب فى الجبل

أَخذَ العامِلُ عُدَّتَهُ وآلاتِهِ ، وَذَهَبَ بِهَا إلى مَنْزِلِهِ ، فَحقَّقَ اللهُ آمالَهُ وَأُمْنِيَّاتِهِ ، فَوَجَدَ حِينَما رَجَعَ إلى بَيْتِهِ قَصْراً فَخْمًا بَدَلاً مِنْ كُوخِهِ الصَّغِير الَّذِى تَرَكَه فى الصَّباحِ . ووَجد ذٰلكَ القصْرَ مَمْلوءًا بِأَحسن أنواعِ الأَثاثِ كبيْتِ الغَنىِّ الذى تمنّاه من اللهِ . ونام قاطعُ الأَحجارِ فى تِلكِ اللَّيلة مُنَعَّماً هادئَ البالِ ، وشعَر بالسعادةِ التى تمنَّاها ، وَنام عَلَى سَريرٍ مَفروشٍ

بالحريرِ ، تُحيطُ به سَتائرُ جميلةٌ من الحَرير ، ووَجد فى القصرِ كلَّ ما يَتمنَّى وَما يَشتهى من أَثاثٍ وَمتاعٍ .

وَلمَّا أَشرقَتِ الشمسُ فى الصباحِ بنورِها الساطعِ ، وَشاهدَ ما حوْلَه من مناظرِ الثّرْوَةِ والغنَى فَضَّل أَن يَعيشَ مَعيشةَ الهُدُوءِ وَالراحةِ ، وعزَم عَلَى أَن ينقطِعَ عن العمَل ، وأَلَّا يعودَ إلى قطْعِ الأَحجارِ مرّةً أُخرَى ؛ لأَنَّ ذلك العملَ لا يُناسِب الحياةَ التى يَحْياها الآن ، وَالنَّعيمَ الذى يعيشُ فيه . ثم أَخذَ يَنظُرُ منْ نافِذَةٍ مُطلَّةٍ عَلَى الطريق ليُشاهدَ الناسَ وهم ذاهِبون إلى أَعمالِهم فى الصباح ، فلَحَظ عَجلَةً (عربَة) فَخْمَةً يَجُرُّها جَوادان منْ أَجْود أَنواعِ الْخَيْلِ ، وكان يجْرى أَمام العجلَةِ وخَلفَها بعضُ الْخَدمِ بمَلابسهم الحريريَّةِ المُزَخرفَة ، وجلَس فى تلك العجلَةِ أَميرٌ من الأُمراءِ تَبدو عليْه أَماراتُ العظمَة والأُبَّهَةِ ، وقد نَشرَ فَوْقَ رَأْسِهِ مِظَلةً ذَهَبيَّةً لِلْوقَايَةِ مِنَ الشَّمْس .

فَفِى الحَال أَخذَ قاطِعُ الأَحْجَارِ يَشْعُرُ برداءَةِ المعِيشَةِ الَّتى يَعِيشُهَا فِى ذلِكَ الْقَصْر الْجَميل ،

وَدَبَّتْ فِي نَفْسِهِ عَوامِلُ الطَّمَعِ ، فَلَمْ يَرْضَ بِالحالَةِ الَّتِي هُوَ فِيها ، وَقالَ فِي نَفْسِهِ : إِنِّي أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَمِيرًا مِنَ الأُمَراءِ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ ؛ لأَرْكَبَ عَجَلَةً مَلَكِيَّةً عَظِيمَةً ، وَعَلَى رَأْسِي مِظَلَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ ثَمِينَةٌ .

وَسَرْعانَ ما حَقَّقَ اللهُ آمالَهُ ، فَكانَ أَمِيرًا مِنَ الأُمَراءِ ، يَرْكَبُ الْمَرْكَبَةَ الْمَلَكِيَّةَ ، وَيَتَقَدَّمُهُ الْخَدَمُ وَيُحِيطُ بِهِ الحَشَمُ بِمَلابِسِهِم الحَرِيرِيَّةِ الجَمِيلَةِ ، وَأَخَذَ يَطُوفُ بِمَرْكَبَتِهِ المَلَكِيَّةِ شَوارِعَ المَدِينَةِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِظَلَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ لِتَقِيَهُ حَرارَةَ الشَّمْسِ ، واسْتَمَرَّ يَعِيشُ سَعِيدًا راضِياً ، شاعِرًا بِغِبْطَةٍ وَسُرُورٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ .

وَخَرَجَ ذاتَ يَوْمٍ يَتِيهُ بِعِزِّهِ وَسُلْطانِهِ ، فَعَجِبَ حِينَما رَأَى الشَّمْسَ قَدْ جَفَّفَتْ بَعْضَ الأَعْشابِ والنَّباتِ فِي الحَدِيقَةِ ، مَعَ شِدَّةِ تَعَهُّدِ الْبُسْتانِيِّ لَها بالإِرْواءِ والعِنايَةِ : تَنْفِيذًا لأَمْرِ سَيِّدِهِ . فَعَرَفَ أَنَّ الشَّمْسَ أَقْوَى مِنْهُ ، فَلَمْ يَرْضَ بِحالِهِ ، وَظَهَرَ طَمَعُهُ ، وَقالَ : أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ شَمْسًا .

فَأَجابَ اللهُ سُؤالَهُ ، وَحَقَّقَ لَهُ رَغْبَتَهُ ، وَحَوَّلَ

قاطِعُ الأَحْجَارِ إلى شَمْسٍ ، فَشَعَرَ بالْفَخْرِ وَالْقُوَّةِ وَالْعَظَمَةِ ، وَظَهَرَ فِي السَّماءِ كالشَّمْسِ فِي ارْتِفَاعِهَا ، وَعَظَمتها وَاصْفِرارِها . وَأَخَذَتِ الشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا الذَّهَبِيَّةَ عَلَى الكَوْنِ ، وَتُمِدُّ الكائِنَاتِ بِحَرَارَتِها ، فَتُنْضِجُ حُقُولَ الأُرْزِ وَالقُطْنِ وَتجَفِّفُها ، وَتُرْسِلُ أَنْوَارَهَا عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً ، لا فَرْقَ بَيْنَ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ ، عَظِيمِهِمْ وَحَقِيرِهِمْ ، وَتَفْخَرُ بِتأْثِيرِهَا الْعَظِيمِ فِي الكائِنَاتِ ، ولَها كلُّ الْفَضْلِ على الإنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ .

وَلٰكِنْ ذاتَ يَوْمٍ كسِفَتِ الشَّمْسُ ، وَغَطَّى السَّحابُ وَجْهَهَا ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَظْهَرَ ، فَلَمْ يَرْضَ قاطِعُ الأَحْجَارِ بِهٰذِهِ الذِّلَّةِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَقْوَى مِنْهُ ، وَقَالَ : إِنَّ السَّحَابَ أَقْوَى مِنِّي ، وَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْجُبَنِي وَيَحُولَ دُونَ عَمَلِي ، وَإِنِّي أَتَمَنَّى مِنَ اللهِ أَنْ أَكُونَ سَحاباً .

فَحَقَّقَ اللهُ رَغْبَتَه ، وَأَجابَ سُؤَالَهُ ، فَكَانَ سَحاباً . وَقَنَعَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالأَرْضِ ، وَأَخَذَ يَحْجُبُ الشَّمْسَ كَما يَشاءُ ، وَيُغَطِّي القَمَرَ كَمَا يُرِيد ،

وَيُرْسِلُ المَطَرَ إلى الأَرْضِ فتَخْضَرُّ الأَوْراقُ ، وَيحْيَا النّباتُ ، وَتَنْتَعِشُ الأَزْهارُ ، وَلكِنَّ ذلكَ لَمْ يُشْبعْ مَطامِعَهُ ، فَأَخَذَ يُنْزِلُ المَطَرَ لَيْلًا وَنَهارًا ، حَتّى فاضَتِ الأَنْهارُ ، وَتَلِفَتْ زِراعَةُ الأُرْزِ ، وَتَهَدَّمَت الأَكْواخُ وَالبُيُوتُ في المُدُنِ وَالقُرَى بِسُوءِ فِعْلِه ، وكَثْرَةِ مَطامِعِه ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَرِّه إِلَّا شَيْءٌ واحِدٌ لَمْ يَتَأَثَّرْ بتِلكَ الأَمْطارِ الكَثيرَةِ ؛ ذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ الصُّخُورُ العَظِيمَةَ الَّتى عَلَى الجَبَل ؛ فَإِنّهَا لَمْ تُبَالِ بالسَّحاب ، وَلَمْ تَتَأَثَّرْ بمَا يُرْسِلُهُ مِنْ مَطَر ، فَأَخَذَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ غاضباً ؛ هَلِ الجَبَلُ أَقْوَى مِنِّى حَتَّى اسْتَطاعَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرِّى ؟ وَعادَ إِلَيْهِ طَمَعُهُ ، فَتَمَنَّى أَن يَكُونَ جَبَلًا ، فَحَقَّقَ اللهُ أُمْنِيَتَهُ ، فَصَار جَبَلًا ، ووَقَفَ رافِعاً رأْسَهُ ، فَخُورًا بِنَفْسِهِ حاجِزًا مَنِيعاً بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الجِهات ، لا تُؤَثِّرُ فِيهِ العَواصِفُ ، وَلا يَشْعُرُ بحَرارَةِ الشَّمْس ، وَلا يَتَأَثَّرُ بالْمَطَر ، وَقالَ : إِنِّى أَحْسَنُ المَخْلوقاتِ جَمِيعاً ، وَلَيْسَ هُناكَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّى أَوْ مَنْ يُحاكِيني في شِدَّتى وَعَظَمَتى .

وَبَيْنَما كان يَسْبَحُ فِى غُرُورِه ، وَيُفَكِّرُ فِى قُوتِهِ وَعَظَمَتِهِ إِذْ سَمِعَ ضَرَبات قَوِيَّةً فى سَفْحِ الْجَبَلِ ورَأَى عامِلًا هُناكَ يَقْطَعُ الأَحْجَار بِعُدَدِهِ الحادَّةِ ، ويلْقِى بِهَا جانِباً ، أَوْ يُسَلِّط عَلَيْها مَادَّةً مُفَرْقِعَةً ، فتُمَزِّقُ منْها الْجَوانبَ ، وَتَسْقُطُ إلى الأَرْض صاغِرَةً ، فَيَعْمَلُ فِيهَا قاطِعُ الأَحْجار بِقَدُومِهِ وَمِطْرَقَتِه ، فَلا تُعَارِضُ وَلا تُبْدِى حَرَاكا ، فَهاجَ وَثَارَ ، وَشَعَرَ بِالضعْفِ والخَجَلِ حِينَ رَأَى الصُّخُورَ تَهْوِى وَتَسْقُطُ وَتَنْهَارُ ، ورَأَى أَنَّه لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ قَاطِعَ الأَحْجارِ ، فصاحَ قائِلًا : مَنْ أَقْوَى مِنِّى ؟ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزَلْزِلَ جَوانبِى ويَدُكنِى دَكًّا ؟ آه إِنَّ قَاطِعَ الأَحْجَار أَقْوَى مِنِّى ، وَإِنِّى أَتَمَنَّى مِنَ اللهِ أَنْ أَعُودَ كَمَا كُنْتُ .

فَعادَ إلى سِيرَتِهِ الأُولى ، وَصارَ عامِلاً يَقْطَعُ الأَحجارَ كَما بَدأَ ، يَذْهَبُ كُلَّ صَباحٍ إلى الجَبل ، يَقْطَعُ الْحِجارَةَ راضِياً بِحالِه . وعاشَ فى كُوخه قانِعاً بِحيَاتِهِ الَّتى أَلِفها مِنْ قَبْلُ ، وَنامَ عَلَى سَريرٍ مِنَ الْحَدِيدِ ، لَيْسَ لَدَيْهِ سَتائِرُ حَرِيرِيَّةٌ ، وَلا مِظَلَّةٌ

ذَهَبِيَّةٌ ، وَلا عَجَلَةٌ مَلَكِيّةٌ ، وَلا ثَرْوَةٌ كَبِيرةٌ ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ مِنَ الصَّباحِ إلى اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِعَمَلِه ، قانِعاً بِحَيَاتِهِ ، وَعَد نَفْسَهُ أَسْعَدَ النّاسِ جَمِيعاً .

وأَدْرَكَ العامِلُ أخيرًا أَنَّ السَّعادةَ الحقِيقيَّةَ فى الصِّحَّةِ والقُدْرَةِ على العَمل ، وكَسْبِ الإِنسانِ رِزْقَهُ منْ عَرَقِ جبينِه . وَشَعَرَ بِأَنَّ ذٰلكَ أَحْسنُ منْ أَنْ يَكُونَ غَنِيًّا أَوْ أَميرًا ، أَوْ شَمْساً أَوْ سَحاباً أَوْ جَبلًا ، منْ غيرِ جِدٍّ واجْتِهادٍ ومُثابَرَة ، بلْ بِأَمانىَّ مُجَرَّدةٍ عنِ العملِ المُنْتِج ، والسَّعْى المُفِيد. وَعاشَ العامِلُ راضِياً بحالِهِ ،قانعاً بما كانَ فيهِ حامِدًا اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والسَّعادةِ والشَّقاءِ .

أسئلة فى القصة :

(١) ما العمل الذى كان يشتغل به العامل اليابانى فى حياته الأولى ؟
(٢) ما الذى تمناه حينما كان فى قصر أحد الأغنياء ؟ (٣) ما الذى وجده العامل حينما رجع إلى منزله ؟ (٤) بماذا شعر العامل حينما رأى عجلة الأمير ؟ (٥) هل رضى بحاله حينما عرف أن الشمس أقوى منه ؟
(٦) هل قنع بأن يكون سحابًا ؟ (٧) بماذا شعر حينما صار جبلا ؟
(٨) ما الذى تمناه فى النهاية ؟ (٩) كيف عاش العامل فى حياته الأخيرة ؟
(١٠) من يذكر هذه القصة بعبارة من عنده ؟ (١١) ما الذى يستفاد من هذه القصة ؟ (١٢) اختصر هذه القصة . واكتبها بعبارة صحيحة .

القِصّةُ الثّالِثَة

الطِّفْلُ الماهِرُ

مُنذُ زَمنٍ بَعيدٍ عاشَ طفْلٌ يَتيم معَ جَدٍّ لهُ فَقير ، كانَ يَشتغِلُ بقَطْعِ الأَحْجارِ من الْجبَل ، وقدْ كانَ ذلك الطِّفْلُ ضعيفاً ، لا يقْدِرُ على العَمل الصَّعْبِ وكانَ يُحِبُّ الذَّهاب معَ جده ليشَاهِدَهُ وهُو يَقطَعُ الْحِجَارةَ ، ولم يَجدْ وَقتاً لِلَّعِب معَ أَقرانه الغِلمان .

أَحَبَّ الطفْلُ اللعبَ بقَطعِ الْحِجارة الصغيرة التى تَتناثَرُ هُنا وهُناك ، فاعْتادَ أَنْ يترُكَ جَدَّهُ يقطَعُ الْحجارةَ ويُجَهِّزُها ، ويَجلِسَ هُوَ بَعيدًا فى ناحيةٍ ؛ لينْحَتَ بقَدُوم صغيرة وَمِطْرَقةٍ اه بعضَ التَّماثيلِ ، حتَّى أَظْهرَ مَهارةً فائِقةً فى النَّحْتِ والتَّصْوير ، فأُعْجبَ جَدُّه بأَعمالهِ إعجاباً كبيرًا ، وقالَ لهُ : إنَّكَ يا بُنَىَّ ستكُونُ مثَّالًا ماهِرًا ، وستَصيرُ ذا شأْنٍ عَظيمٍ فى النَّحتِ والتَّصويرِ إن شاءَ اللهُ .

وكانَ إذا عادَ مَساءً إلى البيْتِ سأَلتْهُ جَدَّتُه : ماذا فعلْتَ اليومَ أَيُّها المَثَّالُ الصغيرُ ، المُحبُّ المفنّ الجميل ؟ ثم تأْخُذه على حِجْرها ، وتُغنِّى له بعضَ

الأَغانى العَذْبة ، وتقُصُّ عليْه بعضَ القصصِ اللذيذة ، فتُغَذِّى عقلَه بِصُورٍ جميلة ، وتُنمِّى خيالَه بأَفكار سارّة ، فَيُحاول أَن يُمثِّلَ تلك الصُّوَرَ بالْحِجارة أَو الصَّلصالِ عندما يذهبُ مع جدِّه فى اليوم التالى إلى المحْجَرِ ، وهو مكانُ قطعِ الْحَجَر .

وكان فى المَدينةِ التى يعيش فيها ذلك الطفلُ اليتيمُ رجلٌ ثَرِىٌّ (غَنِىٌّ) من الأَغنياءِ ، أَعْطاه الله كثيرًا من المال ، اعتاد أَن يُقيمَ فى بعضِ الأَحيانِ وَلائِمَ فاخرةً لِمن يزورُه من أَصدقائه الذين يَقصدونه ، وكان لذلك الطفلِ إلمامٌ بشُئون المَطبخ من غَسْلِ الأَوَانى والأَطباق ، فكان يذهب مع جده إلى قصرِ الغنىِّ للمُساعدة من حِين إلى آخرَ .

وقد حدثَ ذات يومٍ أَن أَوْلم الغنىُّ وَليمةً عظيمة ، فذهب الغلامُ لِيساعدَ الخَدَم . وبيْنما كان أَحدُ الخدمِ يُعِدُّ المائدةَ إذ حَدثَ صَوتُ كَسرٍ فى حجرة الطّعام أَثَار انتِباهَ الجميع ، وخرجَ الخادمُ بعد ما حَدث أَصفرَ اللّون يَرتعِدُ خوفاً ، وهو يصيحُ :

أَوّاهُ ! ماذا أَفعلُ ؟ لقد كَسَرتُ التِّمثالَ الذى تَزدانُ به المائدةُ ، ولا أَدْرى كَيف أُجَمِّلها بعد فَقدِه ؟ وماذا يقول سيِّدى اليوْمَ ؟

وقَدْ أَخذَ الخدمُ يفكِّرُون وقلوبُهم وَاجِفةٌ مُضطَرِبة ، وأَفئدتُهم وَجِلةٌ خائفة ، لا يَدْرون ماذا يفعلون . وأَخذوا يتساءَلون : ماذا نَفعل ؟

سَمِع الغلامُ الصغيرُ حَديثَهم ؛ فتركَ ما بيَده من آنِيةٍ وأَطباق ، وذهبَ إلى الخادمِ الذى كَسرَ التمثالَ . وقال لَه : إذا صنعْتُ لك تِمثالاً فَهلْ تستَطيعُ أَن تُرتِّبَ المائدةَ ؟

فأَجاب الخادمُ : بكلِّ تأْكِيدٍ أَستطيع أَن أُرتِّبَها جيِّدًا إِذا كان التِّمثالُ ملائماً .

فسأَله الغلامُ : أَتَسْمَحُ لى أَن أُحاوِلَ صُنعَ تمْثالِكَ ؟

فضَحِكَ منه الخادمُ ، وسَخِر من كلامِه وقال : مَن أَنتَ حتَّى تَتكلَّمَ فى صنع تمثالٍ فى ساعةٍ ؟

فأَجاب الغلامُ : أَنَا حسنٌ الصَّغيرُ ، أُجيدُ صنعَ التماثيلِ ، كما أُجيد الرسمَ والتصْويرَ . فأَوْمأَ إِليه الخدَمُ (أَشاروا) وقالوا : دَعْه يُجرِّب ما يستطيعُ أَن

يفعلَ ، فسمحَ له الخادم ، وأَجاب طَلبَه .

أَحضرَ له الخادمُ الصَّلصالَ ، فأَخَذَ حَسنُ السِّكِّينَ ، وجلَس يَعملُ ليصنعَ من الصَّلصالِ تمثالًا. ولم تَمُرّ سوَى دقائقَ مَعدودة حتى صنعَ تِمثالًا لأَسدٍ رابض . فتجمَّع الخدمُ حَوْلَه ، وقد دَهِشوا جميعاً وصاحوا : يا لَه من تِمثالٍ رائِعٍ ! إِنه أَجملُ من التمثال الذى كُسِر .

أَتَمَّ حَسنٌ التِّمثالٍ ، وحَمَله الخادمُ ، ووَضَعه على المائِدَة ، فظهرت فى أَجْملِ رَوْنقٍ ، وأَبْدعِ زينةٍ. وقال الخادم : إِنَّ ذلك أَجملُ ممّا لوْ تُرِكَتْ عارِيةً جَرداءَ .

وحينما حَضر الثَّرىُّ (الغَنىُّ) وأَصدقاؤه ، وجَلسوا لتَناوُلِ الغَدَاءِ ، رأَوْا ذالك الأَسَدَ الرابضَ ، فأُعجبوا به وقالوا : إِنَّ هذا التِّمثالَ قطعةٌ جميلة من الْفَنِّ ، لا يستطيعُ أَحدٌ أَن يصنَعه إلا إِذا كان مُفْتَنًّا ماهرًا فى صُنعِ التماثيل ، ثم أَخذوا يَسْأَلون الغنىَّ عن ذلك المُفتَنِّ العظيم . فقال :

حَقًّا أَيها الأَصدقاءُ إِنى أُعجبُ بهذا التِّمثالِ كما

تُعجبونَ . ولا أَدْرى عنه شَيئاً . ثم دعَا رئيسَ الخدَمِ وسأَله : مِن أَيْنَ أَتَيتَ بهذا التمثالِ الجميلِ ؟

فأَجاب : لقدْ صنَعه مُنذُ ساعةٍ غُلامٌ يتيمٌ بالمطبخ يُدْعَى حَسناً .

فعَجِب الجميعُ لذلك ، وأَمروا الخادمَ باستِدْعاءِ الغُلامِ فلمَّا حضَرَ قال له الثَّرىُّ : يا بنىَّ العزيزَ ! لقد قُمتَ اليوْمَ بعمَلِ قطعةٍ جميلة فنِّيةٍ رائعة ، يَفخرُ بها المثّالون الماهرون ، ورِجالُ الفَنِّ العُظماءُ . فما اسمُك ؟ ومَن مُعلِّمك ؟

فأَجاب الفتَى : اسمى حَسنٌ . ولَيس لى مُعلِّمٌ سِوَى جَدِّى قاطِعِ الْحِجارةِ .

فتجمَّع الضُّيوفُ حَوْلَه ، وأُعجبوا بفنِّه الجميلِ ، ومهارته الفائقَةِ فى صُنعِ التماثيل وقد كان مِن بَينهم رِجالٌ مَشهورونَ مِن رجالِ الفنِّ ، فأَدركوا أَن الغلامَ سيَكُونُ عَبْقَرِيًّا ماهرًا ، وأَجلسوه معَهم عَلَى المائِدَة . وجَعلوا هذهِ الوليمةَ تكْريماً لِذلِك الطفلِ الماهِرِ الصغيرِ .



تجمع الكل حول الطفل ، وأعجبوا بمهارته الفنية

وفى اليوْمِ التالى أَرسل الثَّرِىُّ إِلى حَسن ، وبعثَ به إِلى أَمْهَرِ رجالِ الفنِّ والمَثَّالين ؛ ليُعلموهُ ذلِك الفنَّ الذى أَظهرَ رغبةً فيه ، ومَيْلاً إِليه بطبيعتِه . فشكرَ له حَسنٌ عَطفَهُ ، والعِنايةَ بتَرْبيتِه .

وبعد بِضعِ سنَواتٍ صار حَسنٌ من أَعْظمِ النَّحَّاتين المثّالينَ فى العالَمِ ، يَصْنعُ تماثيلَ من المَرْمَر والرُّخام ، بَدَلًا من تماثيل الصَّلصالِ والأَحْجارِ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى اعتاد الطفل أن يفعله وجده بقطع الحجارة ؟
(٢) ماذا حدث والخادم يعد المائدة ؟
(٣) من الذى صنع التمثال الجديد ؟
(٤) ما الذى أعجب به الضيوف وهم على المائدة ؟
(٥) كيف كرم الضيوف هذا الطفل الماهر ؟
(٦) ماذا فعل الغنى مع الطفل ؟
(٧) اذكر هذه القصة .
(٨) اختصر هذه القصة ، واكتبها بعبارة من عندك .

(ب) رتب الكلمات الآتية ؛ لتكون منها عبارة صحيحة :
حسن ، للغنى ، بتربيته ، قد ، وعنايته ، عطفه ، شكر

(ح) اكتب الجزء الأخير من القصة مرة بخط النسخ ، ومرة بخط الرقعة .

القصة الرابعة

في سبيل الواجب

مُوسَى رَجُلٌ هادئ ثابتٌ ، تَبدو على وجهِه علاماتُ الرِّضا ، وتظهرُ في أعمالِهِ أماراتُ الجِدِّ والاستقامةِ . مَكَثَ بفِرَقِ المَطافئِ أكثرَ منْ عِشرين سنةً عُرِفَ في أثنائها بيْنَ زُملائِه بالشجاعةِ والإِقدام ، والإِخلاصِ في العَمل ، وَأَداءِ الواجبِ ؛ إذ امْتلأَتْ نفْسُه بحُبِ مِهْنتِه ، فوهَبَ لها كلَّ قوَّتِه وَحَياتِه .

وَلقدِ انْتَقلَ من فِرْقةِ الْمطَافئِ بالإِسْكَندريةِ إلى فِرْقةِ المَطافئ بالقاهِرةِ ، فأَتَى من الأَعمالِ ما حَبَّبَ فيهِ رُؤَساءَهُ ، وَأَظهرَ منَ الصِّفاتِ الْحَميدةِ ، والأَخلاقِ الحسَنَةِ ، ما أَوْجَبَ حُبَّ رُفقائِه واحترامهُمْ ، وَعلى عادَةِ جُنودِ المطافئ كان مُوسى يتَمتَّعُ بعُطلةِ نِصْف يَوْمٍ كلَّ أُسبوعٍ ، يَقضيهِ بيْنَ أَهْلِه وَأَوْلادِه . فَبعدَ أَن أَتمَّ أَعْمالَه في يومٍ من أَيَّامِ عُطلتِه ترَكَ مَقرَّ عَمَلِه ، واتَّجَهَ إلى مَنزِله حَيثُ كانَ أَولادُه ينتَظِرُونَه ؛ ليأْخُذَهُمْ للرِّياضةِ بحديقةِ قصْرِ النِّيل كما وَعدَهُمْ .

وَما كادَ يَبْتعدُ عن مَقرِّ عَمَلِه قليلًا حتَّى سمِعَ صَوتَ ناقوس الْخَطَرِ ، فوقف يُصْغى ، ولكنْ لَم يَطلْ إِصغاؤُهُ ؛ إِذْ مَرَّتْ أَمامَه سيِّارة المطافئ مسرعةً فى سَيْرِها ، تقْطَعُ الأَرْضَ قَطعاً ، وَتطْوِى المَسافةَ طَيًّا ، وعليْها رُفقاؤُه ، وَمعهُمْ آلاتُ المَطافئ ، وَقد ظَهرَ على وُجوهِهِمْ دَليلُ الاِهْتِمامِ ، وانْطبَعَ على جباهِهِمْ إِثرُ التَّلَهُّفِ على الْقيامِ بالواجبِ ، وَسَمِعَ أَحَدُهُمْ يُناديهِ قائلًا : لقدْ ضاعَتْ مِنكَ الفُرصة يا مُوسَى .

وَلم تَترُكْ لهُ السيِّارةُ المُسرِعَةُ فُرصةً فى أَنْ يذْهبَ بها ؛ فقدْ شَقتِ الطَّريق على عَجل ، وَاتجهَت فى سيْرِها إلى مَكانِ الحادِث ، وَتركتْه يُفكِّرُ فى القِيامِ بواجبِه ، رجُلًا من رجالِ المطافئ ، خَدمَ المُرُوءَةَ والإِنسانيَّةَ ، وأَخلَصَ فى عَملِه ، وقامَ بِمهْنتِه خيْرَ قيامٍ ، طولَ المُدَّةِ الَّتى قَضاها فى الْخِدمةِ . وَقد حَملَتْهُ هِمَّتُه العَظيمة ، وَمرُوءَتُه الْعاليَةُ على أَنْ يخاطِبَ نفسَهُ قائلًا :

« كيفَ تَذْهَبُ إلى الحديقةِ تَنعمُ فِيها وتتمتَّعُ ، وغيرُك منْ بَنِى الْوَطن يَلتَهبُ ويَحترِقُ ؟ إِنَّ مُوسى

لَيسَ بالرَّجُلِ الذى يُفكرُ فى نفسِه وأُسرتِه وَيَنسَى واجبَهُ وأَبناءَ وَطنِه . »

لقدْ خاطبَ نفسَه بهذِهِ العباراتِ المُؤَثِّرةِ الَّتى تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْعاطفةِ ، ورِقَّةِ الشعورِ ، والوطنيَّةِ ، والْأَمانةِ فى أَداءِ الواجبِ ، فى حين أَنَّ سيَّارةَ الحريقِ قدِ اختْفَتْ عن عَينَيْهِ ، وكان من العَبَثِ أَن يُحَاولَ اللَّحاقَ بها . لكنَّه لَمْ يَلْحَقْه الْيأْسُ ، أَوْ يُدْرِكْهُ الضَّعْفُ ، بلْ صَمَّمَ فى الذِّهابِ إِلى مكانِ الحَريقِ ؛ ليَشْترِكَ فى إِطفائِه ، ويُؤَدِّىَ واجبَه مهما يُكلِّفْه الأَمْرُ .

ولِحُسنِ حَظِّه فى ذلكَ الوقتِ رأَى سيَّارةً تَنطلِقُ مُسرعةً ، فأَشارَ إِلى صاحبِها بالوُقوفِ ، فوقفَ ، ثمَّ أَخبْرَهُ الخَبرَ ، ورجاهُ أَن يَسيرَ بهِ فى طريقِ سَيَّارة المطافئِ حتى يُدْرِكَ زُملاءَهُ ، وَيُقاسمَهمْ شَرفَ أَداءِ الواجبِ وَإِخمادِ النار ، فلمْ يتَردَّدْ صاحبُ السيَّارةِ فى إِجابَتِه إِلى ما طَلبَ ، وَأَركَبَه مَعهُ ، وَمَضى مُسْرعاً مُتتبِّعاً رِجالَ الْمطافى حتى وصَل إِلى مكانِ الْحَريقِ . فشكَرَ مُوسى لصاحب السيَّارة جَميلَ صُنْعِه .

وهُناك رأى النِّيرانَ مُشتَعِلة فى السُّقُفِ ، قدْ عَلا لَهبُها ، وَتطَايرَ شَرَرُها ، مُتمايلةً مَرَّةً إلى اليَمينِ ، وَأُخرى إلى الْيَسارِ. وَما كانَ أَشدَّ ما أَتْلَفتْ ، وأَقْسَى مَا خَرَّبتْ . فما كانتْ تُبْقى وَلاتتْرُكُ شَيئاً ممَّا يُصادفُها ؛ فَهذه الْأَبوابُ قد حُرِّقتْ ، وتلْكَ النَّوافذُ قدْ أُحيطَتْ بالنِّيرانِ ، وهٰذه الجُدرانُ تَكادُ تتَساقطُ من فعْلِها ، وهٰؤُلاءِ السُّكانُ بتِلكَ المنَازِل قدْ شُوِّهتْ وُجوهُهُمْ ، ولَحقتْ النارُ بِأَطرافِهِمْ ومَلابسِهِمْ ، وكادَ الدُّخانُ الْمُتصاعدُ الخَانقُ يَقْضى على حياتهِمْ .

هٰذه هىَ حالُ هٰؤلاءِ المساكينِ الذينَ قدِ اقتَرَبوا من الموْتِ ، وَدنَوْا من الهلاكِ ، وَصاروا فى حاجةٍ شَديدة إلىهمة الجبابرةِ ، وَعزيمة ذَوى الشجاعةِ والإِقدامِ .

فتَقَدَّمَ موسَى بقَلبٍ شُجَاعٍ ، وَعَزْمٍ راسخٍ ، وَأَخذَ مكانَهُ بَيْنَ زُمَلائه ، غيْرَ هَيَّابٍ وَلا مُتردِّدٍ ، وَلا مُبالٍ بما يَلْحَقُه من الْأَذَى ، فى وَقتٍ قدِ امْتَدَّتْ فيه النِّيرَانُ ، واتَّسعَ خَطرُها ، واسْتمرَّ لهبُهَا ، وَأَوْشكَتِ النوافذُ والجدرانُ أَن تَسْقطَ وَتنهارَ .

وَصارَ منَ المُتَعَذِّرِ - إن لمْ يَكُنْ منَ المُسْتحيل - أَن يتقدَّمَ أَحدٌ من الجُنودِ لإِنقَاذِ من بالحُجْرةِ العُليا من الأَطفالِ والنِّساءِ . وعَلَى الرَّغمِ من ذلك كانَت أَصواتُ الجَمْعِ الحاشِدِ ترنُّ فى الفضاءِ صارخة مُستَغيثَةً : الأَطفالَ . الأَطفالَ . النِّساءَ . النساءَ .



رجال المطافئ يطفئون الحريق وموسى يضحى بنفسه فى سبيل أداء الواجب

فَلمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ منَ الْواقفينَ على أَن يَمُدَّ يَدَ

المَعونَةِ لهٰؤلاءِ البائسينَ والبائساتِ من الأَطفال والسَّيِّداتِ . وأَيقَنَ الناسُ جَميعاً أَن هٰؤلاءِ سيصيرونَ بعْد لَحْظةٍ فى جَوْفِ الجَحيمِ ، تُذيبُهُم النِّيرانُ ، وتَتْرُكُهمْ هَشيماً تَعبَثُ بهِ الرِّياحُ ، فبُهتوا وتَحَيَّروا ، وَعلَتْ وُجوهَهُمْ سَحائبُ الحزنِ والكآبة . وَلكنَّ موسى قطَعَ التفكيرَ على هٰؤلاءِ جميعاً . وبدَّلَ حزنَهُمْ واسْتِسْلامَهُمْ دَهْشةً وعَجَباً ؛إِذ رأَوْهُ يتقَدّمُ الجمْعَ بثباتٍ وَجُرأَةٍ ، لإِنقاذِ من يَسْتطيعُ إِنقاذَهُم .

وارتَقَى موسى سُلَّمَ الإِنقاذِ إِلى نافذة كيْ يَصِلَ إِلى الحُجْرَةِ العُليا ، فارْتفعَتِ الأَصواتُ مُنبِّهةً إِلى الخَطر المُحيطِ به قائلة : الحذرَ الحذرَ ! إِذ كانت السُّقُفُ المُحْترقةُ تتساقطُ بكثْرَةٍ ، والجُدرانُ تَتشقَّقُ وتنهارُ ، فلمْ يَعبأْ ولَمْ يَأْبهْ بذلكَ التحْذير ، ودخَل الغرفةَ بيْنَ النِّيرانِ المُتأَجِّجَة المُسْتَعِرَة ، وأَمامَ الخَطرِ المُحقَّقِ ، وساعدَ النِّساءَ فى الوُصول إِلى السُّلَّمِ ، ليَنزلْنَ بَعيداتٍ عن النِّيرانِ ، وحاول أَن يحْملَ طفلَيْنِ لِينزلَ بِهِما ، فعاجَلتْهُم المَنِيَّةُ (الموت) ؛

إذ سقطَ عليْهمُ السَّقْفُ من فوْقِهِمْ ، وأَتَاهُمُ الموْتُ مِن حَيثُ لا يَشعُرونَ ، ففارقوا الْحَياةَ ، وقَضَوْا نَحبَهُمْ بيْنَ صُراخِ الرِّجالِ ووَلْولةِ النِّساءِ .

ولمّا أَتمَّ رجالُ المَطافي واجبهُمْ ، وأَخْمَدُوا ثَوْرَةَ النِّيرانِ ، أَخَذوا يَبحثونَ بَيْنَ الأَنْقاضِ عن زميلِهِم ، فوَجدوهُ جثَّةً هامِدةً ، قد أَسْلَمَ الرُّوحَ لِبارِئِهِ وخالِقه ، وفارقَ الحياةَ ومن فِيها وما فيها ، ووَجَدُوا وَجْهَه لا يزالُ ناطِقًا بِحُبِّ التّضْحِيةِ ، وإِنْكارِ الذّاتِ ، وعُلُو الهِمَّةِ ، والإِخْلاصِ فى أَداءِ الواجِب .

وهكذا قَضَى موسَى عُطْلتَهُ الأُسْبوعِيَّةَ فى إِرْضاءِ اللهِ وضَميرِهِ ، والقِيامِ بالواجِبِ الإِنسانيِّ العَظيمِ . ولمثْل هذا فلْيَعْملِ الْعامِلونَ .

أسئلة فى القصة :

(١) بماذا شعر موسى حينما مرت به سيارة المطافئ ؟ (٢) كيف وصل موسى إلى مكان الحريق ؟
(٣) ما الذى رآه حينما وصل إلى المكان ؟ (٤) هل أنقذ من كان بالحجرة العليا من الأطفال ؟ (٥) ماذا حدث له فى أثناء قيامه بالواجب ؟
(٦) من يذكر هذه القصة ؟ (٧) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة .
(٨) اختصر هذه القصة . واكتبها بعبارة صحيحة .

القِصَّةُ الخامِسَة

العَمَلُ هُوَ الْحَيَاةُ

يُحْكَى أَن فتاةً غَنِيَّةً كانتْ تميلُ إلى الكَسَل. وتُحِبُّ الرَّاحةَ، وتكْرهُ الْعَملَ. فأَدْركتْ أُمُّها أَنَّها إن تركَتْها عَلَى هذهِ الحال اعْتادتِ الكَسلَ، وشَبَّتْ تكْرهُ العملَ، وفى هذا ضَرَرٌ لها فى مُسْتقْبَلِها.

وفى ذاتِ يوْمٍ نادتْها أُمُّها وأَجْلَسَتْها، وقالتْ لها: إنكِ الآنَ تَسْتطِيعِينَ العَملَ. فاعْمَلى أَىَّ شىءٍ تُحِبِّينه حتى تعْتادى الْعَمَل من الصِّغرِ. ولكنَّ الْفَتاةَ رجَتْ أُمها أَن تُعْفِيَهَا منَ الْعَمِل الآنَ، وتَسْمحَ لها بالذِّهابِ إلى الْحَدِيقَة، والتَّمتُّع بمناظِرها الجَميلَةِ بَعْضَ الوقْتِ.

فسمَحتْ لها أُمُّها، فأَخذتِ الْفتاةُ تجرى حتى ذهَبتْ إلى الحديقَة، فرأَتْ فيها طائرًا أَحْمَرَ، فسأَلَتْه: أَيُّها الطائرُ الأَحمرُ. أَليسَ لديْكَ عملٌ تَعْمَلُهُ؟ هلْ كلُّ ما تُفكِّرُ فيهِ أَن تأْكلَ الْبُنْدقَ منَ الصَّباحِ إلى المساءِ؟

فأَجابَها الطائرُ: أَتَظنِّينَ يا سَيِّدَتى أَنِّى الآنَ لا أعْمَل؟ إنى أَعْمَلُ دائِماً، ولا أَنقطِعُ يوْماً عن

العَمَلِ . وكيفَ أتهاوَنُ وَأَكْسلُ ، وعندِى أُسْرَةٌ كبيرةٌ أَعُولُها ، وَأَجْمَعُ قوتَها الَّذِى يَكْفِيها طولَ الشِّتاءِ ؟ فأَنا الآنَ أَجمعُ قوتى وقوتَ أُسْرَتى لليَومِ وَالْغَدِ ، وبَعْدَ الْغدِ .

فتأَثَّرتِ الْفتاةُ ممَّا سمِعتْ منَ الطَّائر وجِدِّهِ فى الْعَملِ . وسارَتْ فى الحدِيقَةِ حتى رأَتْ نحْلَةً منَ النحْلِ ، فسأَلتْها الْفتاةُ :

أَيَّتُها النَّحلةُ ، هلْ عِنْدَكِ عملٌ تقُومينَ به ؟

فأَجابتْها النَّحلةُ : نعَمْ يا سيِّدَتى ! إن عِندى أَعمالًا كثِيرةً ؛ فأَنا أَطيرُ من زَهْرةٍ إلى زهرَةٍ ، وأَجْمعُ رحيقَ هذهِ الأَزهار، وأُخْرِجُ مِنهُ طَعاماً لَذيذًا لِلنَّاسِ ، وَأَظُنُّ أَنكِ قد ذُقْتِ هذا الطَّعامَ وهُو عَسلُ النَّحلِ .

فأَثَّرَ هذا الجوابُ أَيضاً فى نفسِ الفتاةِ ، وأَخَذتْ تُفكِّرُ وَهى فى الْحَدِيقة حتى رأَتْ نملَةً تحمِلُ أَثْقالًا من فُتاتِ الْخُبْزِ ، فسأَلتْها الْفتاةُ : أَليْسَ هذا الْحِمْلُ ثقِيلًا عليكِ أَيَّتها النَّملةُ؟ اتركِى هذا الْحِمْلَ ، وَتعالَىْ لِلَّعِبِ مَعِى ، وَلا تُحمِّلِى نفسَكِ مالا طاقةَ لكِ بهِ .

فأَجابتِ النَّملةُ : إنَّنى مَسْرورةٌ جِدًّا لِحُصُولى

على هذا الطَّعَامِ مَهْما يُكلِّفني من الْمَشَقَّةِ والتَّعبِ . ولَيْس عِندِي وقتٌ لِلّهوِ وَالَّلعِب بما لا يُفِيدُ ؛ فقدْ داسَ رجلٌ قاسِي القلْبِ مَسْكنَنَا وَمأْوَانا وخَرَّبَهُ ، وأَصْبحَ فى حالة يُرْثَى لها ، ولكنَّنا فكَّرْنا فى أَلَّا نَسْتَسْلِمَ لِليأْسِ ، وأَن نتْرُكَ هذا الْمَكانَ ، ونَبْحَثَ عنْ مَكانٍ آخرَ ، ونعْمَلَ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى هذهِ الْمَتاعِبِ ، حتى نجدَ لنا مَسْكناً نستريحُ فيه . كلُّ هذا الْعمَلِ ينتَظِرُنى . وإنى ذاهبَةٌ لأَقومَ بنَصيبي من الْعَمل معَ بقِيَّةِ الأُسْرةِ .

أَلْقَتِ النَّملة هذه النَّصيحةَ الغاليةَ ، فتأَثَّرتْ بها الْفَتاةُ تأَثُّرًا شديدًا ، وأَخَذتْ تُفكِّرُ فى هذه الدرُوس التى سَمِعتْها من الطائرِ والنَّحلةِ والنَّملةِ ، وعَلِمتْ أَنَ الحياةَ يجِبُ أَن تُملأَ بالْعَمِلِ ، وأَنَّ الْمَخْلوقاتِ ـ منَ الإِنْسانِ والْحَيوَان والْحَشَرَاتِ ـ كلَّها تعْمَلُ لتعِيشَ .

وبَيْنَما كانَتْ تُفَكِّرُ إِذْ ظَنَّتْ أَنَّ النَّباتَ رُبَّما لا يَعْملُ منْ بينِ ما خَلَقَ اللهُ ، فَوَقَعَ نَظَرُها على زهْرَةِ قَرَنْفُلٍ ، فاتجَهَتْ نَحْوَها ، وسأَلَتْها السُّؤَالَ الَّذِى شَغلَ بالَها ، وَمَلأَ قَلْبَها : هَلْ تعمَلينَ أَيَّتُهَا الزَّهْرةُ الْجَميلَةُ ؟

فأَجابَت الزهْرَةُ : نعمْ يا سيِّدَتى ! إِنِّى أَعْمل ،



الفتاة الغنية تأثرت بالدروس التى سمعتها من الطائر والنحلة والنملة

وأَعْمَلُ كثيرًا ؛ فأَنَا أَجْمعُ فى الصَّباحِ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ، وأَجْتَفِظُ بِها فى أَوْراقِى ، وإِنَّ جُذورِى تَمْتَدُ فى الأَرْضِ تَطْلُبُ الغذاءَ والمَاءَ . فَكَلُّ جُزْءٍ منْ أَجْزائِى يَعْمَلُ .

وهُنا اقْتَنَعَت الفَتاةُ ، وأَقْنَعَت نَفْسها بِفِكْرَةِ العَمَل ، فتركَتِ الْحَديقَةَ وجَرَتْ إلى أُمِّها ، وقدْ عزمَتْ عَلَى أَنْ تَعْمَلَ كلَّ عَمَل تستطيعُهُ ، وأَنْ تَترُكَ الكَسَلَ . فلمَّا وصَلتْ إلى أُمِّها قالتْ : أُمِّى العَزيزَةَ ، لقَدْ فَهمتُ فائِدَةَ العَمَلِ ، وعَرَفتُ أَنَّهُ سِلاحٌ لِمَنْ يُريد الْحَياةَ . وإِنى أَعْتَذِرُ عنْ كَسَلِى فيما مَضَى ، ومُستَعِدَّةٌ لأَنْ أَعْمَلَ ما تأْمُرِينَنى بهِ يا أُمِّى .

فسُرَّتِ الأُمُّ كثيرًا منْ تَفَهُّم ابنَتِهَا معْنَى العَمَلِ ، وسَهَّلتْ لَها أَسْبَابَهُ ، فأَقْبَلتِ الفتاةُ عَليْهِ بقلبها ، فوجَدتْ فيهِ لذَّةً كبيرَةً ، وَأَدْركتْ أَنَّ العَمَلَ هُوَ الْحَياةُ .

(أ) أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى كانت تحبه الفتاة الغنية ؟

(٢) ما الدرس الذى تعلمته الفتاة من الطائر ؟

(٣) ما الدرس الذى تعلمته من النحلة ؟

(٤) هل تعلمت الفتاة من النملة شيئًا ؟

(٥) بماذا أجابت الزهرة الفتاة ؟

(٦) ما الذى قالته الفتاة لأمها فى النهاية ؟

(٧) ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟

(٨) من يعيد هذه القصة ؟

(٩) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة .

(ب) اختصر هذه القصة ، واكتبها بعبارة صحيحة .

(حـ) رتب الكلمات الآتية ؛ لتكون منها عبارة صحيحة :

عن ، الفتاة ، كسلها ، اعتذرت ، للعمل ، واستعدَّت

(د) اكتب الأسطر الثلاثة الأخيرة من القصة : مرة بخط النسخ ، ومرة بخط الرقعة .

القِصَّةُ السَّادِسَةُ

التَّاجِرُ المُحْسِنُ

مُنذُ سَنواتٍ عاشَ شابٌ نَحيفُ الجسمِ اسْمُهُ جَلالٌ فى قَرْيَةٍ من القُرَى ، يخدُمُ فى منزلِ أحَدِ الأغنياءِ . بَعدَ أنْ تركَ المَدْرَسَةَ . ولٰكِنَّهُ لَمْ يَرْضَ بهٰذا العَيْشِ ، فَذَهبَ إلى عَمِّهِ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، لِيبْحَثَ لهُ عَنْ عَمَلٍ يُناسِبُهُ ، فأَخَذه عَمُّهُ لِيكونَ كاتِباً عِنْدَهُ فى مَحَلِّ تِجارَتِه .

وقَدْ رَأَى فيه عمُّهُ ذكاءً ، وأَخْلاقاً حَسنَةً ، وحُبا لِلْعَمَلِ فى هُدوءٍ ، فأَحَبَّهُ عمُّهُ ، وأَحَبَّهُ كل منْ عرفهُ . وقالَ عمُّه فى نفْسِهِ : إنى أَعتقدُ أَنَّهُ سيكونُ لِجلال ابْنِ أَخِى حَظٌّ كبيرٌ فى المُسْتَقْبَلِ إنْ شاءَ الله ، وَسَيَنْجَحُ فى كلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُهُ فى الحَيَاةِ . أَخَذَ جَلالٌ يَعْمَلُ بِأَمانَةٍ واجْتهادٍ فى مَخْزَنِ عمِّهِ ، وما كانَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَراهُ يَظُنُّ أَنهُ سيكُون تاجِراً عَظيماً فى يَوْمٍ من الأَيام .

استَمرَّ جَلالٌ يَشْتَغِلُ بالتجارةِ مع عمِّه بإخلاصٍ ، حتَّى أَصْبحَ النَّاسُ كبيرهم وصَغيرُهم يأْتَمِنُونَه ويَثِقُونَ به . وبعدَ أَشْهُر قليلةٍ صارَ ماهِراً فى تِجارةِ الحريرِ ،

والصُّوفِ والمَلابِسِ ، وعَرَفَ فى وقتٍ قصيرٍ أَحوالَ السُّوقِ والتِّجارةِ ، وطُرُقَ البَيعِ والشِّراءِ . وكانَ أَميناً فى جميعِ مُعامَلاتِهِ ، مُؤَدَّباً معَ مَنْ يُعاملُه ، صغيراً كانَ أَوْ كبيرًا ، غنيًّا أَوْ فقيرًا .

ولِأَمانتِه كان يَترُكُ الْمُشْترى حُرًّا يَختارُ ما يشاءُ ، ولا يَجبُرُ أَحدًا على أَنْ يَشْترى ما لا يُريدُ .

ظَهرَ ذَكاءُ جلال بينَ التُّجارِ فى النَّواحى التِّجاريَّة ، فعرَضَ عليْهِ رجُلٌ غَنيٌّ اسْمه الْبِنْهاوىُّ أَنْ يَكُونَ شريكاً لهُ فى التِّجارةِ ، وأَنْ يفتَحا مَحلاًّ تجاريًّا معاً بعد أَنْ يَسْتأْذن عَمَّه .

فَأَذِنَ لهُ عَمُّه ، وفَتحَا مَحَلاً تجاريًّا ، وقامَ الغنىُّ بِدَفْعِ رَأْسِ المالِ ، وتعهَّدَ جلالٌ بإِدارة الشَّركةِ ، واتَّفقَا على أَنْ يُقسِّما الأَرْباحَ بيْنَهما بالتَّساوى ، فيأْخُذَ كلٌّ منْهما نِصْفَ الأَرْباحِ .

وفُتِحَت الشَّركةُ التِّجاريَّةُ باسْمِ جلالٍ والبنْهاوىِّ ، وأَخذَت الشَّركةُ تَبيعُ بِصِدْقٍ وأَمانةٍ لِصِغارِ التُّجار ، فلقِيَتْ نجاحاً كبيرًا . وبعْدَ مُضِىِّ سَنواتٍ فُتِحَتْ



جلال يعرض بكل أدب الحرير والصوف على المشترين

فُرُوعٌ جَدِيدَةٌ للشَّركة فى جِهاتٍ أُخْرى ، وصارَ جَلالٌ مِنَ الأَغْنِياءِ . ولسبَبٍ منَ الأَسْبابِ تركَ البِنهاوِىُّ الشَّرِكةَ ، وأَخذ حقَّهُ منها ، فوجَدَ جلالٌ نفْسَهُ فى عَمَلٍ كَثيرِ الربْحِ ، وعمْرُهُ ثَلاثونَ سنَة .

كانَتْ أَعمالُه التِّجاريّةُ تتطلَّبُ سَفرَهُ إلى القاهرةِ كثيرًا . فوجَدَ أَن منَ الصَّوابَ أَن يُوَفِّرَ كثيرًا من وقْته ، ويُوَفِّرَ كثيرًا منْ تعَبه ، فجَعَلَ مرْكزَهُ الرَّئيسىَّ بالْقاهِرَةِ ، وأَقامَ بها ، وبدَأَ حياتَهُ مُستقِلاً فى عَمله ، واسْتمرَّ فى تجارته حتى صارَ منْ كِبارِ الأَغْنِياءِ .

وقدْ تبرَّعَ بكثيرٍ منَ المالِ لأَعْمالِ الخيْرِ والإحْسانِ ، فبَنَى مدرسةً فى قرْيتِه التى نَشأَ بها ، وتبرّع بآلافٍ منَ (الْجُنَيهاتِ) لتأْسِيسِ مُسْتشفى المَرْضَى من الفُقراءِ ، وتبرَّعَ للعُمَّال بكثيرٍ من المالِ لبناءِ مَساكِنَ صِحِّيَّة لهمْ .

وَقدْ شَكَرَتْ لهُ الأُمَّةُ هذا العَملَ النبيلَ ، وَحاوَلَ أَهْل قرْيتِه أَن يُعبِّرُوا عنْ حُبِّهمْ وَقَدْرِهم لأَعمالِه الخيريةِ ، فعرَضُوا عليْهِ أَنْ يُقِيمُوا له حَفْلًا يذْكرُونَ

فيه ما قامَ به منَ الأعمالِ ، فَشَكَرَ لهمْ حُبَّهُمْ ، ورفَضَ ذلكَ بكلِّ أَدَبٍ وتواضُعٍ .

عَرفَ رئيسُ البلادِ ما قامَ به من أَعمال الخيْرِ ، فرَغبَ أَن يمنحَهُ جائِزَةً ثمينَةً ، فقالَ التَّاجرُ بلطْفٍ : إنى لم أَقمْ إلَّا بقليلٍ منَ الواجبِ عَلَىَّ نحوَ أَبناءِ وطنى ، وَأَنا لا أُسْتحقُّ كل هذا .

حينئذ سُئِلَ : إن الرئيسَ يُريدُ أَن يَهْدِى إليكَ هَدِيَّةً ؛ لِكَىْ يُعبرَ عن قَدْرِهِ لِعملِكَ ؟ فما الهدِيَّةِ التى تحبُّها ؟

فكَّرَ جَلالٌ قليلًا ثمّ أَجابَ : أَرجُو أَن يُهْدِى إلىّ الرئيسُ صُورتَهُ ؛ لأَحْمِلَها مَعى إلى قَرْيتِى ، وأَضَعها عِنْدِى ودِيعةً وتِذْكارًا لحُبِّى وإخْلاصِى .

وعِنْدَ وَفاتِه حَزِنَتْ عليْه الأُمةُ كلُّها . وقَدَّرتْ فيهِ الحُبَّ لوطَنِه . ومن كلِماتِه التى قالها عنْدَ إنشائِهِ مدرستَه فى قَرْيتِه : « إنَّنى لم أَقمْ بمُسْتحيل . وفى استطاعَةِ أَقَلِّ إنْسان مِنكم أَن يفعلَ ما فعلْتُ ، فلم أَجدْ فيما مضَى تلكَ الفُرَص التى ترَوْنها الآنَ أَمامَكم ؛

ولكنِّى بالصِّدْقِ ، والصبْرِ ، والأَمانةِ فى العَملِ ، والاعتمادِ عَلَى النَّفسِ ، والاستِقامةِ ، والإيمانِ باللهِ استَطعْتُ أَن أَنجَحَ فى التِّجارَةِ ، وفى الحياةِ . »

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) لماذا ذهب جلال إلى عمه بالإسكندرية .
(٢) كيف نجح فى التجارة مع عمه ؟
(٣) هل نجح فى الشركة التجارية ؟
(٤) ماذا فعل حينما صار غنياً ؟
(٥) ماذا تفعل لو كنت غنياً ؟
(٦) لماذا رفض حفل التكريم من أهل قريته ؟
(٧) ما الهدية التى أهداها الرئيس إليه ؟
(٨) ما الكلمة التى قالها عند إنشائه المدرسة ؟
(٩) ما الصفات التى تحلى بها التاجر حتى نجح فى تجارته ؟
(١٠) من يذكر هذه القصة بعبارة من عنده ؟
(١١) اختصر هذه القصة ، ثم اكتبها بعبارة صحيحة .

(ب) رتب الكلمات الآتية ، لتكون منها عبارة صحيحة :

بمستحيل ، إننى . وفى . لم أقم . أقل ، أن . استطاعة . منكم ، إنسان . فعلت . يفعل . ما .

القِصّةُ السّابعة

عَشرةُ آلافِ جَوْهرَةٍ

كانَ فارسٌ منَ الفُرْسان اليابانِيِّينَ سائرًا بالقُرْب منْ شاطئِ البحرِ، فرأَى وَحْشاً غَريب الشَّكْلِ يَزْحَفُ على الأَرضِ ؛ فَتعَجَّب لِرُؤْيتِه ، وأَخذَ سيْفَهُ لِيَقتُلهُ ، لكِنَّ الوَحْشَ نظَرَ إليْه بعيْنيْه نظْرَةَ استعْطاف ، كأَنَّه يقولُ له : ارْحَمْنى يا سيدى وَلا تقْتُلنى ؛ فأَنا لم أَفْعلْ شيئاً أَستَحِق عليه القتْلَ .

فَعَجب الفارِسُ وسأَلهُ : مَنْ أَنتَ أَيُّها الوَحْشُ؟

فأَجابَ الوحْشُ : إنَّ اسْمى «سامُ» ، وقدْ غَضِبَ عَلَىَّ ملِكُ البحْرِ ، وطَرَدَنى منْهُ ، وسأَموتُ على الأَرْض إذا لَمْ تعْطِفْ عَلَىَّ ، وتُفَكِّرْ فى أَمْرى .

فَتأَلَّمَ الفارِسُ لِحالِهِ ، وعَطفَ عليْه ، وأَخذَهُ إلى مَنزلِهِ ، وجَهَّزَ لهُ بُحَيْرَةً قريبَةً منْ دارِه ، وزَرعَ حوْلها كَثيرًا من الأَزهارِ والأَشجار ، ثم تركَهُ يعيشُ فى البُحَيْرَة . ويُطعِمُه مِمَّا يَصِيدُهُ منَ السمك كلَّ يوم .

عاشَ الفارسُ عيشةً سعيدةً فى حياتِه ، حتَّى رأَى

فتاةً لطيفةً مُتعلِّمةً مُهذَّبةً ، مُؤَدَّبةً ، فطلبَ زواجهَا من أَبيها ، فرفض أَبُوها إِلَّا إِذا أَعطَاهُ عَشرةَ آلافِ جَوْهرةٍ مهرًا لها .

وَأَخذَ الفارسُ يُفكِّرُ كثيرا فى هذا الأَمر ، حتَّى قرُبَ أَن يموتَ من كثْرَةِ التَّفكير ، لأَنه لو باعَ كلَّ أملاكه من أَرضٍ وبُيوتٍ وأَسْلِحةٍ فلنْ يُمكنهُ أَنْ يحصلَ على عَشرةِ آلافٍ جوهرةٍ . أَخيرًا ذهبَ إِلى سريرِهِ ، وارْتمى عليْه ، وصار لا يأْكُلُ ولا يشربُ ، لأَنه تَعِبَ من الحياة لشِدَّةِ الحزنِ .

انقطَعَ الفارسُ عن « سامٍ » ، ولم يقدِرْ أَنْ يَزُورهُ ، فقَلِقَ « سامٌ » أَشدَّ القَلق ؛ لغياب سيِّدِه وتأَخُّرِه ولمَّا طال الانتظارُ ، وَيئِس سام من مجىءِ سيِّدِهِ ، خرجَ من البُحيرةِ ، وزحفَ بجسمه الطويل على الأَرْض حتَّى وَصلَ إِلى المنزلِ . فرآهُ الفارسُ ، وقال بصوتٍ ضعيف : أَنَا آسفٌ يا سامُ ؛ لأَنِّى سأَموت وأَترُكُكَ ، وسيُفارقُ كلٌّ مِنَّا الآخَرَ طول الحياةِ .

فتأَثَّرَ الوحْشُ من كلامِ سيِّده ؛ وَحزنَ عليْه

الحزنَ كلَّهُ ، وأَخذَ يَبكى بُكاءً شديدا ، فسقطت الدُّموعُ من عينيْه جواهرَ تَلمع ، فَقَام الفارسُ ، وجمعَ الجواهرَ ، وسُرَّ كلَّ السُّرُور ، وظهرتْ على وجههِ علاماتُ العَجَب وَصاحَ : لقد أَنْقَذْتَنى يا سامُ.

ثم عَدَّ الجواهرَ فرأَى أَنها لا تبلُغُ عَشرَةَ آلافِ جوهرةٍ ، فطلبَ من «سام» أَن يَبْكى مرَّةً أُخرى . فقال سامٌ : إِنَّنى لا يمكننى أَن أَبكىَ إِلَّا إِذا كان هناك شىءٌ يُبكينى ، ولنْ تنزلَ دُموعى إِلَّا إِذا كان قلبى حزيناً . وأَنتَ الآنَ فرْحان مسرور فكيْفَ أَحزنُ ؟ وكيفَ أَبكى ؟

فحكى لهُ الفارسُ حكايتَه ، فتأَلم الوحْشُ ، وأَخذَ يفكِّر فى أَمْرِ سيِّدهِ . وفى الطريقةِ التى بها يساعِدُهُ ، فقال لهُ : خُذنى إِلى البحرِ يا سيِّدى ، فربَّما أَحزنُ إِذا رأَيتُ موْطِنى القديمَ ، فأَتَذكَّرُ أَيَّامى الأُولى فيهِ ، فيشتدُّ حُزنى ، فأَبكى ، فَتحْصُلُ على ما تشاءُ من الجواهرِ .

فأَحْضَرَ الفَارِسُ عجلةً كبيرةً ، ووَضعَ عليها

الوحْشَ ، ثمَّ أخذه إلى البَحرِ ، فلمَّا رأى البحرَ وماءَه بكَى ، وتذكَّرَ حياتَهُ الأُولى ، فأخذَتِ الدُّموعُ تَسْقُطُ من عيْنيْه الحَزينتيْن جَواهِرَ ، فتَجَمَّعَ عنْد الفارس مقْدارٌ كبيرٌ منَ الجواهِرِ أَكْثَرَ مِمَّا كانَ يَحلُمُ ، فانْبَسَطَ انبساطاً كثيراً ، وفَرِحَ فَرَحاً عظِيماً . وحينئذٍ نَادَى صوْت منَ البَحْر فجأَةً قائلاً : لقَدْ عَفَوْتُ عنْك ياسامُ ! ارْجع الآنَ إلى حياتِكَ الأُولى . فَفرِحَ سامٌ لرُجُوعِه إلى مَوْطِنِه ، ووَدَّعَ كلٌّ منَ الصَّديقَيْنِ الآخرَ ، وافْتَرَقَ الصَّديقانِ ؛ الفارسُ وسامٌ ، أَحدهما لِعَرُوسه ، والآخرُ لِبَحْرِهِ .

أسئلة في القصة :

(١) ما الذى وجده الفارس على شاطئ البحر ؟
(٢) ما الذى طلبه الأب من الفارس مهراً لابنته ؟
(٣) لماذا انقطع الفارس عن « سام » ؟
(٤) لماذا بكى الوحش ؟ (٥) ماذا حدث عند بكائه ؟
(٦) كيف حصل الفارس على الجواهر التى يريدها ؟
(٧) من يذكر هذه القصة بعبارة من عنده ؟
(٨) اختصر هذه القصة ، واكتبها بعبارة صحيحة .

فهرس الكتاب

الصّيّادُ المسكين

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه، دِيوبند، يو-پی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرني أن أقدمَ لأولادنا : (المكتبة الحديثة للأطفال) وهى صفوةٌ من القصص الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم

وحرصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياة الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولة ومداركها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصى فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعة ألوانًا من القصص الخيالية ، والواقعيةِ ، الاجتماعيةِ ، والخلقية ، والعلميةِ ، والأدبية ، والجغرافية ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرغبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصها على المثُل العليا فى النواحِى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية: فيمضىَ إلى نهايتها ، ويتنقلَ من هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدةِ قراءتِها .

وقد راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صعُب ، ووضّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقّةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهات ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعة المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل، وتنمّى خيالَهُ ، وتسمُو بروحِه، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لذةً وسروراً يشعر بهما الكبارُ أنفسُهم حين يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبة » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والوطنِ العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

القِصة الأُولى

الصَّيادُ المِسكينُ

يُحكى أَنَّ صياداً فقيراً كثيرَ الْحاجَةِ ، قَليلَ الرِّزْقِ ، كَبيرَ السِّنِّ ، كانَ لَهَ زَوْجَةٌ وَأَرْبَعَةُ أطفال . وَلِشِدَّةِ فَقْرِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَقومَ بِمَا تَحتاجُ إِلَيهِ أُسْرَتُه مِنْ طَعامٍ وَشَرابٍ وَمَلابِس . وَحارَ فى أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَعرِفْ ماذا يَفْعَلُ . وَكانَ يَذهَبُ إلى الْبَحْرِ فى كُلِّ صَباحٍ ، وَيَرْمى شَبَكَتَهُ لِيَصْطادَ شَيْئاً مِنَ السَّمَكِ ، وَلكِنَّهُ كانَ سَيِّئَ الْحَظِّ يَقْضى يومَهَ فى الصَّيْدِ ، وَلا يَرْجِعُ إلى مَنْزِلِه فى آخِرِ النَّهار إلاَّ بِقَليل مِنَ السَّمَكِ الصَّغيرِ الَّذى لا يَكْفِى زَوجَتَه وَأَولادَهُ ؟

وَفى يَوْمٍ مِنَ الأَيام أَخذَ شَبكَته وَسَلَّته قَبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ ، وَذَهبَ إلى شاطِئِ البحْر ، لِيَبْحَثَ عَنْ طَعامٍ لأَطفالِهِ . وَخَلَعَ مَلابِسَهُ الْخارِجية ، ثم نَشَرَ شَبكَتَهُ ، وَرَماهَا فى الْبَحْرِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ أَحَسَّ أَن الشَّبكَةَ ثَقيلَةٌ ، فَأَخَذَ يَشُدُّها ويَسحَبُها ، وَظَنَّ أَن فى الشَّبكَةِ سَمكَةً كَبيرَةً تَبلُغُ قِنطارَيْنِ ، فَظَهَرَ الْفرَحُ وَالسرورُ عَلى وَجْهِهِ . وَاعتَقَدَ أَن الْحَظَّ سَيَبتَسِمُ لَهُ ، فَشَدَّ الشبكَةَ مَرَّةً بَعدَ أُخْرَى بِكلِّ احْتِراسٍ ، وَأَحَسَّ أَنها ثَقيلَةٌ جِدًّا ، وَأَخذَ يُحاوِلُ وَيَشُدُّ بنَفْسِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ إخراجَ الشبكَةِ وَحدَهُ ، وَأَخِيراً طلبَ من أَحَدِ الْمارِّين أَنْ يساعدَه ، فساعَدَهُ حَتى خرَجَتِ الشبكَةُ مِنَ الْبَحرِ ، ونظرَ هُوَ وَمُساعِدُهُ فى عَجَبٍ وَاستِغراب ، فوَجَدَا فى الشبكَةِ بَقَرَةً مَيِّتة ، بَدلاً مِنَ السمكَةِ الكَبيرَةِ التى ظَنَّها .

فَتَضايَقَ الصَّيَّادُ بَعْدَ أَنْ خَابَ ظَنُّهُ ، وَنَصحَ لَهُ



يقول الصياد : اللهم ارزقنى برزق أولادى

الرَّجُلُ بِالصَّبْر ، حَتى يَأْتِيَهُ رِزقُهُ ، وَوَدَّعَهُ وَهُوَ يَقولُ : سُبْحانَ مُقَسِّمِ الأَرْزاقِ . وَنظَرَ الصَّيادُ إلى السَّماءِ وصَفائها ، وَالْبَحْرِ وَعَظمَتِهِ ، وَقالَ : «يارَبِّ ارْزُقنى بِرِزقِ أَولادِى ؛ فَإِنَّهُمْ فى حاجَةٍ إلى مُساعَدَتِك.» وَرَمى جُثَّةَ الْبَقَرَةِ ، وَلَمَّ الشبَكَةَ ، وَرَتَّبَها ، ثُمَّ رَماها ثانِيَةً فى الْبَحْرِ ، وَوَقفَ يَنتظِرُ رِزقَهُ . وَبَعدَ قَليلٍ أَحَسَّ أَنَّ الشبَكَةَ ثقيلَةٌ ، وَتمَنَّى. أَن يَكونَ سَعيدَ الْحَظِّ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، ويَصْطادَ سَمَكَةً لا نَظيرَ لَها ، وَشَدَّ الشَّبكَةَ ، وَأَخرَجَها بِصُعُوبَةٍ مِن الْبَحْرِ ، ثُمَّ نظرَ فوَجَدَ جَحشاً مَيِّتًا ، فَابْتَسَمَ وَضحِك ، وَقالَ لِنفسِه : « اصبِرى حَتَّى يُرسِلَ اللهُ إِلَيكِ رِزْقَكِ» .

أَلْقَى الصَّيادُ الْجَحْش الْمَيِّتَ بَعيدًا ، وَنَظَّفَ شَبَكَتَهُ ، وَأَخَذَها وَذَهَبَ بِها إلى جِهَةٍ أُخرَى مِنَ الشَّاطِئِ لِيَبْحَثَ عَنْ رِزقِهِ وَرِزْقِ زَوْجَتِه وَأَولادِهِ ، ثُمَّ رَمى شَبَكَتَهُ فى الْبَحْرِ ، وَوَقَفَ يَنتَظِرُ ما يُعطيهِ



عجب الصياد ؛ لأنه وجد فى الشبكة جحشاً ميتاً ، وقدراً مكسورة

اللهُ ، وما يَجودُ بِهِ عَلَيْهِ . وَبعدَ مُدّة أَحسَّ أَنَّ الشَّبكَةَ ثَقيلَةٌ . فانتَظَرَ قَليلاً . ثمَّ شَدَّهَا وَأَخرَجها ، وَهُوَ مُعتَقِدٌ أَنَّ بِها سَمَكاً كَبيرًا ، وَلٰكِنَّه نَظَرَ إِلَى ما فِيها فَاسْتَغرَبَ كَثيرًا ، وتَعَجَّبَ ؛ لأَنَّهُ وَجَدَ بِها أَوانِيَ وَقِدرًا كَبيرَةً مَكسورَةً مِنَ الْفخَّارِ .

فحَمِدَ الصَّيَّادُ اللهَ ، وَقالَ سُبحَان مُقَسِّمِ الأَرزاقِ. وَأَخذَ يُفَكِّرُ وَيسأَلُ نَفسَهُ : ماذَا أَستَطيعُ أَنْ أَفعَلَ ؟ وَأَنا رَجُلٌ فَقيرٌ مِسكينٌ . وَزَوْجَتِي وَأَوْلادِي يَنْتَظِرونَنِي بِالْبَيْتِ ، وَيَنْتَظِرونَ ما أُقَدِّمُهُ لَهُم مِنَ السَّمَكِ وَالْخُبْزِ عِنْدَ رُجوعِي . وَهُم الآنَ فِى شِدَّةِ الْجوعِ ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيئاً يَأْكلونَهُ فى الصَّباحِ ، وَلٰكِنَّ الْيَأْسَ لَمْ يَصِلْ إِلَى قَلْبِهِ ، وَابْتَسَم وَكُلُّهُ أَمَلٌ فى رِزْقٍ يَأْتِيهِ مِنْ عندِ اللهِ . وَأَخذَ يَقرأُ قَولَهُ تَعالى : « وَما مِن دَابَّةٍ فى الأَرْضِ إِلاَّ عَلى اللهِ رِزْقُها » . وَقَولَهُ : « وَفى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدونَ » . وَقَوْلَهُ جَلَ شَأْنهُ : « يَرْزُقُ

مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِساب » وَنَظَرَ إلى السَّماءِ ، وَقالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي ، ثُمَّ نَظَّفَ شَبَكَتَهُ ، وَرَمى مَا فِيها مِن الْفَخَّارِ بَعيدًا عَلى جانِبٍ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَأَعَدَّها ، ورَتَّبَها ، ثُم رَماهَا فى الْبَحرِ .

انْتَظَرَ ساعَةً مِنَ الزَّمان ، وَفى النِّهايَةِ شَدَّ الشَبَكَةَ وَأَخرجَها مِنَ الْبَحْرِ ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّ بِها مِقْدارًا كَبيرًا مِنَ السَّمَكِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْها فَوَجَدَ بِها كَثيرًا مِنَ الطَّمْيِ وَالأَعْشابِ وَالحِجارَةِ وَالحَصا . فَقالَ : لَنْ يَصلَ اليَأْسُ إلَى قَلْبِي . وَأَملِي كَبيرٌ فى اللهِ . وَكُلُّ ما يَأْتى بهِ اللهُ خيرٌ . وَلَنْ يَنْسانى رَبِّى . وَسَأُلْقِي الشَّبَكَةَ هذِهِ المَرة الخامِسَةَ بَعْدَ أَنْ أُصلِّيَ الظُّهْرَ .

تَوَضَّأَ الصَّيادُ ، وَتَوَجَّهَ إلى القِبلَةِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ للهِ ، ثُمَّ قامَ ، وَأَخَذَ شَبَكَتَهُ ، وَأَلقَى ما فِيها من الحِجارَةِ وَالحَصاوَالأَعشابِ بَعيدًا ، وَنظَّفَها ، وَرَتَّبَهَا ، ثُمَّ أَلقاها وَرَماهَا فى البَحْرِ ، وَكلهُ ثِقَةٌ بِاللهِ ، وَأَمَلٌ

فيه جَلَّ شأنُهُ ، وَأَخَذَ يَنْتَظِرُ وَهُوَ صابِرٌ ، حَتَّى أَحَسَّ أَنَّ الشَّبَكَةَ ثَقيلَةٌ ، فَوُجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الأَمَلِ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، وَشَدَّهَا وَأَخْرَجَها ، ثُمَّ نَظَرَ إلى ما فِيها ، وَأَخَذَ يُقَلِّبُها وَيَبْحَثُ فِيها مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، فَلَمْ يَجِدْ بِها سَمَكاً ، وَلٰكِنَّهُ وَجَدَ قِدْرًا كَبيرَةً نُحاسِيَّةً ، مَصنوعَةً مِن النُّحاسِ ، وَوَجَدَ فُوَّهَتَها أَىْ فَتحَتَها مُغْلَقَةً ، وَمَخْتُومَةً بِخاتَمٍ سِحرِىٍّ ، وَقَدْ نُقِشَ عَلى غِطائِها هٰذَا الخاتَمُ .

اعْتَقَدَ الصَّيَّادُ أَن الْقِدْرَ مَملوءَةٌ ذَهَباً ، وَأَنَّها هَدِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَنَّ بِهَا كَنْزًا ثَميناً مِنْ كنوزِ سُلَيْمانَ ؛ لأَنَّ فَتْحَتَها قَدْ نُقِشَ عَلَيْها هٰذَا الْخاتَمُ الثَّمينُ ، وَأَخَذَ يَهُزُّ الْقِدْرَ ، وَيُقَلِّبُها ، فَلَمْ يَسْمَعْ لَهَا صَوْتاً ، وَأَحَسَّ أَنَّ الْحَظَّ سَيَبْتَسِمُ لَهُ ، وَسَيَبْتَسِمِ لِزَوْجَتِه ، وَأَوْلادِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ فى اسْتِطاعَتِهِ أَنْ يَبيعَ هٰذِهِ الْقِدْرَ الثَّمينَةَ لِتاجِرٍ كَبيرٍ مِنْ تُجَّارِ الذَّهَبِ

وَالْجوَاهِرِ . وَاعْتَقَدَ أَنَّ الفَقْرَ سَيَزولُ ، وَسَيَكونُ غَنِيًّا بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَسَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْتَرِى لأُسْرَتِهِ كُلَّ ما تَحْتاجُ إِلَيْه مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ وَمَلابِسَ ، وَلَنْ يَحْتَاجَ لأَحَدٍ بَعْدَ اليَوْم . فَهٰذِهِ قِدْرٌ أَثَرِيَّةٌ ثَمِينَةٌ ، وَهِىَ مَملُوءَةٌ ذَهَبا ، وَمُقْفَلَةٌ ومَخْتُومَةٌ بِالخاتَمِ السِّحرِىِّ. وَهٰذا أَكْبَرُ دَليلٍ عَلى أَنَّهاثَمِينَةٌ مَملوءَةٌ جَواهِرَ ولآلِئَ ، وَلا يُمكِنُ تَقدِيرُهَا بِمالٍ . فَماذا يُرِيدُ الصَّيادُ بَعدَ ذٰلِكَ مِنَ الغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالمالِ ؟

أَخَذَ الصَّيادُ يُكَرِّرُ النَّظَرَ إِلى الْقِدْرِ ، وَيُقَلِّبُها ، وَهُوَ مُعجَبٌ بِجمَالِها ، وبِالخاتَمِ السِّحرِىِّ ، ومَا نُقِشَ عَلَيهِ مِنَ الْكِتابَةِ الأَثَرِيَّةِ الْعَجيبَةِ ، وَقالَ لِنَفسِهِ : لا بُدَّ أَن يَكونَ فى الْقِدرِ كَنْزٌ مَملوءٌ بِالذَّهَبِ وَالْجَواهِرِ النَّفِيسَةِ ، وَاللَّآلِئِ الْغالِيَةِ . وَفَكَّرَ فى أَن يَفتَحَها بَعدَ أَنْ يُصَلِّىَ الْعصرَ ، ويَشْكُرَ للهِ ما أَعْطاهُ . ثُمَّ قامَ وَصَلَّى الْعصرَ ، وَشَكَرَ للهِ ما أَنعمَ بِهِ عَلَيهِ ، ثُمَّ جَلَسَ ،

وَوَضَعَ الْقِدْرَ أَمامَهُ ، وَأَخَذَ يُحاوِلُ فَتْحَها ، وَلَمْ يَجِدْ صُعوبَةً فى فَتْحِها ، فَتَحَها بِسِكِّينٍ كانَ مَعَهُ ، وَهَزَّها لِيَخْرُجَ ما فِيها ، فَلَمْ يَنزِلْ مِنْها شَىْءٌ ، وَأَخَذَ يَنظُرُ فى دَاخِلِها ، فَرَأَى دُخَاناً كَثيفاً خارِجاً مِنْها ، صاعِدًا إلى السَّماءِ ، فَتَركَها وَرَجعَ إلى الْوَرَاءِ ، وَعَجِبَ غايَةَ الْعَجَبِ ، وَزَادَ عَجَبُهُ وَاستغرابُهُ حِينَما رَأَى الدُّخَانَ الكَثِيفَ يَتَحَوَّلُ فى النِّهايَةِ إلى عِمْلاقٍ طَويلِ الْقامَةِ ، وَقَدْ وَقَفَ وَنَشَرَ يَدَيهِ إلَى الجانِبَيْنِ ، وَوَضَعَ رِجْلَيْهِ الطَّويلَتَيْنِ فى الْقِدرِ .

رَأَى الصَّيادُ الْفَقيرُ ذٰلِكَ الْعِملاقَ الطَّويلَ ؛ فَخافَ خَوْفاً شَديدًا مِنْ هٰذا الْمَنْظَرِ الْغَريبِ ، الَّذى لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبلُ ، وَلَمْ يَمُرَّ بِهِ فى حَياتِه الطَّويلَةِ . وَقَفَ الصَّيادُ الْمِسكينُ مُمْسِكاً بِشَبَكَتِه ، وَهُوَ يَنْظُرُ فى عَجَبٍ وَاسْتِغرابٍ إلَى هٰذا الْعِملاقِ الَّذى خَرَجَ مِنَ الْقِدْرِ ، وَجَفَّ رِيقُهُ ، وَعَمِىَ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَوَقَف



الصياد يعجب خروج الدخان الكثيف من القدر .

فى ذهول تامٍّ فى مَكانِهِ ، لا يَتَحَرَّكُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ.

نَظَرَ الْعِملاقُ إلى الصَّيادِ وَقالَ لَهُ : «أَيُّها الصَّيادُ ، إِنِّى سَأَقْتُلُكَ الْآنَ ».

فَقالَ الصَّيَّادُ : لِماذَا تُريدُ أَنْ تَقْتُلَنى ، وَأَنَا لَمْ أَفعَلْ شَيْئاً أَستَحِقُّ عَلَيْهِ أَنْ أُقْتَلَ ؟ وَلأَىِّ سَبَبٍ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنى ؟ أَلَمْ أُخَلِّصْكَ مِنَ الْقِدْرِ ؟ وَهَلْ نَسِيتَ أَنِّى أَطْلَقْتُ سَراحَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ الْحُرِّيَّةَ بَعْدَ أَنْ كُنتَ مُسجوناً ؟ وَهَلْ نَسيتَ أَنِّى أَخْرَجْتُكَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَأَطْلَعْتُكَ إِلَى الْبَرِّ ؟

فَأَجابَ الْعِملاقُ : لَقَدْ فَتَحْتَ الْقِدْرَ ، وَهٰذَا ذَنْبٌ لا يُغْتفَرُ . وَمِنْ أَجْلِ هٰذَا الذَّنبِ سَأَقْتُلُكَ . وَلٰكِنِّى أَتْرُكُ لَكَ الْفُرْصَةَ فى أَنْ تَختارَ الطَّرِيقَةَ الَّتى بِها أَقْتُلُكَ . أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ بِيَدَىَّ ، أَم تُحِبُّ أَنْ أَرْمِيَكَ فى الْبَحر فَتَموتَ غَرَقاً ؟

فَاعْتَرَضَ الصَّيادُ وَقالَ : وَلٰكِنِّى لا أُرِيدُ أَنْ

أَموتَ ؛ لِأَنِّى لَمْ أَفْعَلْ شَيئاً أَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْمَوْتَ . ماذا فَعَلْتُ لَكَ حَتَّى تُفَكِّرَ فى قَتْلى ؟ وَقَدْ وَهَبْتُكَ الْحُرِّيَّةَ ، وَأَخرَجْتُكَ مِنَ السِّجنِ الَّذى كُنْتَ مَحبوساً فيهِ .

فَأَجابَ الْعِملاقُ : سَأُخبِرُكَ الْآنَ بِما ارْتَكَبْتَ مِنْ ذَنبٍ . ولِكَىْ أُقْنِعَكَ بِذَنْبِكَ سَأَذْكُرُ لَكَ قِصَّةَ حَياتى إِذا كُنتَ تُحِبُّ أَنْ تَسمَعَها :

قالَ الصَّيادُ : أُحِبُّ أَن أَسْمَعَها بِشَرْطِ أَنْ تَخْتَصِرَ فى الْكَلامِ ؛ لِأَنَّ رُوحى وَصَلَ إِلى حَلْقِى .

فَقالَ الْعِملاقُ : إِنِّى عِملاقٌ مِنَ الَّذينَ لَمْ يَخْضَعُوا لِلْمَلِكِ ، وَلَم يَخْضَعوا لِلظُّلْمِ وَالاِسْتِبْدادِ . وَقَدْ غَضِبْتُ غَضَباً شَديدًا ؛ لِأَنَّ مَلِكَ الْعَمالِقَةِ ظَلَمَ الْأَحرارَ مِنَ الرِّجالِ ؛ لِأَنَّهُم طالَبوا بِالْحُرِّيَةِ والاسْتِقلالِ ، لِبِلادِهِم الَّتى مَكَثَت مُسْتَعْبَدَةً مُدَّةً طَويلَةً مِنَ الْأَجْيالِ . وَلَمْ أُطِعِ الْمَلِكَ فى الْأَوامِرِ الَّتى كانَ يَأْمُرُ بِها ؛ لِأَنَّها

أَوامِرُ تُغْضِبُ اللهَ ، وَكُلُّها ظُلْمٌ لأَبْناءِ الشَّعْبِ . وَلا تُرضِى إنساناً يُفكِّرُ فى إرْضاءِ اللهِ ، وإرضاءِ الْوَطَن . فَعَصَيْتُ الْمَلِكَ ، وَأَعْلَنتُ الْعِصيَانَ ، وَنَقَدْتُ أَوَامِرَهُ الظَّالِمَةَ ، وَتَصَرُّفاتِهِ الْقاسِيَةَ ، بِالكِتابَةِ والْخَطابَةِ .

فَقالَتْ حاشِيَتُهُ وَأَتْباعُهُ مِنَ الْمُنافِقِينَ الظَّالِمِينَ : إنَّنِى أَهَنْتُ الْمَلِكَ ، وَعَصَيْتُ الْمَلِكَ ، وَقَبَضَتْ عَلَىَّ الشُّرَطُ ، وَحُوِّلْتُ إلى النِّيابَةِ ، وَقُدِّمْتُ إلى المحكَمةِ ؛ لأُحاكَمَ عَلى الْعِصيَانِ ، وَالْعَيبِ فِى الذَّاتِ الملَكِيَّةِ الظَّالِمَةِ ، وَحَاكَمَتْنِى الْمَحكَمَةُ فى الْعَهْدِ الماضِى الْمملوءِ بِالظُّلْم . وَلمْ تُفَكِّرْ فى إرْضاءِ اللهِ أَو الشَّعْبِ ، ولٰكِنَّها فكَّرَتْ فى شَىْءٍ واحِدٍ هُوَ إرضاءُ الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ الظَّالِمِ الَّذى لا يَعرف اللهُ . وَحَكَمَتْ بِمُعاقَبَتِى ، وَسَجَنَتْنِى فى هٰذه الْقِمْدْر الَّتى فَتَحْتَها بِنَفسِك . وَحَبَسَتْنى فيها ، وَأَغْلَقَتِ الْقِدرَ ، وَخَتَمتْهَا بالخاتَمِ السِّحرِى .ثمَّ أَمرَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ أَتْباعَهُ مِنَ الحاشِيَةِ الفاسدةِ

أَنْ يَأْخُذونى وَيَرمُونى فى وَسَطِ الْبَحرِ ، وَكان ذٰلِكَ مُنذُ مِئاتِ السِّنينَ. وَحينما كُنتُ مَحبوساً فى الْقِدرِ الْمَسحورَةِ نَذَرْتُ فى نَفسى لِلّهِ نَذراً أَنَّ مَنْ يَفتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ الْمَسحورَةَ وَيُخَلِّصُنى مِنَ السِّجن جَعَلْتُهُ سُلطاناً عَظيماً. وَقَدْ مَرَّتْ مِائَةُ سَنَةٍ ، وَلَم يَفتَحْ أَحَدٌ هٰذه الْقِدْرَ ، فَنَذَرْتُ لِلّهِ نَذْرًا آخرَ ، وقُلْتُ فى نَفْسى إنَّ مَنْ يَفْتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ الْمَسحورَةَ لَنْ أَجعَلَهُ سُلطاناً عَظيماً ، بَلْ سَأَجعَلُهُ سُلْطاناً على بلَدٍ صَغيرٍ. وَقَد مَضَتْ مِائَتانِ مِنَ السِّنينَ ، وَلَمْ يَفتَحْ أَحَدٌ هٰذِه الْقِدرَ . فَنَذَرْتُ لِلّهِ نَذْرًا ثالِثاً ، وَقُلْتُ فى نَفسى إنَّ مَنْ يَفتَحُ هٰذِهِ الْقدرَ سَأَجعَلُهُ غَنِيًّا مِنْ كِبارِ الأَغنياءِ. وَقَدْ مَضَت ثَلاثُمِائَةِ سَنَة ، وَلَمْ يَفتَحْ أَحَدٌ هٰذِه الْقِدْرَ الْمَسحورَةَ ، وَلَمْ يُخَلِّصْنى أَحَدٌ ، فَقُلْتُ فى نَفسى : إنَّ مَنْ يُخَلِّصُنى فَتَحْتُ لَهُ كُنوزَ الأَرضِ ، وَقَدْ مَضَتْ أَرْبَعُمائَةِ سَنَة ، وَلَمْ يَفتَحْ أَحَدٌ هٰذِهِ الْقِدرَ الْمَسحورَةَ ، وَلَمْ يُخرِجْنى

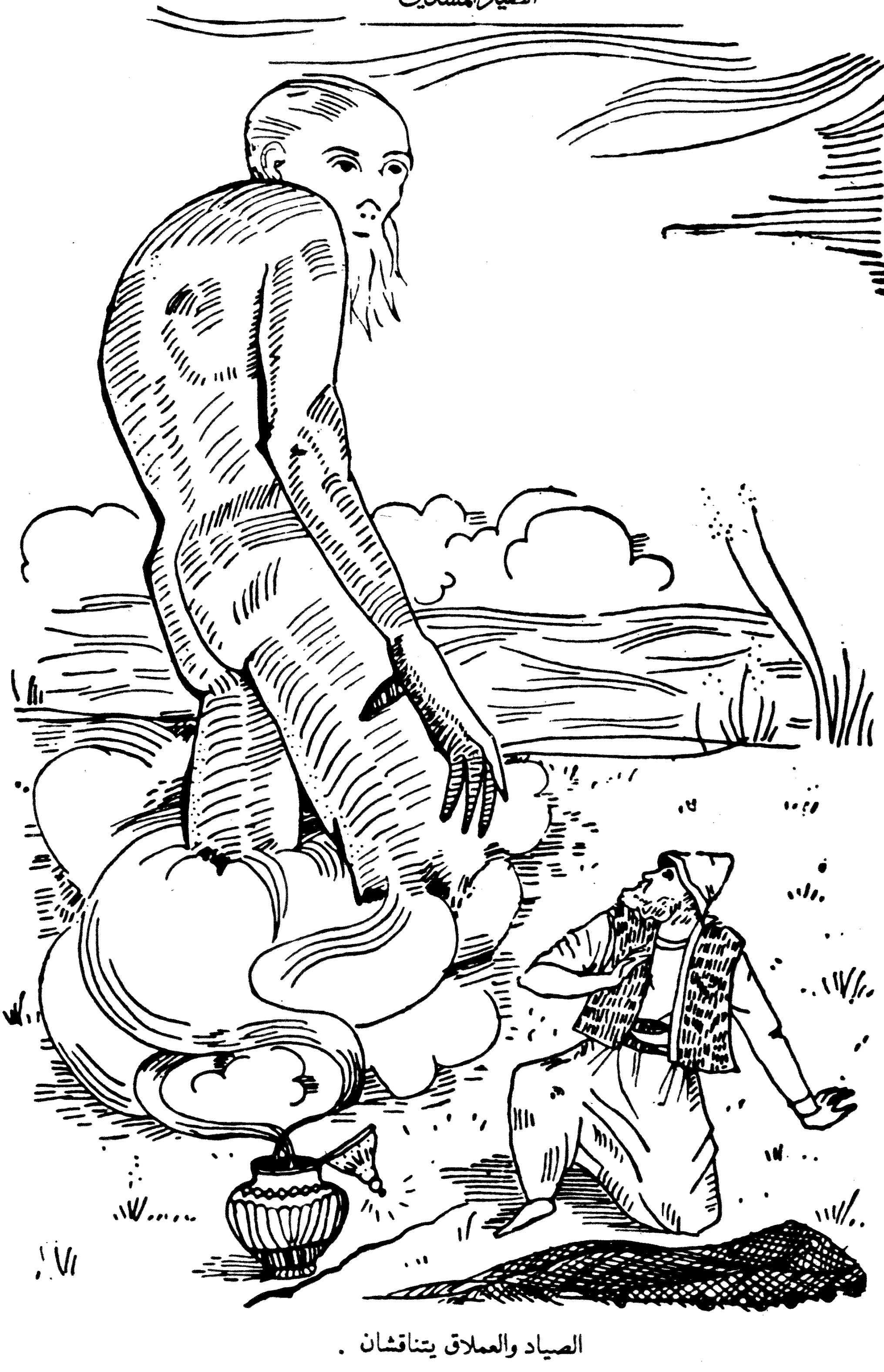
أَحَدٌ ، فَقُلْتُ فى نَفْسى إِنَّ مَنْ يُخرِجُنى مِنْ هٰذِهِ الْقِدْرِ أَقْضِى لَهُ ثَلاثَ حاجات . فَلَمْ يُخَلِّصْنى أَحَدٌ ، فَغَضِبْتُ غَضَباً شَديدًا ، وَقُلتُ فى نَفْسِى : إِنَّ الَّذى سَيَفْتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ سَأَقْتُلُهُ ، وَسَأَتْرُكُ لَهُ الْحُرِّيَّةَ فى اخْتِيارِ الطَّرِيقَةِ الَّتى يُقتَلُ بِها . وَأَنتَ الآنَ قَدْ فَتَحتَ الْقِدْرَ ، وَلَكَ الْحُرِّيَّةُ فى أَن تَختارَ الطَّرِيقَةَ الَّتى تُحِبُّ أَن تَموتَ بِها .

فَلَماسَمِعَ الصَّيادُ هذَا الكَلامَ عَجِبَ كُلَّ الْعَجَبِ ، وَرَجَا الْعِملاقَ أَنْ يَعفُوَ عَنْهُ .

فقال الْعِملاقُ : لا بَدَّ مِنْ قتلِكَ . وَلا فائِدَةَ مِن الرَّجاءِ .

فَقالَ الصَّيادُ : سَأَطلُبُ مِنكَ شَيئاً واحِدًا أَرْغَبُه ، فَهَلْ تُجيبُنى إِلَى هٰذَا الطَّلَبِ ، وَتُحَقِّقُ لى هٰذِهِ الرَّغبَةَ ؟

فَأَجابَ الْعِملاقُ : سَأُجِيبُكَ إِلى طَلَبِكَ ، وَأُحَقِّقُ لَكَ رَغبَتَكَ إِذا ذَكَرْتَ طَلَبَكَ وَرَغْبَتَكَ بِسُرعةٍ .



الصياد والعملاق يتناقشان .

فَأَسْرِعْ وَقُلْ .

فَسَأَلَهُ الصَّيادُ : هَلْ كُنْتَ حَقًّا فى هٰذِهِ الْقِدْرِ ؟

فَأَجابَهُ الْعِملاقُ : نَعَمْ كُنْتُ فى هٰذِهِ الْقِدر .

فَنَظَرَ الصَّيَّادُ إلى الْقِدرِ ، وتَعَجَّبَ كُلَّ الْعَجَبِ ، وَقالَ لَهُ : إنَّكَ عِملاقٌ كَبيرُ الْجِسمِ ، طَوِيلُ الْيَدَيْن وَالرِّجلَيْن . وإنَّ الْقِدْرَ صَغيرَةٌ وَلا يُمكِنُ أَن تَسَعَ رِجْلاً مِنْ رِجْلَيْكَ ، فَكَيْفَ يُمكِنُ أَنْ تَسَعَ جِسْمَكَ كُلَّه ؟ إنِّى لا أَستَطيعُ أَن أُصَدِّقَ أَنَّكَ كُنتَ فى هٰذِه الْقِدْرِ . فَلِماذا لا تَقولُ شَيئاً مَعقولاً يَقبَلُهُ الْعَقلُ ؟ وَلِماذَا لَا تُفَكِّرُ قَبلَ أَن تَتَكلَّمَ ؟ هَل حَدَثَ لَكَ خَبَلٌ فى عَقلِكَ ، حَتَّى تَقولَ ما قُلتَ ، وَتَذْكُرَ ما ذَكَرْتَ ؟

فَغَضِبَ الْعِملاقُ ، وسَأَلَهُ : هَلْ أَنتَ لا تُصَدِّقُ أَنَّنِى كُنتُ فى الْقدرِ ؟

فَأَجابَ الصَّيادُ ، وَأَرادَ أَن يَتَغَلَّبَ عَلَيهِ بِالحيلَةِ

إنِّى لا أُصَدِّقُ أَبَدًا حَتَّى أَرَاكَ فيها بعَينَىَّ .

أَرادَ الْعِملاقُ أَنْ يُثبِتَ لِلصَّيادِ أَنَّهُ صادِقٌ فيما قالَ ، وَلَمْ يَقُلْ إِلاَّ الْحقيقَةَ ، فَانتفَضَ ، وَحَوَّلَ نَفْسَهُ إلى دُخَانٍ ، وصَعِدَ الدُّخَانُ إلى الْجَوِّ ، ثُمَّ أَخَذَ يُصَغِّرُ نَفْسَهُ ، وَيَتَجَمَّعُ ويَدْخُلُ فى القِدْرِ قَليلاً قَليلاً ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فى الْخارِجِ شَىْءٌ مِنَ الدُّخَانِ . ثُمَّ قالَ الْعِملاقُ : أَنتَ الآنَ تَرَى أَنَّنِى فى الْقِدرِ .

فَأَسرَعَ الصَّيادُ ، ووَضَعَ الْغِطاءَ فوقَها ، وَسَدَّ بِهِ فَتْحَةَ الْقِدْرِ جَيِّدًا ، وَأَغلَقَها إغلاقاً مُحكَماً كَما كانَتْ ، وَختَمها ثانِيَةً بخاتَمِ سُليمانَ ، وَاطْمَأَنَّ عَلى حيَاتِه كلَّ الاطْمِئنان . ثُمَّ قالَ : أَيُّها الْعِملاقُ ، لَقَدانْتَصرْتُ عَليكَ بِما آتانى اللهُ مِنْ عَقْلٍ ، وتَفكِيرٍ ، وَسَأَرْمِيكَ ثانيةً فى الْبَحر ، وَسَأَضَعُ الْقِدْرَ فى الْماءِ لأَرُدَّ الأَمانَةَ كَما أَتَتْ فى شَبَكَتى . وَسَأَبْنِى لى هُنَا عَلى شاطِئِ الْبَحرِ مَنْزِلًا لأَسْكُنَهُ ، وَلأَنْصَحَ كُلَّ صَيَّادٍ ،

يُريدُ أَن يَرْمىَ شَبَكَتَهُ فى الْبَحرِ ، وَأَمْنَعَهُ مِن الصَّيدِ فى هذا الْمكانِ ، وَأُحَذِّرَهُ أَلاَّ يُخرِجَكَ ثانِيَةً من الْبَحر ، وَأَقولَ لَهُ إِنَّ هُنا عِملاقاً . وكُلُّ مَنْ أَخْرَجَهُ يُهَدِّدُهُ بِأَنْوَاعِ الْقَتلِ ، ويَطلُبُ مِنْه أَن يَختارَ الطَّرِيقَةَ الَّتى يُريدُ أَنْ يُقتَلَ بِها . وَسَأُخْبِرُ كُلَّ صَيَّادٍ أَنَّكَ لا تَعْتَرِفُ بِالْجَميلِ ، وَأَنَّكَ تُسىءُ إِلى مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكَ ، وتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ مَنْ يُخْرِجُكَ مِنَ السِّجْنِ وَيُعطيك الْحُرِّيَّةَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْعِملاقُ كَلامَ الصَّيادِ أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْقِدْرِ ، فَلَمْ يَقدِرْ ، وَوَجَدَ نَفسَهُ مَحبوساً ، وَأَنَّ الْفَتْحةَ أُغْلِقَتْ جَيِّدًا ، وَخُتِمَتْ بِخاتَمِ سُلَيمانَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الصَّيادَ سَجَنَهُ كَما كانَ فى السِّجنِ الْمُظلِمِ الْقَدِرِ ، سِجْنِ الْعَمالِقَةِ .

أَخَذَ الصَّيادُ الْقِدْرَ ، وَذَهَبَ بِها إِلى جِهَةِ الْبَحرِ ، فَسَأَلَهُ الْعِملاقُ : ماذا أَنْتَ فاعِلٌ ؟



الصياد يفكر فى أن يرمى القدر فى البحر

فَأَجابَهُ الصَّيادُ : سَأَرْميكَ فى الْبَحْرِ كما كُنْتَ ، فَرَجاهُ الْعِملاقُ أَلاّ يَرْمِيَهُ ، وَأَنْ يُخرِجَهُ مِنَ الْقِدْر.

فَقالَ الصَّيادُ : لا بُدَّ أَنْ أَرمِيَكَ فى الْبَحرِ . وَكَيفَ أُخرِجُكَ وكُنْتَ تُريد أَنْ تَقتُلَنى ؟ وَلَمْ تَقبَلْ لى رَجاءً . وَلَمْ تَسْمَحْ بِالْعَفْوِ عَنِّى ، وأَرَدْتَ أَنْ تُيَتِّمَ أَطفالى الصِّغارَ .

فَتَوَسَّلَ إِلَيهِ الْعِملاقُ ، وَلَمْ يَصِل الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَقالَ لَه : إِذَا فَتَحْتَ الْقِدْرَ وَأَخرَجْتَنى مِنها أَعْطَيْتُكَ جائِزَةً ثَمينَةً ، وَثَرْوَةً كَبيرَةً ، وجَعلْتُكَ مِنْ كِبارِ الأَغنياءِ .

فَقالَ لَهُ الصَّيادُ : كَيفَ أُصَدِّقُكَ ، وَأَنتَ ظالِمٌ لا تَعتَرِفُ بِالْجميل ، وَلا تُقدِّرُ الْمعْروفَ ، وَتُحِبُّ أَنْ تُسيءَ إلى مَنْ أَحسَنَ إِلَيْكَ ؟

فَقالَ الْعِملاقُ : أَرْجو أَنْ تُصَدِّقَنى هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، وَإِنِّى آسِفٌ لِمَا حَدَثَ مِنِّى .

فَقالَ الصَّيَّادُ : مُحالٌ أَنْ أُصدِّقكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنى ؛ لأَنَّنى أَطْلَقْتُ سَرَاحَكَ ، وَأَخْرَجْتُكَ مِنَ السِّجْنِ ، وجَعَلْتُكَ حُرًّا بَعْدَ أَنْ كُنتَ مَسجوناً .

فَقالَ الْعِملاَقُ : صَدِّقْنى ، وَجَرِّبْنِى هٰذِهِ الْمَرَّةَ . وَسَأُكافِئُكَ على جَمِيلِكَ ، وَأَجْعَلُكَ مِنْ أَغْنَى الأَغْنِيَاءِ .

فَقالَ الصَّيادُ : لَقَدْ جَرَّبْتُكَ مَرَّةً مِنْ قَبْلُ ، وَعَذَّبْتَنى مِنْ غيرِ سَبَبٍ فى الْوَقْتِ الَّذى أَحْسَنْتُ فيهِ إِلَيكَ . فَأَنَا قَدْ لُدِغْتُ مِنكَ مَرَّةً . وَالرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقولُ : « لا يُلْدَغُ الْمؤْمِنُ مِنْ جُحرٍ مَرَّتَينِ » . وَإِنِّى مُؤْمِنٌ ، وَلا أُحِبُّ أَنْ أُلدَغَ مَرَّةً أُخرَى مِنْ عِملاَقٍ عُرِفَ بالظُّلْمِ وَالْغَدْرِ . وَفى الْحالِ أَخَذَ الصَّيادُ الْقِدرَ ، وَرمَاهَا كَما كانَتْ فى الْبَحرِ ، وَاتَّعَظَ بِالتَّجرِبَةِ الْماضِيَةِ . وَنالَ الْعِملاقُ جَزاءَ ظُلْمِهِ ، وَذَهَبَ الصَّيادُ إِلَى بَيْتِهِ ، وقَد حَمِدَ اللهَ عَلَى الصِّحَّةِ وَالسَّلامَةِ . وانتصَرَ عَلَى الظَّالِمِ بحُسنِ حيلَتِهِ وَتَفكيرِهِ .

القصة الثانية

« وعَسَى أَن تكرَهوا شَيئاً ويَجعَلَ اللهُ فيه خَيراً كثيراً . »

كانَ لِلسَّيِّدَةِ سَميرَةَ حانُوتٌ (دكانٌ) صَغيرٌ جَميلٌ بشَارعِ سَامٍ الأَوَّلِ بِضاحِيَةِ الزَّيتُونِ ، تَبيعُ فيه بعضَ لُعَبِ الأَطفال ، وَأَنواع الحَلْوَى ، وَالأَدَاتِ المدرَسيَّةِ . فَكانَ الأَطفالُ يَجِدونَ فيه ما يُحِبُّونَ مِن نَخْلٍ و (بِلْي) ، وَحَلْوَى مَلْفوفَةٍ فى الْوَرَقِ ، وَكُرَّاساتٍ وَأَقلامٍ ومَساطِرَ ، وَزُجاجاتٍ لِلْحِبْرِ . . .

ومن هذا الْحانوتِ الصَّغيرِ كانَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ تُنْفِقُ عَلى نَفْسِها ، وابْنِها الصَّغيرِ الْيَتِيمِ سامى ،وَابْنَتِها الْيَتِيمةِ ساميَةَ بَعدَ مَوْتِ أَبيهما . وَهُما أَعَزُّ شَيْءٍ عِندَها فى الْحَياةِ . وَقَد اضطُرَّت السَّيِّدَةُ لِلْعَمَلِ وَكَسْبِ

مَعيشَتِها بَعدَ وَفاةِ (مَوْتِ) زَوْجِهَا ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ لأُسرَتِه شَيئاً مِنَ الْمالِ .

وَكانَت أَرباحُ الْحانوتِ كافيَةً لِلإِنفاقِ عَلَى نَفْسِها ، وَوَلَدَيْها ، فيمَا تَحتاجُ إِلَيْهِ الْحيَاةُ مِنْ الضَّرُوريَّاتِ ، مِنْ مَسْكِنٍ ، وَطَعامٍ وَمَلابِس . ولٰكِنَّها لَمْ تَستَطِعْ أَنْ تَقتَصِدَ شَيئاً ،أَوْ تُوَسِّعَ تِجارَتَها ؛ لأَنَّ الرِّبحَ كانَ بِقَدْرِ ما يُحتاجُ إِلَيهِ فى النَّفَقَةِ .

وَكَثيرًا ما سَأَلَتْ سامِيةُ وَسامى أُمَّهُما عَن أَبيهِما وَتارِيخ حَياتِهِ ، وَقِصَّةِ وَفاتِه وَمَوْتِهِ ، فَكانَت تَذكُرُ لَهُما قِصَّتَهُ ، وَهِىَ فَخورَةٌ بِشَجاعَتِهِ النَّادِرَةِ ، ومُروءَتِه وإِنسانِيَّتِه ، وتَضحِيَتِه بحَياتِهِ فى سَبيلِ إِنقاذِ غَيرِهِ مِن بنَى الإِنسانِيَّةِ . . وَقَد اعْتادَت أَنْ تَقولَ لَهُما .

فى يَومٍ مِنَ الأَيامِ سافَرَ أَبوكُما إِلى الإِسكَندَرِيَّةِ فى الصَّيفِ ، لِيَبْحَثَ لَهُ عَن عَمَلٍ بِها ، وَيَرَى حَظَّهُ فِيها ، وَيُكَوِّنَ لَنا ثَرْوَةً مِنْ عَمَلِهِ ، وَعَرَقِ جَبينِه

وَكان عُمْرُكَ يا سامى فى ذٰلكِ الْوَقتِ ثَلاثَةَ أَشْهُر ، وَكان عُمْرُكِ يا سامية سَنتَيْن . وَقد تقابلَ هُناك مَعَ صَديقٍ لَهُ ، وَعَدَهُ أَن يُساعِدَهُ فى إِيجادِ عَمَلٍ يرتَزِقُ مِنْهُ . وَكانَ مِن سُوءِ الْحَظِّ أَنَّهُما نَزلاَ لِيَستَحِمَّا فى الْبَحرِ ، فى جِهَةٍ بَعيدَةٍ عَن النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُما يَعْرِفُ الْعَوْمَ وَالسِّباحَةَ . وَكانَ الْمَدُّ عالِياً ، وَالأَمواجُ شَديدَةً ، فَأَخَذَهُما التَّيَّارُ داخِلَ الْبَحرِ . فَأَمسَكَ أَبُوكُما بِرَفِيقِه وَصَديقِه ، وَحَمَلَهُ بَينَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ يُغَالِبُ الأَمواجَ حَتَّى وَصَلَ بِهِ إِلى الشَّاطِئِ سَليماً ، وَاطْمَأَنَّ عَلَيهِ ، وَحَمِدَ اللهَ عَلى سَلامَتِه ، وَقَد تَعِبَ الأَبُ بَعدَ ما قامَ بِهِ مِنْ مَجهودٍ . وَفَجأَةً أَتَتْ مَوْجَةٌ شَديدَةٌ ، جَذَبَتْ أَباكُما داخِلَ الْبَحرِ ، وَحَملَتهُ بَعيدًا ، وَهُوَ مُتعَبٌ تَعَباً شَديدًا ، فَغَطَسَ فى الْماءِ ، وَماتَ غَرَقاً ، بَعدَ أَنْ نَجَّى صاحِبَهُ ، وَضَحَّى بِحَياتِهِ فى سَبِيل إِنقاذِهِ . وَفى هٰذا شَجاعَةٌ كَبيرَةٌ ، وَتَضحِيَةٌ

نَادِرَةٌ » .

لقدْ كانَ أَبوكَ شجاعاً وَنَبيلًا يا سامِي ، وَأَرْجو أَن تَكونَ مِثْلَهُ فى شجاعَتِهِ وَمُروءَتِهِ .

فَقالَ سَامى : أَرْجو يا أُمِّى أَنْ أُحقِّقَ ما تَرْغبينَ ، وَأَصِلَ إلى ما تُحِبِّينَ .

قالَت الأُمُّ : لَقَد قَرُبَ مَوعِدُ الْمَدْرَسَةِ . وَالآنَ يَجِبُ أَن تُسرِعَا وَتَذهَبَا ؛ كَى لاَ تَتَأَخَّرَا . فَقَبَّلَ الطِّفلانِ أُمَّهُما ، وودَّعَاها ، وَالدُّموعُ تَتَساقَطُ مِن أَعْيُنِهِما . وَأَسرَعَا ، وَذَهَبَا إلى مَدْرَسَتِهِما ، وَذَهَبَت الأُمُّ إلى حانُوتِها الصَّغيرِ .

وَقَد اعْتادَتِ الأُمُّ أَن تَشْغَلَ نَفسَها وَوَقْتَها بالْعَمَل فى الْبَيتِ حِيناً ، وَفى الْحانوتِ حِيناً آخَرَ . وَكانَتْ تَقومُ بِنَفسِها بعملِ الْمَلابِسِ الضَّروريَّةِ لِعَرائِسِ الأَطفالِ الَّتى تَبيعُها . وَلٰكِنَّها فى الأَيام الأَخيرَةِ كانَت مَشغولَةَ الْبَالِ ، مُضطَرِبَةَ الْحالِ ؛ فَقَد سَمِعَت مِنْ

جيرانِها أَنَّهُ سَيُنشَأُ فى (الْعِمارَةِ) الَّتى تُبْنَى أَمامَها حانوتٌ جَديدٌ كَبيرٌ ، بِهِ أَقسامٌ مُختَلِفَةٌ يُباعُ فيها كُلُّ ما تَحتاجُ إِلَيهِ الْبُيُوتُ مِنَ الأَصناف الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ قِسمٌ لِجَميعِ اللُّعَبِ الَّتى يُحِبُّها الأَطفالُ ، وَآخَرُ لِلمَلابِسِ وَالْمَعاطِفِ وَالأَحذِيَةِ ، وَثالِثٌ (لِلْبقالَةِ) وَأَنواعِ الْحلَوى ، وَرابعٌ لِلصِّينِىِّ وَالأَوانى الْمَنْزِلِيَّةِ . وَسَيَقومُ بِإِنشاءِ هٰذَا الْحانوتِ أَو المخزَنِ الْكَبيرِ تاجِرٌ غَنِىٌّ مِنْ كِبارِ التجارِ .

قَلِقَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ كُلَّ الْقَلَقِ ، وَاضطَرَبَتْ كُلَّ الاضْطِرابِ عِنْدَما سَمِعتْ هٰذا الْخَبَرَ ، وَشُغِلَ بالُها ؛ لأَنَّ الْحانوتَ الْجديدَ سَتُباعُ فيهِ اللُّعَبُ والْحَلوَى الَّتى تَبيعُها فى حانُوتِها الصَّغير . وَأَخذَتْ تُفكِّرُ فى مُسْتَقْبَلِها وحالِ ولَديْها ، وَتَجَمَّعَتْ عَلَيْها الأَفكارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ . وَسَأَلَتْ نفسَها الأَسئلَةَ الآتِيَةَ : كَيفَ يَكونُ مَركَزى حينَما يُفتَحُ الْحانوتُ الْجَديدُ ؟ وَمَنْ مَنَ

الْمُشترِينَ يأْتى لِيَشْتَرِىَ مِنَ الْحانوتِ الصغيرِ وَأمامَه حانوتٌ كَبيرٌ فيهِ آلافُ الأَصنافِ التى يحتاجُ إِلَيْها الإنسانُ ؟ وَمَنِ الذى يَترُكُ الْمَحلَّ الكَبيرَ الْمَمْلوءَ بالْبِضاعَةِ الْجَديدَةِ وَيَذهَبُ لِلْمَحَلِّ الْفَقيرِ الْمُتَواضِعِ ؟

لَمْ تُخْفِ الأُمُّ الْمِسكينَةُ الْمُجاهِدَةُ عَنْ طِفلَيْها شَيئاً . وَأَظْهَرَتْ لَهُمَا مَخاوِفها حِينَمَا يُفتَتَحُ الْمَخْزَنُ الْجديدُ لِلبَضائِعِ أَمامَ حانوتِهِم الصَّغيرِ . فَأَسِف الطِّفلانِ الْيتيمانِ عِندَمَا سَمِعَا هٰذَا الْخَبَرَ الْمُحْزِن ، وَحَزِنَا لِحُزنِ أُمِّهِما . وَماذا يستَطيعُ طِفْلانِ صَغيرانِ أَنْ يَفْعَلا لِمُساعَدةِ والِدَتِهِما الْحَزِينَةِ الْفَقيرَةِ الْوَاحِدَةِ ، الَّتى لا تفكِّرُ إلاَّ فى شَىءٍ واحِدٍ ؛ هُوَ : تَربِيَتُهُمَا تَربيَةً كامِلَة ، وَالْعِنايَةُ بِأُمورِهِما عِنايَةً تامَّةً ، وَعَمَلُ كلِّ ما يُمكِنُها لإِراحَتِهِما ، وَإِدْخالِ السُّرورِ وَالْفَرحِ عَلَيهِما ؟ إِنَّهُما يَتَمَنَّيانِ أَن يَكْبَرا حَتَّى يُرِيحاها وَيُساعِداها فى أُمورِ الْمعيشَةِ . وَيَرُدَّا إِليها الْجَمِيلَ

والْمَعروفَ .

تَمَلَّكَ الْقَلَقُ وَالْحُزْنُ الأُمَّ الْمِسْكِينَةَ ، وَوَضَعَتْ يَدَهَا الْيُسرَى عَلى جَبْهَتِها وَمُقَدَّمِ رَأْسِها ، وَاسْتَمَرَّتْ فى تَفكيرِهَا . فَقالَتْ لَها سامِيَةُ فَجأَةً : أُمِّى الْعَزيزَةَ الْمَحْبُوبَةَ ، مَا فائِدَةُ هٰذَا الْحُزنِ ؟ وَما نَتيجَةُ هٰذَا الْقَلَقِ ؟ لَقَد عَرَفْتُ مِنْ دُروسِ الدِّينِ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ . يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ ، وَيُعطِى مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ ؛ يَرزُقُ النَّاسَ وَالْحَيوانَاتِ وَالطُّيورَ وَجَميعَ الْمَخلُوقاتِ . فَلِماذَا تَتَقَلَّقِينَ ؟ وَلِماذا تَحْزَنينَ ؟ اُترُكِى الأَمْرَ للهِ ، وَاتَّكِلى عَلى اللهِ ، وَافْتَحِى الْمَحَلَّ . وَاعْمَلى ما فى وُسْعِكِ . وَاتْرُكِى النَّتيجَةَ للهِ . وَتَأَكَّدِى أَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُنا رزقاً حَسَناً . وَمِن الْمُحالِ أَن يَنساناَ . وَقَدْ حَفِظْتُ مِن الْقُرآنِ الْكَريمِ قَولَهُ تَعالى : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيرًا كَثيرًا » . وَإِنَّ قَلْبى يُحَدِّثُنى بِأَنَّ فى فَتْحِ الْحانوتِ الْجَديدِ خَيرًا

كثيرًا لنا . فلا تخافى ، ولا تحزنى .

فَاتَّعظت الأُمُّ بالْحديثِ اللَّذيذِ الَّذى سَمِعَتْهُ مِن ابْنَتِها المحْبوبَةِ ، وَابْتَسَمتْ لِلْحَيَاةِ ، وَتركَتْ أُمورَها للهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقادِرُ عَلى كُلِّ شَىءٍ . وَقَبَّلَت ابْنَتَهَا وَابْنَهَا ، وَقامَتْ لِعَمَلِها ، وَأَخَذَت تُغَنِّى وَتَقولُ : مَا أَجمَلَ الْحَيَاةَ ، وَالثِّقَةَ بِاللهِ ! وَأَدخلَت السُّرورَ وَالسَّعادَةَ عَلى وَلَدَيْها الْيَتيمَيْن ، وَبَدَأَتْ تَلعَبُ مَعَهُما فى حَديقَتِها الصَّغيرةِ . وحاوَلَتْ أَن تَنْسَى الْقَلَقَ وَاضطرَابَ البالِ والْفِكرِ .

وَأَخيرًا انْتَهى بِناءُ (الْعِمارَةِ) الْجَديدَةِ ، وَأُعِدَّ الْحانوتُ (الدُّكَّان) الْجَديدُ أَو الْمَخْزَنُ التِّجارىُّ الْكَبيرُ ، وَعُمِلَت لَهُ الرُّفوفُ الضَّروريَّةُ فى جَميعِ الأَقسام ، ثُمْ نُظِّمَ كُلُّ قِسم ، وَوُضِعَت فيهِ الْبضاعَةُ الْخاصَّةُ بِهِ ، وَدُعِىَ الْمَعروفُونَ مِنْ كِبارِ السُّكانِ فى الزَّيتونِ لِلاِحْتِفالِ بِافتِتاحِ الْحانوتِ الْجَديدِ الكَبير . وَاشْتَرَكَ الأَطفالُ

الصِّغارُ مَعَ الْكِبار ، فى التَّمَتُّعِ بالنَّظَرِ إِلَى الْبَضائِعِ الْحديثَةِ الْمَعرُوضَةِ فى الأَقسامِ الْمُخْتَلِفَةِ ، الَّتى فُتِحَتْ أَمامَ الْحانوتِ الصَّغيرِ الَّذى تَملِكُهُ السَّيِّدَةُ سَميرةُ .

وَاشْتَرَكَ سامى وَسامِيَةُ فى النَّظَرِ إلى الْقِسمِ الخاصِّ (بالشُّكولاتَةِ) وَالْحَلْوَى ، وَلُعَبِ الأَطفالِ الْمَعْروضَةِ فى النافِذَةِ الكَبيرةِ لِلْمَحَلِّ التِّجارِىِّ الْجديدِ . وَرَأَيا لُعَبًا مُتَنَوِّعَةً كَثيرَةً ، أَجْمَلَ مِنَ اللُّعَبِ الَّتى فى حانُوتِ أُمِّهما ، وَخاصَّةً الأَحْصِنَةَ الْخَشَبِيَّةَ ، وَسَيَّاراتِ الأَطفالِ ، وَالْعَرائِسَ الْجَمِيلَةَ ، وَالسُّفُنَ الشراعِيَّةَ ، وَالْقَوارِبَ الْبُخارِيَّةَ ، والْقِطارَاتِ الْحَديدِيَّةَ ، وَالأَرانِبَ الْبَيضاءَ ، وَالدِّبَبَةَ الْكَبِيرَةَ . وَحينَما رَأَى سامى هٰذِهِ اللُّعَبَ الكَثيرَةَ أُعجِبَ بِها كُلَّ الإِعجابِ ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكونَ عِندَهُ لُعبَةٌ منها ، وَقالَ : « لَيْتَنِى أَحصُلُ عَلَى لُعبَةٍ مِنْ هٰذِهِ اللُّعَبِ فى عيدِ ميلادِى ! » وَقَدْ سَمِعَتْهُ أُختُهُ سامِيةُ وَهُوَ يَقولُ ذٰلِكَ ، فَعَرَفَتْ رَغْبَتَهُ ،

وَلَمْ تَتَكَلَّمْ ، وَعَزَمَتْ فى نَفْسِها ، وَصَمَّمَتْ أَنْ تَشْتَرِىَ لَهُ لُعْبَةً مِنْها فى عِيدِ مِيلادِهِ الْقَرِيبِ .

مِسْكِينَةٌ السَّيِّدَةُ سَمِيرَةُ ؛ فَقَدْ فُتِحَ الْحانُوتُ الْجَدِيدُ الْكَبِيرُ ، وَتَحَقَّقَ ما كانَتْ تَخافُهُ ، وَتَحَوَّلَ الْمُشْتَرُونَ وَالْمُشْتَرِيَاتُ جَمِيعاً مِن كِبارٍ وَصِغارٍ ، أَغْنِياءَ وَفُقَرَاءَ إلى الْمَحَلِّ الْحَدِيثِ ؛ لِشِرَاءِ ما يَحتاجونَ إلَيْهِ ، وَانْقَطَعُوا جَمِيعاً عَنِ الشِّراءِ مِنْ حانوتِها الصَّغِيرِ ؛ حَتَّى كانَ الْيَوْمُ كُلُّهُ يَمُرُّ وَيَنْقَضِى ، وَلا يَشْتَرِى مِنها أَحَدٌ شَيئاً . فَاللُّعَبُ الجَمِيلَةُ تُشْتَرَى الآنَ مِنَ الْمَخْزَنِ الجَدِيدِ . وَالْهَدايَا لأَعيادِ الْمِيلادِ تُشْتَرَى مِنَ الْحانوتِ الْجَدِيدِ . وَ (الشُّكولاتَةُ) وَأَنواعُ الْحَلْوَى تُشْتَرَى مِنْهُ كَذٰلِكَ .

وَقَد كانَتِ النَّتِيجَةُ الضَّرورِيَّةُ أَنْ وَقَفَ الْبَيعُ وَالشِّراءُ فى الْمَحَلِّ الصَّغِيرِ ، وَتَحَوَّلَ الجَمِيعُ إلى الْحانوتِ الْجَدِيدِ الَّذى أَنْشَأَهُ أَحَدُ التُّجَّارِ الأَغْنِياءِ .

وَفى يَوم ٍمِنَ الأَيام أَخَذَت الأُمُّ تُفكِّرُ وَتَقولُ لِنَفسِها ، وَهِيَ مُتَأَلِّمَةٌ حَزينَةٌ ، مَشغولَةُ الفِكْرِ وَالبالِ : إِنِّى حَقيقَةً لا أَعرِفُ ماذا أَفعَلُ ؛ فَقَد تَرَكَ الْمُشْتَرونَ حانُوتى، (دُكَّانى) وَقاطَعوهُ مِنْ تِلْقاءِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلاَ يَدخُلُهُ أَحَدٌ الآنَ ، وَتَحَوَّلُوا جَميعاً إِلى الْحانوتِ الْجَديدِ ، أَو الْمخزَن الْكَبِير الذى فُتِحَ أَمامى . وربَّما كانَ لهُم الْعُذرُ ،فَمَحَلِّى صَغيرٌ مُتَواضِعٌ ،لَيْس فيهِ إِلاَّ الضَّرورياتُ ، أَمَّا الْحانُوتُ الْجَديدُ فَوَاسِعٌ ، وَمَمْلو بالضَّرورِياتِ وَالْكَمالِيَّاتِ . وإِذَا اسْتَمَرَّت الْحالُ ، فَسَيَأْتى وَقت قَريبٌ لاَ أَجِدُ فيه الْخُبزَ الضَّرورِىَّ لِابْنَتِى وَابنِى الْيَتِيمَيْنِ. وَلَن أَسْتَطيعَ شِراءَ ما يَحتاجان إِلَيهِ مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ وَمَلابِسَ . وَلا أَعِرفُ ما يُخَبِّئُهُ لنا الزَّمَنُ غدًا . وَالأَمرُ كُلُّهُ للهِ ، بيَدِهِ وَحْدَهُ التَّدبيرُ ، وتَقسيمُ الأَرزَاقِ . وَإِنِّى راضِيَةٌ كُلَّ الرِّضا بِما يَأْتى به اللهُ ، وما يَحكُمُ بِهِ عَلَيْنا مِنْ غِنًى وَفَقر ، وما

يُقَدَّرُ لَنا مِنْ سَعادَةٍ وَشَقاءٍ .

وَقَد أَخَذَتْ سامِيةُ تُفَكِّرُ فى عيدِ مِيلادِ أَخِيها . وَفى الْهَدِيَّةِ الَّتى يُحِبُّها وَيَتَمَنَّاها . وَكَيْفَ تَحصُلُ عَلى هٰذِهِ الْهَدِيَّةِ . لِتُدْخِلَ السُّرورَ عَلى نَفسِهِ . وَقَد سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَذْكُرُ رَغْبَتَهُ مُنْذُ أَيامٍ حِينَما كانَا يَنظُرانِ مَعاً إِلى الْمَعروضاتِ فى نافِذَةِ الْحانوتِ الْجَديدِ الذى فُتِحَ أَمامَ بَيْتِهِما وَحانوتِهِما . وَقَد بَقِىَ ثَلاثَةُ أَيامٍ عَلى عيدِ ميلادِ سامى . فَأَحْضَرَتْ سامِيَةُ صُندوقَ تَوفيرِها . وَهُوَ صُنْدوقٌ صَغيرٌ . وَفَرَّغَتْ ما فِيهِ مِنَ النُّقودِ الَّتى وَفَّرَتْها مِنْ مَصروفِ جَيبِها الْقَليلِ . وَعَدَّتْ مَا اقْتَصَدَتْهُ مِنْهَا . فَوَجَدتْ عِنْدها قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ بِخَمْسَةِ قُروشٍ . وَقِطعَتَين مِنْها . كُل قِطْعَةٍ بِقِرْشَينِ . وَسِتَّةَ قُروشٍ أُخرى . وَمَجموعُها خَمسةَ عَشَر قِرشاً .

فَفَرِحَتْ سامِيَةُ فَرحاً كَثيرًا . وَقالَتْ لِنَفْسِها : أَرْجو أَنْ أَشتَرى بِهٰذِهِ النُّقودِ اللُّعْبَةَ الْجَمِيلَةَ الَّتى

أَحَبَّها سامى ، وَرآها فى نَافِذَةِ الْمَعروضاتِ مِنْ لُعَبِ الأَطفالِ ، فى الْمَخْزَنِ الْجَديدِ .

وانتَظَرَتْ سامِيَةُ حَتَّى خَرَجَ أَخوها سَامى لِشِراءِ بَعْضِ الأَشياءِ لأُمِّهِ مِنَ الْخارجِ ، فَخَرَجَتْ سامِيَةُ ، وَذَهَبَتْ إِلَى الْحانوتِ الْجَديدِ ، وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إِلى ما فى نافِذةِ المعرُوضات مِنَ الأَنواعِ المختَلِفَةِ مِنَ الْبِضاعَةِ ، وَقالَت : ما أَجمَلَ هٰذَا الْحانوتَ ! إِنَّهُ جَميلٌ حَقًّا ، فِيهِ ما تَشتَهيهِ الأَنفُسُ ، وتَلَذُّ الأَعْيُنُ . وَتَسْتَطيعُ كُلُّ أُسرَةٍ أَن تَجِدَ فيهِ كُلَّ ما تَحتاجُ إِلَيهِ . فَلا عَجَبَ إِذا قَصَدَهُ كُلُّ مُشْتَرٍ لِيَشتَرِىَ مِنْهُ ما يُحِبُّ. وَهُناكَ سَياراتُ الأَطفالِ فى قِسمِ اللُّعَبِ .

وَفى الْوَقتِ الَّذى كانَتْ تَنظُرُ فيهِ سامِيَةُ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فى الْحانوتِ الْجَديدِ ؛ لأَنَّ الْوَقتَ وَقتُ غِذاءٍ ، وَيُقفَلُ فيهِ الْحانوتُ مِن تَمامِ السَّاعَةِ الْواحِدَةِ بعدَ الظُّهْرِ ، إِلى تَمامِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ .

وَمَكَثَت تَنظُرُ وَحدَها إلى الْمَعروضاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ أَكثَرَ مِن عَشرِ دَقائِقَ .

وَفى تَمامِ الساعَةِ الرَّابعَةِ فُتِحَ الْحانوتُ الْجَديدُ ، فَدَخَلَتْه سامية ، واسْتَقبَلَتْها ابْنَةُ صاحِبِهِ ، وكان اسمُها ماجدةَ ، وَسَأَلَتْها : ماذا تُريدينَ ؟

فَأَجابَتْها سامِية : إِنِّى أُريدُ أَن أَرَى سَيَّاراتِ الأَطفالِ ؛ لأَختارَ سَيَّارَةً مِنها لأَخى .

فَأَحضَرَتْ مَاجدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحانوتِ سَيَّارَةً ، وَوَضَعَتْها أَمامَها ، وَقالت لَها : يُمكِنُكِ أَن تُديرى هٰذَا الزُّنْبُرُكَ (الزنبلك) هٰكَذَا ، فَتَجرِى السَّيارةُ علَى الارْضِ ، وَهِىَ جميلَةٌ جِدًّا . إِنَّ أَخِى عِندَهُ سَيَّارَةٌ مِنْها . وَهُوَ يُحِبُّها كَثيراً .

فَقالَت سامِيةُ : إِنِّى أُريدُ هٰذِهِ السَّيارَةَ لأَخى سَامى ؛ لأُهدِيَها إِلَيْهِ غَدًا فى عيدِ مِيلادِهِ ؛ لأَنَّهُ يَميلُ إِلَىَ السَّياراتِ ، وَيُحِبُّ أَنْ تُهدَى إِلَيهِ سَيَّارَةٌ .

فَعَجِبَتْ مَاجِدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحَانُوتِ الْجَدِيدِ عِنْدَما سَمِعَت اسْمَ سامى ، وَسَأَلَتْها : هَلِ اسْمُكِ سامِيَةُ ؟

فَقالَتْ سامِيَةُ ، وَقَد عَجِبَتْ لِمَعْرِفَتِها اسْمَها : نَعَمْ إِنَّ اسْمِى سامِيَةُ ، وَلٰكِنْ كَيفَ عَرَفْتِ اسْمِى ؟

لَمْ تُجِب ما جِدَةُ عَلى سُؤال سامِيَةَ ، ثُمَّ سَأَلَتْها : هَل ذَهَبَ أَبوكِ فى يَوم مِن الأَيام إِلى الإِسكَندَرِيَّةِ لِيَبْحَثَ عَن عَمَلٍ بِها ؟

فَأَجابَتْ سامِيَةُ : نَعَمْ ، وَلٰكِنْ أَخبرِينِى ، كَيفَ عَرَفْتِ هٰذَا ؟ وَمَنْ أَخبرَكِ بِذٰلِكَ ؟

فَقامَتْ ما جِدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحانوتِ الْجَدِيدِ ، وَقَدتَأَثَّرَتْ كُلَّ التَّأَثُّرِ ، وَقالَت لَها : انْتَظِرِى هُنا لَحظَةً .

ثُمَّ نادَتْ أَباهَا ، وَقالَت : أَبِى ! أَبِى ! تَعالَ مِنْ فَضلِكَ بِسُرْعَة ؛ فَهُنا سامِيةُ ، وَلَها أَخٌ اسْمُهُ سامى . وَأَنا أَعرِفُ أَنَّكَ تَبْحَثُ عَنْهُما مُنذُ سَنوَاتٍ .

فَحَضَرَ أَبُوها فى الْحالِ ، وَهُوَ رجُلٌ مُهَذَّبٌ ، طويلُ الْقامَةِ ، حَسَنُ الْهِندام ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ ، وَهِيَ سَيِّدَةٌ وَديعَةٌ ، كريمَةُ الْخُلُقِ ، ضاحكَةٌ مُستبْشِرَةٌ .

فَرَجَا الْأَبُ — وَهُوَ صاحِبُ الْحانوتِ الْجَديد — سامِيَةَ ، وَقالَ لَها : قُصِّى عَلَيَّ مِن فَضلكِ حِكايَتَكِ بِالتَّفصيل ، مِنْ أَوَّلِها إِلى آخِرِهَا .

فَحارَتْ سامِيَةُ فى أَمرِها حَيْرَةً شَديدَةً ، وَلَم تَستَطعْ أَن تَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً .

فَقالَت ما جِدَةُ لأَبِيها : إِنَّهُ يَحسُنُ أَن تَقولَ أَنتَ يا أَبِى حِكايَتَكَ لَها .

فَقالَ الْأَبُ : إِنَّ الْقِصَّةَ بَدَأَتْ مُنْذُعِدَّةِ سَنَواتٍ ، فَقَدْ كُنتُ أَعيشُ مَعَ أُسرَتى فى الْإِسْكَندَرِيَّة . وَفى يومٍ مِنَ الْأَيام ِ قابَلَنى صَديقٌ اسمُهُ كامِلٌ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ بِها ، فَدَعَوْتُهُ لِيَتَناوَل الْغَدَاءَ مَعى ، وَوَعَدتُهُ أَن أُساعِدَهُ فى الْبحثِ عَن عَمَلٍ يُناسِبُهُ . وَقَدْ أَرانى

صورَةً كانَتْ مَعَهُ ، لابْنٍ لَهُ يُسَمَّى سامِياً ، وَابنَةً تُسَمَّى سامِيَةَ . وَكانَا طِفلَيْنَ صَغيرَيْن ، يُحِبُّهُما أَبوهُمَا حُبًّا كَثيرًا .

فَقالَت سامِيَةُ : آهِ ! وَأَنا أَعرِفُ بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ ، إِذا سَمَحْتَ لى بِذِكْرِها . فَسَمَحَ لَها ، وَقالَتَ : لَقَد كانَ هٰذا الصَّديقُ أَباً لى ، وَقَد ذَهَبْتُما لِلاسْتِحمامِ فى الْبَحرِ ، فى يومٍ كَثيرِ الْعَواصِفِ ، شَديدِ الْأَمْواجِ ، وَأَنْتُما لا تَعرِفانِ السِّباحَةَ ، فَجَذَبَتْكَ الْأَمْواجُ ، وَكِدْتَ تَغرَقُ ، فَخَاطَرَ بِنَفسِهِ ، وَأَنْقَذَكَ مِنَ الغَرَقِ ، وَأَخرَجَكَ إِلَى الْبَرِّ سالِماً ، وَفَجأَةً جَذَبَتهُ الْأَمواجُ بَعِيدًا ، وَهُوَ مُتعَبٌ ، فَماتَ غَرَقاً فى الْبَحرِ .

فَقالَ الرَّجُلُ : هٰذَا كُلُّهُ صَحيحٌ ، وَقَد حَزِنْتُ كَثيرًا لِمَوْتِهِ ، بَعْدَ أَن أَنقَذَ حَياتى بِكُلِّ شَجاعَةٍ . وَمُنذُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ ، أَبْحَثُ عَنْ زَوجَتِه ، وَابنِه سامى ، وَابْنَتِهِ سامِيَةَ ؛ لأَكونَ صَديقاً لَهُمْ ، وَأَرُدَّ إِلَيهِمْ

مَعروفَ أَبِيهِم الَّذى ضَحَّى بِنَفْسِهِ ، لِيُنقِذَ حَياتى . وَلٰكِنْ لمْ أَستَطِعْ أَنْ أَجِدَهُم ، وَلَم أَعرِفْ مَنزِلَهُمْ ومَسكِنَهُمْ ، مَعَ الْأَسَفِ . ثُمَّ سَأَلَها : وَأَينَ تَسكُنونَ يا بُنَيَّتى ؟

فَأَجابَتْ سامِيَةُ : إِنَّنا نَسكُنُ الْبَيْتَ الْمُقابِلَ لِحانوتِكَ الْجَديدِ . وَنُقِيمُ فيهِ مُنذُ مَوْتِ أَبِينا . وَلَنا حانوتٌ صَغيرٌ أَمامَ حانوتِكَ الْكَبيرِ . وَقَد أَخَذْتَ كُلَّ الْمُشْتَرِينَ وَالْمُشْتَرِيَاتِ مِنَّا ، وَتَحَوَّلُوا جَميعاً إِلَى الْحانوتِ الْجَديدِ . وَلَيْسَ هٰذا ذَنْبَكَ ؛ فَهُمُ الَّذينَ يَذهَبونَ بِاخْتِيارِهِمْ ، مِن تِلقاءِ أَنْفُسِهِمِ . وَقَدْ يَمُرُّ الْأُسبوعُ وَلا يَدخُلُ حانوتَنَا أَحَدٌ .

فَابْتَسَمَتْ زَوْجَةُ الرَّجُلِ ابْتِسامَةَ الْأَلَمِ ،وَقالَتْ ، إِنَّ هٰذَا أَمْرٌ مُخْجِلٌ وَمُؤْلِمٌ مَعاً . وَنادَتْ زَوْجَها : تَعالَ مَعى يا مُصطَفى . وَلْنَذهَب الْآنَ إِلَى أُمِّ سامِيَةَ ، وَنُخْبِرْها بِأَنَّنا مَسرورونَ ؛ لِأَنَّنا وَجَدناها فى النِّهايَةِ ،

وَنعتَذِرْ لَها عَمَّا أَصابَها بِسَبَبِنَا مِنْ غَيرِ قَصْدٍ ، وَنَعمَلْ ما يَجِبُ عَلَينَا نحوَها . هَيَّا بنَا لِنَرَى ساميًا أَيْضاً وَإنَّ من حُسنِ الْحظِّ أَنَّ سامِيَةَ قَد حَضَرَت إلى الْحانوتِ لِتَشْترِىَ سَيَّارَةً صَغيرَةً لِسامى .

فَأَطاعَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ ، وَذَهَبَ الْجَميعُ إلى الْبَيتِ الصَّغيرِ الْمُقابِلِ لِلْحانوتِ الْجَديدِ ، لِزيَارَةِ السَّيِّدَةِ سَميرَةَ ، وَرُؤْيَةِ ابنها سامى . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مِقدارَ تَأَثُّرِ الْأُسْرتَيْنِ فِى ذٰلِكَ الْيَوم ، لِهذا اللِّقَاءِ الْفُجائِىِّ ، وَهٰذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْفُجائِيَّةِ ، بَعدَ بَحثٍ طَويلٍ ، وسنينَ طَويلَةٍ . وَقَد ضَحِكَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ ، وَبَكَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ ، وَتَساقَطَت الدُّموعُ مِنْ عَيْنَيْها .

وَفَرِحَ سامى فَرَحاً كَثيرًا ، وَأَخَذَ يَجرِى وَيَمْرَحُ مِنْ شِدَّةِ السُّرورِ وَالْفَرَحِ . وَرُبَّما تَسأَلُ : ماذَا فَعَلَ الصَّديقُ الْغَنِىُّ ، صاحِبُ الْحانوتِ الْجَديدِ لِيَرُدَّ الْجَميلَ لِزَوْجِ السَّيِّدَةِ سَميرَةَ ؟

لَقَد قالَ لَها : إِنّى آسِفٌ يا سَيِّدَتى كُلَّ الْأَسَفِ لِما حَدَثَ . وَعندِى مَخازِنُ تِجارِيَّةٌ كَثيرَةٌ ، فى جِهات مُختَلِفَةٍ ، وَفى ضَواحِىَ مُتَعَدِّدَة ، كَهٰذا الْحانوتِ . وَإِنِّى أَتَمَنَّى سَيِّدَةً مُجَرِّبَةً تُديرُ لى هٰذا الْمَحَلَّ الْجَديدَ ، وَأَرَى فيكِ الْمَقْدِرَةَ والْكِفايَة . فَهَلْ تَسمَحين ياسَيِّدَةُ سَميرَةُ بِإِدارتِهِ لى ؟ وَإِن لَكِ خِبْرَةً بِهٰذا الشَّأْنِ ، كَسَبْتِها مِنْ إِدارة مَحَلِّكِ . وَفى اسْتِطاعَتِكِ أَن تُديريهِ كَما يَنبغِى . وَسأَجعَلُ لَكِ راتِباً قَدرُهُ ثَلاثون جُنَيْهاً فى الشَّهر .

فَشَكَرَت السَّيِّدَةُسَميرَةُ لِصَديقِ زَوْجِها شُعورَهُ النَّبيلَ ، وَإِحساسَهُ الرَّقيق ، وَقَبِلَتْ أَن تَكونَ مُديرَةً لِلْحانوتِ الْجَديدِ ، وَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَتْ حانوتَها الصَّغيرَ ، وَتَغَيَّرَتْ حالُ الْأُسرَةِ ، وَشَعَرَتْ بِالْهَناءَةِ وَالسَّعادَةِ .

وَقَدْ تَسَلَّمَ سامى فى عيدِ مِيلادِهِ هَدَايا جَميلَةً لَمْ

يَكُنْ يَنْتَظِرُهَا . فَقَدْ أهدَى إليهِ صديقُ أَبيه سَيَّارَةً جَميلَةً ، وَقطارًا كبيرًا يَسيرُ عَلى قُضْبانٍ ، وَدَرَّاجَةً بِثلاثِ عَجَلاتٍ ، وَطَيَّارَةً نَمُوذَجِيَّةً ، وَفِيلاً ضَخماً ، وَحِصاناً خَشَبِيًّا ، وَأَقامَ لَهُ عيدَ مِيلادٍ لَمْ يُعمَلْ لَهُ مِن قَبْلُ . وَاجْتَمَعَت الأُسرَتَانِ فى عِيد مِيلادِ سامى ، وَوَجَدَ سامى كَثيرًا مِنَ اللُّعَبِ الَّتِى يُحِبُّها . وابتَسَمَ الْحَظُّ لِلأُسْرَةِ الْفَقيرَةِ الَّتى فَقَدَتْ مَنْ كانَ يَعولُها فى سَبيل إنقاذِ حَياةِ صديقٍ لَهُ . وَعاشَتْ عِيشَةً سَعيدَةً هانِئَةً ، وَقَدْ عَوَّضَها اللهُ خيرًا . وَتَحَقَّقَ ما كانَتْ تُحِسُّ بِهِ ساميَةُ حِينَما رَدَّدَت لأُمِّها قولَه تعالى:

« وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً ويَجعَلَ اللهُ فيهِ خَيرًا كَثِيرًا »

القلم الذهبي الجديد

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه ديوبند (يو-پی)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّني أن أقدم للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصاً مني على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الْجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخير منه — مع كثرة قصصِه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤها وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القَصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرَغِّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ، وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا فى النواحِي الخلقية والاجتماعية

والعاطفية : فيمضىَ إلى نهايتِها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى معاودَةِ قراءتِها «

وَقدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأساليبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسِبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجَمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمّى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لذةً وسرورًا يشعرُ بهما الكبارُ أنفسُهم حينَ يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية **مصر العربية** ، والشرقِ العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطيه الإبراشى

القِصَّةُ الأُولى

القَلَمُ الذهبيُّ الجديدُ

فى يَومٍ من الأَيامِ أَهْدى الأَبُ إلى ابنهِ نبيلٍ فى عيدِ ميلادِه هَدِيَّةً جميلةً ، هى قلمٌ ذَهَبيٌّ من الرَّصاصِ.
وكان نبيلٌ يُعجَبُ بقلمِه ، ويفْخَرُ به ؛ لأَنه أُهْدىَ إليه من أَبيه فى مُناسَبَةٍ خاصَّةٍ ، هىَ عيدُ ميلادِه . وَلم يَكُنْ عِند أَحدٍ من فصلهِ فى المدرسَةِ قلمٌ ذهبيٌّ مثلُه ؛ فكان هُوَ الوحيد الذى عِندَهُ قلمٌ جديدٌ جَميلٌ من الذَّهب ، وَلا عَجبَ ؛ فجميعُ زُملائِه من التلاميذِ عندَهم أَقلامٌ خَشبِيَّةٌ عادِيَّةٌ من الرَّصاص ؛ لاستِعمالها فى المدرسةِ.

كان قلمُ نَبيلٍ من النَّوعِ الذهَبِيِّ البرَّاقِ اللَّامعِ الجميل . فإذا أَدَرتَ الطَّرَفَ الأَسفَلَ من القلمِ بإِصبَعيْكَ ظهَرت الرَّصاصةُ فى الطرَف الثانى من القلمِ

وبمَخْزَنه يوضع عددٌ كبيرٌ من الرَّصاصات ؛ لاستعمال واحدةٍ منها حينما تنتهى الرَّصاصةُ الَّتى تُسْتعمَلُ فى القلمِ . وبه أيضاً مِمحاةٌ (أَستيكةٌ) صغيرةٌ لإزالة الكتابةِ بالْحِبرِ أَوِ الرَّصاص . فهو فى الحقيقة قلمٌ مَتين وجميلٌ ، وهَديَّةٌ نافعةٌ يَستَحِقُّها نبيلٌ لذكائِه وأَدبِه ، ونجاحِه وتقَدُّمِه عَلَى الدوامِ فى ترتيبه ، واحْتفاظِه بالأَوَّليّةِ فى فِرقتِه . وحُبِّ أَبوَيه وإخوتِه وأَساتذتِه ورُفقائِه لهُ .

وَقد اعتاد المُعلِّمون أَن يَسْتَلفوا القلمَ من نبيلٍ للكتابةِ به فى الفَصْلِ عِند الضرورةِ . وتعوَّدَ كلٌّ منهم أَن يقولَ لهُ : «أَينَ قلمُكَ الذهَبىُّ الجميلُ . يا نبيلُ؟ هلْ تَسمحُ أَن تُسلِّفَنى إيَّاه لحظةً منْ فَضلِكَ ؟ لهذا كلِّه يُمكِنُكَ أَن تُدركَ أَن نبيلًا كان يحِبُّ قلمَهُ الذهبىَّ كَثيرًا . وَيعتزُّ ويفْخَرُ بهِ . ويَحرِصُ علَيه كل الحِرص . ويهتم بالمحافظَةِ عليهِ ؛ خَوفاً من ضَياعِه وفَقْدِه .

وفى يَومِ العُطلةِ الأُسْبوعيةِ كان نَبيلٌ فى حَديقةِ



نبيل يمسك بقلمه الذهبي ، وهو فرح به

البيْت جالساً عَلَى كرْسيّ ، يَرسُمُ بقلَمِه الذهَبيِّ الجميلِ ، فى كراسَةِ الرَّسمِ ، مَنظرًا مِن المنَاطرِ الَّتى كلَّفهُ المدرِّسُ أَن يقومَ برسْمِها فى المنزلِ . وفى الوقتِ الذى كان يَرسُمُ فيهِ أَرسَلتْ إِليهِ أُمُّهُ ليَلبَسَ ويُجَرِّبَ حُلَّتَهُ الصُّوفيَّةَ الجديدَة ، وتَراهَا وهُو لابسٌ لها ، فتركَ كرَّاسَةَ الرَّسمِ عَلَى مِنْضَدَةِ الْحَديقةِ ، ووَضعَ القلمَ الجديدَ فوقَ الكُراسةِ ،حتى يرجعَ ويأْخُذَه ، وذهَب إِلى والدتِه داخلَ البيْتِ لتَجرِبةِ الْحُلَّةِ (البَدْلة) ،ولُبْسِها أمامَهَا.

وبَعدَ أَنِ انْتهى مِن تَجربةِ الْحُلَّةِ رجَع إِلى الحديقة لتَكْملَةِ الواجبِ فى الرَّسمِ ، ولكنْ مَع الأَسَفِ الشديدِ لم يَجدْ قلمَه الذَّهَبيَّ الجمِيلَ على الكُرّاسَةِ فوْقَ المِنْضَدةِ ، كما تَركه . فظَنَّ أَنه وَقعَ على أَرضِ الحديقة ، وأَخَذ يَبْحَثُ عَنه تحتَ المِنْضَدةِ ، وحَوْلها مِن كلِّ جانبٍ ، ولكنَّه لم يجِدْ له أَثرًا مُطلَقاً ، فعجِب كلَّ العَجَب ، وَاسْتغرَبَ كَثيرًا ،

وَحارَ فى أَمرِه كلَّ الحيْرةِ . وكَرّرَ البَحْثَ مِرَارًا فى كلِّ مكانٍ حَولَ المِنْضَدةِ الَّتِى كان يرسُمُ عَليْهَا ، وقدْ بحثَ فوْقهَا . وتحتَهَا ، وَقلَّبَ الكُرَّاسَةَ ورقة ورقةً وهُو يَبحثُ عنْه . فلمْ يَجدْ لقَلمِه الجَديدِ أَثرًا .

وَفى النِّهايةِ تركَ البَحْثَ ؛ لأَنه لم يَجدْ مِنْهُ فائِدَة . وقدْ تَأَكَّد تمامَ التَّأَكُّدِ أَنَّ القلمَ لم يَقَعْ على أَرضِ الحديقةِ . أَو تحتَ المِنضدَة ، أَو حَوْلَها .

أَخَذ نَبيلٌ يَبحثُ فى جُيوبِه عَن القلمِ الذَّهَبِيِّ العزيزِ الذى أَهداهُ إِليه أَبوه ، فرُبَّما يكونُ قد نَسِيَ ، ووَضَعَه فى جَيْبٍ من جُيوبِه ، ولكن مَع الأَسَفِ لم يجدْهُ مُطلقاً فى أَيِّ جَيبٍ . ولَم يَجدْ إِلَّا المِنديلَ ، وَالْمِبراةَ ، ولُعْبَةَ النَّحْلة ، وخَيطاً من الْخُيوطِ ، وقطعتَيْن من قِطعِ الْحَلوى الملفوفةِ فى الورَق . وقَد تَحقَّق تماماً أَن قلمَهُ النَّفيسَ قد ضاعَ منْه . وفى ضَيَاعِه وفَقدِه خَسارة كَبيرة لأَنه جَديدٌ . وتِذكارٌ

جميلٌ مِن أَبيهِ فى عيدِ ميلادِه الْماضى .

ذهَبَ نَبيلٌ إلى أُمِّه وهُوَ حائرٌ مُتَأَلِّم ، لا يَعرِفُ أَين ذهَب القلمُ . ولا يَعلمُ كيفَ أُخِذ من فَوْقِ المِنضَدة ، ولا يَدرى مَن أَخَذهُ . وأَخْبرَها أَنهُ تركَ قلمَه الذَّهبيَّ على المِنْضَدةِ فى الحديقةِ حِينما أَرسلَتْ إِليْه ليُجَرِّبَ حُلَّتَه . ولمَّا رجَعَ لمْ يجِدْه فوْقَهَا . وبحَثَ عَنْه تَحتَها وَحَوْلَها فلمْ يرَ له أَثرًا .

فتأَلَّمَتْ لأَلَمِهِ ، وقالت لهُ : أَنا آسِفةٌ لاسْتماعِ هذا الخبرِ . وذهَبَتْ مَعه لتَبْحَثَ عَنْه بنفسِها . وأَخَذت تَبحثُ وتفْحَصُ عَنْه هُنَا وهُناكَ . تَحتَ المِنضَدةِ وفَوْقَها . وحَوْلَها بدِونِ فائدةٍ .

تَأَلَّمَ نَبيلٌ كلَّ الأَلَم . وحَزِن كلَّ الْحُزنِ ، لِضياعِ هٰذا التِّذكارِ مِنْه . مع أَنه كان حَريصاً عَليْه ، ولم يَضِعْ مِنه مِن قَبْلُ . معَ أَنه أُهدِىَ إِليه مُنذُ سِتَّةِ أَشهرِ فى عيدِ ميلادِه الماضى .

وبَعدَ أَن اشتركَتْ معه أُمهُ فى البَحثِ عَنه فى كلِّ مكانٍ بالحديقَةِ . ولَم ترَ لهُ أَثرًا . قالتْ لابنِها : أَيها الابنُ العزيزُ . لقدْ ضاع القلمُ وفُقِدَ . ولا فائدةَ مِن الحزْن ؛ لأَنه لَنْ يُعيدَه إِليْك . فلا تَحْزَنْ . ولا تتَأَلَّمْ . ثمَّ سأَلَتهُ : هَل دَخَل أَحَدٌ الحديقةَ فى الوقتِ الذى جئتَ فيه إِلى المَنزلِ لتُجَرِّبَ حُلَّتَكَ ؟

فأَجابَ نَبيلٌ : سأَسْأَلُ البُستَانِىَّ والطَّباخَ يا أُمِّى . ثمَّ أُجيبُكِ .

ذَهَب نَبيلٌ إلى البُستانىِّ وسأَلَهُ : هَلْ دَخَلَ أَحَد غَريبٌ أَو أَجنبىٌّ الحديقةَ اليومَ ؟

فَأَجابهُ : لا ، لَمْ يَدخُلْها أَحدٌ غَريبٌ اليومَ .

ثمَّ ذهَب إلى الطَّباخِ : هَل رأَيْتَ أَحَدًا أَجْنبِيًّا اليَوْمَ فى حديقةِ المَنزل ؟

فَأَجابهُ : لا يا سَيِّدى .

وتَأَكَّد مِنهُمَا أَنَّ اللَّبَّانَ وبائعَ الصُّحفِ ، وبائع

الخُبزِ . والفاكِهانِى لَمْ يَدْخُلْ أَحدٌ مِنهم الحديقَةَ مُطلقاً اليَوْمَ .

ثمَّ ذهَب إلى أُمِّهِ وأَخبرَها بمَا قالهُ البُسْتَانىُّ والطَّباخُ . ولم يجدْ فائدة من إِضاعةِ الوقتِ بسببِ ضَياعِ قلمِه الذَّهبىِّ . فأَخَذ قَلماً خَشبِيًّا عاديًّا منَ الرَّصاصِ . وذهَبَ إلى الحديقةِ . واسْتمر فى تَكْمِلةِ الرَّسمِ الذى بَدَأَه . وَفى الوقتِ نفسِه كان يُفكِّرُ فى قَلمِه الجميلِ الذى فُقدَ مِنْه فجأَةً . وَلم يعرِفْ لهأَثَرًا .

وبَعدَ مُدةٍ قَصيرةٍ . رَجعَتْ أُختُه الصَّغيرةُ نَيِّرَةُ إِلَى البَيتِ . ومَعها كُرَةٌ طائِرةٌ . مِن الْمَطَاطِ (بالُون) . لوْنُها أَحْمَر . ومَنظَرُها جَميلٌ . وشَكلُها مُستَدِير . وحَجْمُها كبيرٌ . وفى طرَفِها خَيطٌ طَويل لِتَلْعَبَ بها بنفْسِها . وهىَ أَكْبرُ كرَةٍ رَآها نَبِيل . فلمَّا رآها أُعجِبَ بها كلَّ الإعجَابِ . ونَسىَ قَلمَه الذَّهبىَّ الجَميلَ الضائِعَ . وذَهب لِيرَى الكُرَةَ الجَميلةَ ،

الَّتِى اشْتَرَتْها أُختُه نَيِّرَةُ .

نَظَرَ نَبيلٌ إلى الكرَةِ الطائرةِ ، نظْرَةَ إعجابٍ ، ثمَّ أَعطاها لأُختِه . فطَلبتْ مِنه أَنْ يَلعَبَ مَعها ، فقال لَها : لا ، وأَشْكرُكِ يا نَيِّرةُ ، فقدْ ضاعَ مِنِّى القَلَمُ الجَديد . ولَيسَ عِندى الآنَ مَيلٌ لِلَّعِبِ مُطَلقاً ؛ لأَنِّى حَزينٌ لِضَياعِ القَلَمِ . وهوَ تِذْكارٌ منْ أَبِى ، وما كنت أُحِبُّ أَن يَضيعَ هذا التِّذْكارُ الذى أَهداهُ إِلَىَّ .

لِهَذا أَخَذتْ نَيِّرَةُ ، تَلعَبُ وَحدَها بالْكرَةِ ، وتَدْفَعُها فى الجَوِّ إلى أَعْلَى ، فتَطِيرُ ، وتُمسِكُ بها حينما تَنزِلُ إلى أَسْفلَ . وقد حَدثَ أَنْ هَبَّت الرِّياحُ فَجْأَةً ، وكانت شَديدةً جِدًّا . فارتَفعَت الكرةُ الطَّائرةُ بَعِيدًا إِلَى أَعْلَى . ولم تَستَطعْ نَيِّرَةُ أَن تُمسكَ بالْخَيطِ ، فصاحَتْ ونادَت أَخاها ، وقالَتْ له : اُنْظرْ يا نبيلُ ، لَقدْ رَفعَت الرياحُ الشَّديدةُ الكُرَةَ الطائرةَ فى الهَواءِ. أَسْرِعْ مِن فَضْلِك. وَالْحَقْها ، واجْرِ وَراءَها ، وأَحضِرها ،

لأَنَّها طارَت فى حَديقةِ الجيرانِ .

نَظَر نَبيل إلَيها . فوجدها قدْ ترَكَتْ سُورَ الحَديقةِ . وطارَتْ نحْوَ الأَرضِ . وقال لأُختِه : كان مِن الواجبِ أَنْ تُحافِظِي علَيها . وألّا تَسْمَحِي بذَهابِها بعِيدًا . ولَيسَ مِن الذَّوْقِ والأَدَبِ أَنْ أَتَسَلَّقَ السُّورَ . وأنزلَ فى حَديقةِ الجيرانِ . بغيْرِ اسْتِئذان .

فقالَتْ نيِّرَةُ – وقدْ ظَهر علَى وَجهِها الحُزْنُ والأَلَمُ – : إنّنى أُحبُّ لُعْبَتى يا نبيلُ . بِقَدرِ حبِّكَ لِقَلمِك الذَّهبيِّ الجَميلِ . وأَرْجو أَنْ تُحضِرَها لِى ثانِيَة مِن فَضْلِك .

تَـأَلَّمَ نبيل لأَلَمِ أُختِه . لِضَياعِ كُرَتِها الطائرة . ولُعْبتِها الجَديدَةِ الَّتى تُحبُّها . وأَحَسَّ فى نفْسِه بالأَلَمِ الذى يَشْعُرُ بِه الإنسانُ حينَما يَضيعُ مِنهُ شَىْءٌ عَزيزٌ لَدَيهِ . ومَحبوبٌ عِنْدَه . ورَأَى أَن مِن الواجبِ أَنْ يكونَ لَطيفاً مَع أُختِه . ويُراعِىَ إحساسَها وشُعورَها . ويُساعِدَها وَقْتَ الشِّدَّةِ . ولا يُكْثِرَ المُناقَشةَ معَها



نبيل يحاول أن يمسك (بالبالون) الكرة الطائرة في الهواء

بِدونِ فائِدَةٍ ، فقال لَها : سأَذهَبُ يا أُخْتى ، وسأَعْمَلُ كلَّ وَسِيلةٍ ، لإِحْضارِ لُعبتِك الجَميلةِ ، مِن حَديقةِ الجيران .

وجَرَى فى الحالِ إلَى بَيتِ الجِيرانِ ، واسْتَأْذَنَ فى دُخولِ الحَديقةِ لِلبَحْثِ عن الكرَةِ الطَّائرةِ الَّتى طَيَّرَها الهَواءُ ، وطارَت فى الحَديقةِ . فأُذِن لَه ، وسُمِحَ له بالدُّخولِ . فوَجَد اللُّعبةَ ما زالَت تَطيرُ ، وهِىَ تَبرُقُ وتَلمَعُ ، وتَتَحَرَّكُ مِن جِهَةٍ إلى أُخرَى . فجَرى وَراءَها ، ووَجَد مِن الصَّعبِ أَنْ يُمسِكَ بها ، وهِىَ تَطيرُ فى الهَواءِ بِسُرْعةٍ منْ شِدَّةِ الرِّيحِ . وكُلَّما اقْترَب مِنها ، وقفَزَ لِيَقبِضَ علَيها منَ الْخَيْط ، صَعِدتْ مُسْرِعةً إلَى أَعلَى ، وطارَت فى الجَوِّ ، كَأَنها كُرَةٌ مَسْحُورةٌ ، ولم يَستَطعْ أَنْ يَصِلَ إلَيها ، أَوْ يُمسِكَ بها .

اسْتَمَرَّت الكرَةُ الطَّائرةُ مُرْتفِعةً فى الجَوِّ ، تَدْفعُها الرِّياحُ القَوِيّةُ ، ويُطَيِّرُها الهَواءُ الشَّديد ، واسْتَمَرَّ نَبيلٌ يَجْرِى وَراءَها ، ويَتَتَبَّعُها فى الحديقةِ

الواسِعةِ لِلْجارِ الغَنِيِّ ، ومِساحتُها عِشرون فَدَّاناً . اسْتمرَّ الهواءُ يَدفعها إلَى الأَمام ، وإلَى أَعلَى ، ونَبيلٌ يَجرى خلْفَها . حتَّى عَبَرَ تُرْعةً صغيرةً تُرْوَى بِها الحَديقةُ والحَقلُ . وبَدَأَ يَتضايَقُ ، ويتَأَلمُ ، ويُظُنُّ أَنها لَنْ تَنزِلَ إلَى الأَرْضِ ، ولنْ يَصِلَ إلَيها ، ولنْ يُمسِكَ بها . وضَعُفَ أَمَلُه فى الحُصولِ علَيها ثانِيَة ، ولٰكنَّه تَذَكَّرَ أُختَه المَحْبوبةَ نَيِّرَة ، وتذَكَّر مِقدارَ تَعَلُّقِها بلُعْبتِها ، ومَحَبَّتِها لَها ، فنَسِىَ كلَّ ما أَحَسَّ بِه مِن تَعبٍ ، وما تَصَبَّبَ فى جِسْمِه ووَجهِه مِن عَرقٍ ، بعْدَ الجَرْىِ الطَّويلِ ، فى هٰذا الجَوِّ الحارِّ .

ظَلَّ (اسْتَمرَّ) نبيلٌ يَجرى وَراءَها ، ويَتتبَّعُها حتَّى قَرُبَت مِنْ حُفْرةٍ فى حَقْلٍ مُتَّصِلٍ بِالحديقةِ ، فظَنَّ أَنهُ يَسْتَطيعُ أَن يُمسِكَ بها ، وجَرَى وَراءَها ، ولٰكنْ مَعَ الأَسَفِ الشَّديدِ ، كان إذا اقْترَب منْها ، وحاوَل أَن يَصِلَ إلَيها ، ويُمسكَ بِخَيطِها ارْتَفعَتْ ثانِيَةً إلى

أَعلَى . وطَيَّرَها الهَواءُ الشَّديدُ فى الجَوِّ .

ظَلَّ : (اسْتَمرّ) نبيلٌ يَتَتَبَّعُها . ويَجرى وَراءَها ، وقَد احْمَرَّ وَجهُهُ مِن كَثرةِ الجَرْى .ولٰكنَّه لم يَيْأَسْ ، ولم يَصِل اليَأْسُ إلى نَفسهِ .وما زالَ عِندَه أَمَلٌ فى أَنْ يُمسكَ بها .

وفى النِّهايةِ طارَت الكرَةُ الطَّائرةُ المُتْعِبةُ فَوْقَ شَجرَة عالِيَةٍ مِن أَشْجارِ التُّوتِ . فتَعلَّقَ الْخَيطُ بفَرْعٍ منْ فُروعِها . فوَقفَتْ فَوْقَها . وتعَطَّلتْ ، ولم تَسْتَطعْ أَنْ تَطيرَ . فسُرَّ نَبيلٌ سُرورًا كَثيرًا ، وتَأَكَّدَ تَماماً أَنَّه فى هٰذِه المَرَّةِ يُمكِنُه أَنْ يُحضِرَ الكُرَةَ الطائرةَ . ويُعِيدَها إلى أُختِه الَّتى تَنْتَظِرُهُ فى البَيتِ .وتَرجُو أَنْ يَرجعَ بها .

بَدَأَ نَبيلٌ يَطلَعُ الشَّجَرة ، وأَمَلُهُ كَبيرٌ فى الحُصولِ علَى الكُرَةِ الَّتى تُحِبُّها أُختُهَ . وقدْ وَصلَ إلى خَيطِها ، وأَمسكَ بِه ، ورَبطَه فى يَدِه اليُمْنَى . وفى الوقتِ الذى أَخَذ فيهِ يَنزلُ مِن فَوْقِ الشجَرةِ . ويَشُدُّ الطائرةَ ، لِيَأْخُذَها معهَ . رأَى شَيئاً غَريباً على الشجَرة ؛ رَأَى

عَيْنَينِ بَرَّاقَتَين تَنْظُرَان إلَيهِ مِنْ فَرْعٍ مِنْ فُروعِها العالِيَةِ . فتَوقَّف عَن النُّزولِ . وَنَظَرَ إلَى الشجرةِ مِن أَعْلَى . نَظْرَةَ عَجَبٍ واسْتِغرابٍ ؛ لِيَرَى ما هذا الذى يَنْظرُ إلَيهِ بِعَينيْهِ مِن فوْق .

فماذَا وَجَد فوقَ الشَّجَرةِ ؟ وَجَد نَسْنَاساً صَغِيراً . جَالِساً وحْدهُ ، وقدْ رَبَّاهُ الجارُ فى بيتِه . فعَجبَ كلَّ الْعَجَبِ . ولم يقْدِرْ أَن يَقولَ كلمة واحِدَةً . ولم يَسْتطِعْ أَن يَفعلَ شَيئاً . ووَقفَ مُسْتغرباً . ولَحَظَ أَن فى رَقَبةِ النَّسْناس طَوْقاً منَ الجلْدِ . وقد رُبِطَ فى الطَّوْقِ سِلْسِلةٌ رَفيعة من النُّحَاسِ . وقد تدلَّت السِّلسِلة . ورآها نبيلٌ بالقُرْبِ منهُ فوْقَ الشَّجرَةِ .

اعتقَد نبيلٌ أَن النَّسناسَ الشَّقيَّ قد هَربَ من منزلِ صاحِبه . وعَزَم فى نفسِه أَن يُخبرَ الجارَ عن المكان الذى وَجَد فيه النَّسناسَ الصغير ! خَوْفاً من أَن يهْربَ ويَضِيعَ وهوَ عَزيزٌ عندَ صاحِبه من الجيرانِ .

ثم فكَّرَ نبيلٌ فى أَن يأْخُذَ السِّلسلةَ ويربُطَها رَبْطاً جَيِّدًا بِعُقْدَةٍ أَو عُقدتيْنِ ، حولَ فَرعٍ من فُروعِ الشجرَةِ ، حتى لا يَهْرُبَ بعيدًا ويتوهَ بينَ الْحُقول والمزارع . وقدْ نفَّذَ هذه الفِكْرَةَ ، وهىَ فِكرةٌ حسنة صائبَة ، ثم نظرَ إليهِ نبِيلٌ وقالَ لهُ : الآنَ يجبُ أَن تنتظِرَ فَوقَ الشجرةِ ، وتبْقى هُنا حتى يحضُرَ إليكَ صاحِبُكَ ، ليَأْخُذَكَ ، أَيُّها النَّسْناسُ الظَّريف .

ولنْ يُمْكِنَكَ أَن تهرُبَ من هُنا بعْدَ أَن رَبَطْت سِلْسِلتَكَ النُّحاسِيَّةَ فى فرعِ الشجرَةِ رَبْطاً محكماً .

نزلَ نبيلٌ من فوقِ الشجرَةِ ، وفى يَدِه الكُرَة الطَّائرَةُ . وهوَ مسرُورٌ ؛ لأَنهُ اسْتطاعَ أَن يَصِلَ إِليها فى النِّهايةِ . وَذهَب إلى الجارِ ، وهوَ صاحبُ الحديقةِ ، وصَديقٌ لأَبيهِ . وهوَ رجُلٌ مُهذَّبٌ يعْرِفُ حُقوقَ الجارِ ، ويُشارِكُ الجيرانَ شُعورَهم ، ويُواسى الحزينَ ، ويُساعِدُ المُحتاجَ . وهوَ يحتفِظ بهذا النَّسناس ، ويحبُّه

كثيرًا ، لأَنَّه عَزيز عِندهُ ، وهدِيَّةٌ من أَحَدِ أَصْدقائِه بالسودانِ . وَقَد أَخبرهُ نبيلٌ أَنهُ رأَى النَّسناسَ الصغِيرَ مُخْتَبئاً فوقَ الشجرةِ بالْحقْل . وقد سُرَّ الجارُ كثيرا لِمَا سمِعهُ من نَبيل ، وقال له : إنِي أَشكُرُ لكَ إحساسَكَ يا نبيل شُكرا جَزِيلًا . فقد حَلَّ النَّسناسُ الشقِيُّ السِّلْسِلةَ . وفَكَّها فى هذا الصَّباحِ ، وخرجَ منَ الْحَديقةِ . وكنتُ أَخاف أَن يَضِيعَ أَوْ يتُوهَ . وهو نَسْناسٌ ذَكِي ظَريفٌ ، كَثيرُ النشاطِ ، أعزُّهُ كثيرًا . ومنَ المُؤْلِم أَن يفْقِدَ الإِنْسانُ شيئاً عَزيزًا عِندهُ .

فوافقَ نبيلٌ عَلَى هذا الكلامِ وقالَ : نعَمْ إنَّ منَ المولمِ كثيرًا أَن يضيعَ منَ الإنسانِ شيءٌ عَزيزٌ يُحِبُّهُ ، وقد ضاعَ مِنِّى اليوم صَباحاً قَلمى الذَّهَبيُّ الجميلُ ، الذى أَهداهُ إلَى أَبى فى عِيد ميلادِى الماضِى مُنذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ : ولهذا أُحِسُّ بما تُحِسُّ ، وأَشعُرُ بما تَشْعُرُ به .

فقالَ الرَّجالُ لِنبيلٍ : تعالَ لِكَى نَذهَبَ معاً

ونُمْسِكَ بالنَّسناسِ . فذهبَ معه نَبيلٌ ، وسارَا مَعاً حَتَّى وَصَلا إلى شَجَرةِ التُّوتِ ، التي وَقف النَّسناس عليها . ورأى الجارُ أَنَّ نَبيلًا قد رَبطَ السِّلسلةَ فى فرعِ الشجَرةِ رَبْطاً مُحكماً بمهارةٍ ، فسُرَّ منهُ ، وَأُعجبَ به كلَّ الإعجابِ . ونادَى الرَّجلُ النَّسناسَ باسمهِ : سامى ، وَقالَ لَهُ : انزِل يا سامى . إنكَ نَسناسٌ شَقِيٌّ صَغيرٌ . ماذا تفعلُ فوقَ الشجرَةِ ؟ انزل فىْ الحالِ ، وَتعالَ أَيُّها الشَّقى !

فكَّ الرَّجلُ السلْسِلةَ ، وحَلَّها ، فوثَبَ النَّسناسُ فى الحالِ فوقَ كتِفِ صاحبِه الذى يُحِبهُّ . وكانَ مَعِ النَّسناسِ شىءٌ لامِعٌ برَّاق ، فقدَّمه إلى صاحبِهِ بكفِّهِ السَّمراءِ الصغيرة ، وأَعْطاهُ إِيَّاهُ ، فأَخذهُ منه ، ونظرَ إليه وتعجَّبَ كثيراً .

فما هذا الشىء اللامِعِ الذى قَدَّمَهُ النَّسناسُ لصاحِبه ؟ فكِّرْ قلِيلًا ، ثمَّ أَجبْ . وقد تعجَبُ كل العَجَبِ إذا عَرفْتَ أَنهُ قلمٌ ذَهبيٌّ جميلٌ من الرَّصاص .



هذا هو القلم الذهبي الذى ضاع منى

ففَرِحَ نبيلٌ كلَّ الفرَح حينما رآه ، وقالَ : عجباً يا عَمِّى ! هذا هوَ القلم الذهبيُّ الذى ضاع مِنى فى حَديقةِ بيتنا صباح اليوم . نعمْ ، هو قلمِى حَقًّا . لا شَكَّ فى ذلكَ ! انظُرْ يا عمِّى إلى الاِسم الذى نُقِشَ عليه ، إنه اِسمى . انظر إلى تاريخِ ميلادى . إنه منقوش بجانب الاِسْمِ .

فضَحِكَ صاحبُ النَّسناسِ وتَعجَّب ، وقالَ : إن هذا شىءٌ غَريبٌ كلَّ الْغَرَابةِ . أَنا أَعلمُ أَن النَّسناسَ شَقِىٌّ . وأَظُن أَنه تسلَّقَ سُورَ الْحَديقَةِ الذى يَقعُ بينَ بيتِنا وبَيتِكم فى هذا الصَّباحِ ، ورَأَى القلمَ اللَّامِعَ الجميلَ عَلَى المِنضَدَةِ ، فنزلَ وخَطِفَهُ وهَربَ بهِ ، وقفزَ منَ السورِ ، ولم يرَهُ أَحَدٌ ليَمْنَعَهُ . إنهُ يحبُّ الأَشياءَ اللَّامِعَةَ البرَّاقةَ كثيرًا . ومن حُسنِ الْحَظِّ أَنكَ رأَيتَه فوقَ الشجَرةِ ، وأَنَّ القلمَ لم يَضِعْ منه بين الحشِيشِ الكثير ، والنَّباتِ الأَخْضَر . ولكنْ ، ما الذى

أَتى بكَ يا بُنَىَّ إلى هذهِ الشجرةِ ؟ وكيفَ جئتَ عِندها ؟

فأَجابَ نبيلٌ : إنَّ أُختِى نَيِّرَة قد ضاعَتْ مِنها كرتُها الطائِرةُ الحمراءُ اليوْمَ ، وطارَتْ فى الهَواءِ ، وكانَت الرِّياحُ شَديدةً ، فدفَعتْها بسُرْعَةٍ إلى حدِيقتِكُم ثم إلى الحقلِ ، وأَخَذْتُ أَجْرى وراءَها وأَتَتَبَّعُها مسافةً طويلةً ، حتى وصَلتْ إلى شَجرَةِ التُّوتِ ، فاعْتَرَضَتْها الشَّجرةُ . واصْطدَمَتْ بها ، فوقَفَتْ فوقَها ، ولم تتَحَرَّكْ بعد ذلك . فَطلِعْتُ الشَّجرَةَ ، وَأَخَذْتُ الكُرَةَ الطائِرةَ ، وربَطْتُ خَيْطَها فى يَدِى. وحينما كنتُ نازِلًا من فوقها رأَيْتُ عَيْنيْن براَّقتَيْن تَنظرانِ إلىَّ نَظرةً حادَّةً . فعَجبتُ ، ودهِشْتُ ، وتحيَّرْتُ ، ونظرْتُ نظرةً فاحِصَة ، فوجدْتُ النسناسَ واقِفاً عَلَى فرْع من فُروعِ الشَّجرةِ . ورأَيتُ سِلْسِلَتَه الطويلةَ مُتدلِّيةً إلى أَسفلَ ، ففهِمْتُ وعرَفْتُ أَنهُ قد هَرَبَ من بيتِكُم ، وخِفتُ عليه من الهربِ والضَّياعِ ، فربطْتُ سِلْسِلتَهُ فى فرع منَ

الشَّجَرةِ . والْحَقُّ أَنَّه نَسْناسٌ ظَرِيفٌ من النَّوْعِ الذَّكِىِّ النادِرِ القليلِ .

فقالَ الرجُل : إنَّها قصَّةٌ لَذِيذة ، مَملوءَةٌ بالْحِكْمَةِ والنَّصيحةِ والْعِظَةِ . اُنْظرْ يا نَبيلُ ، إلى ما فى حِكايتِكَ من دَرْسٍ نافِعٍ مُفيدٍ . إنَّكَ رأَيتَ بنفسِك أَنَّ مَنْ أَحسَنَ إِلَى غَيرِه أَحسَنَ اللهُ إِليهِ . ومَن قَدَّمَ خَيرًا وَجَدخَيْرًا. ومَنْ صَنَعَ مَعروفاً جَزاهُ اللهُ جَزاءً حَسناً.

قالَ تعالى : «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئةِ فَلا يجْزَى إِلَّا مِثلَها . » وَقالَ فى كِتَابهِ الكريم : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرًّا يَرَهُ . » فأَنْتَ قد أَحْسنْتَ إلى أُخْتِكَ نيِّرَةَ ، بالْجَرْىِ وراءَ الكُرةِ الطَّائرة ، وَأَتعبْتَ نفسَك ، لِتَرُدَّها إليْها ، وتُدْخِلَ السُّرورَ عليْها ، وتُزِيلَ الْحُزْنَ عنْها ، فأَحْسنَ اللهُ إليْك ، وأَنْعمَ عليكَ ، وَأَزالَ الْهَمَّ عنْكَ ، وردَّ قَلَمَكَ الذَّهبِىَّ

إلَيْك . ولو امْتنَعت ولم تذهَبْ لإحضارِ الكُرة الهاربةِ ، ما وجَدْتَ قَلمَك الجميلَ . ولوْ لَمْ تتَتَبَّع الكُرة بمثَابرَةٍ وَصبرٍ مَا وَصَلْتَ إلى النَّسناسِ الظَّريف ، وما عَرَفْتَ أَنَّهُ فوْقَ الشَّجَرة . ولوْ لَمْ تَحْضُرْ إلَيَّ لتُخْبِرَنى عن النَّسناسِ ومكانِهِ المختَبِئ فيه ، مَا حَضرْتُ معكَ لأَخْذِه ، ولَرَمى الْقلمَ هُنا أَوْ هُناكَ . وفقدْتَ هَديَّتك ، وضاعَتْ منْهُ من غيْرِ أَنْ يُحِسَّ ، وَضاعَت منكَ إلى الأَبَدِ . فأَنتَ قدْ صنعْتَ مَعروفاً مَعى وَمَعَ أُختِكَ الصَّغيرةِ ، فَكافأَكَ اللهُ مُكافأَةً جميلةً ، وجَزاكَ جَزاءً حَسناً فى الحالِ ، وردَّ إليكَ هَديَّتَكَ الضَّائعةَ ، التى لَمْ تسْتطِعْ أَنْ ترَى لها أَثرًا ، بعدَ أَنِ احْتَرْتَ ولم تعْرِفْ مَن أَخَذَها ، معَ أَنَّكَ بحثْتَ عنْها مُدَّة طويلةً ، فى كلِّ مكانٍ بالحديقَةِ .

فقالَ نبيلٌ : هذا دَرسٌ نافعٌ حقًّا ، وعِظَةٌ حَسنةٌ تدْعو إلى فِعلِ المعْروفِ والجمِيلِ دائماً ، مَعَ مَنْ أَعْرِفُه

وَمَنْ لا أَعْرِفه .

وقد دَعاهُ الجارُ لِيَتناوَلَ هُوَ وأُخْتُهُ الشاىَ عِنْدَه بعْدَ عَصْرِ ذلكَ اليوْمِ ، وَلِيَلْعبَا معَ النَّسناس النَّشيطِ ويَتَسَليَا بِهِ ، ويَرَيا ما عنْدَهُ منَ الطُّيورِ النادِرة المحْبوبة كالْبُلْبل والبَبْغاءِ .

فشكَرَ لهُ نبيلٌ دعْوَتَهُ الرقيقةَ ، وقالَ لهُ : سَأَسْتأْذِنُ أُمِّى وأَبِى . ويسُرُّنى كثيرًا أَن أَحْضُر أَنَا وأُخْتِى الصَّغيرةُ لِنَتناوَلَ معكُم الشَّاىَ . ونلْعبَ معَ النّسناس الشَّقِىِّ ، وَنَرَى البُلبلَ المُغَرِّد ، ونَسْمعَ البَبْغاءَ الظَّرِيف . ثمَّ وَدَّعهُ نبيلٌ ، وشَكرَ كلٌّ منْهُما الآخَرِ وجَرَى نبيلٌ إلى بيتِهِ . وكُلُّه فرحٌ وسرورٌ ، والسّعادةُ ظاهِرةٌ على وجْهِه الضَّاحِك . ولا عَجَب ؛ فقدْ وجَدَ القَلَمَ الذَّهبِىّ المفْقودَ ، وَوَضعَهُ فى جَيْبه بكلِّ عِنايةٍ ودقَّة ؛ كىْ لا يَضيعَ مَرَّةً أُخرَى .

ورَجعَ ومَعهُ الكُرَةُ الطَّائرةُ الشَّقِيَّة . وقدْ أَمْسكَ بخَيْطِها فى يَدِه اليُمْنى ، فجرَتْ وراءَهُ وتبِعتْهُ وهُو

راجعٌ إلى البيْتِ ، فائزًا ، مُنْتَصِرًا ، مَسرورًا ، فَرِحاً . فماذا يُريدُ نَبيلٌ أَكْثرَ منْ ذٰلك ؟

وَصلَ نبيلٌ إلى البَيتِ ، وهُوَ ضاحِكٌ مُسْتبْشِر ، فاسْتَقْبلَتْهُ أُخْتُه نيِّرَةُ ، بِكلِّ فرحٍ وسُرورٍ . وَصاحَتْ من شِدَّةِ الفَرَحِ حِينما رأَتْ معهُ كُرتَها الطَّائِرَةَ الجميلةَ . وَقد ازدَادتْ فَرَحاً على فرحٍ ، وسرورًا عَلَى سرور ، حينما عَرفت منْهُ أَنَّه وجَدَ قلمَهُ الضَّائعَ الجديدَ . وَشارَكَتْهما أُمُّهما وأَبُوهما فى فَرَحِهما وغِبْطتِهما وسُرورِهما عِنْدَ ما سَمِعا القِصَّةَ .

وقالتْ لهُ نَيِّرَةُ : أُنْظرْ يا نبيلُ ، لوْ لَمْ تَذْهَبْ للْبَحْثِ عنْ لُعْبَتِى الهارِبةِ ما وجَدْتَ قلَمكَ الذَّهبيَّ الجميلَ . وقدْ نِلْتَ أَحْسنَ جَزاءٍ عَلَى جَميلِكَ ومَعْرُوفكَ ، منْ حَيْثُ لا تنتَظِرُ . أَليْسَ كذلكَ يا نَبيلُ ؟

فوَافَقَها نبيلٌ عَلَى رأيِها . وقالَ لهَا : إنِّى وَاثقٌ منَ اليَوْمِ كلَّ الثِّقةِ ، أَنَّ مَنْ فَعَلَ خَيْرًا جزاهُ اللهُ خَيْرًا .

واسْتَأْذَنَ نبيلٌ أبَوَيْه فى الذَّهابِ إلى بيْتِ جارِهما ، لِيَتناوَلَ هُوَ وأُخْتُه نيِّرَةُ الشَّاىَ عِنْدَهُ ، إجابة لِدَعْوَتِه الرَّقيقَةِ ، فأَذِنا لَهُما ، شاكِرَيْنِ لهُ عَطْفَهُ ولُطْفه ، وحُسنَ مُعامَلِته .

وقد ذَهَبَ نبيلٌ وأُخْتُه وتَناوَلا الشاىَ عندَ جارِهما الكَريمِ ، ولَعِبَا معَ النَّسناسِ الظَّرِيف ، وسَمِعَا البُلْبل وَهُوَ يُغَنِّى ، والبَبغاءَ وهُوَ يتكلَّمُ ويُقَلِّدُ ويُرَدِّد ما يَسْمَعهُ . وقَضَيا وَقتاً كلُّهُ لَعِبٌ وسرورٌ .

وبعدَ ساعَةٍ منْ تَناوُلِ الشَّاي ، اسْتأْذَنَا من السَّيِّدةِ وزَوْجِها ، وشَكرَا لَهُمَا حُسْنَ اسْتِقبالِهما وكَرَمَهُما . وذَهَبَا إلى بيْتهِما فَرِحَيْنِ مَسرورَيْنِ سَعيدَيْنِ كلَّ السّعادَةِ .

القِصَّةُ الثَّانِيَة

الإحسانُ إلَى الفُقراءِ

ذاتَ مَرَّةٍ مَكَثَ رجُلٌ فقيرٌ هوَ وزَوجُه وأَولادُه ثلاثةَ أَيامٍ لم يَأْكُلُوا فِيها شَيئاً منَ الطعامِ . فقالتْ لهُ امْرَأَتُه : اُنظُرْ إلى أَوْلادِنا ، وسَترى أَنَّهمْ صَاروا صُفرَ الوجوهِ ، ضِعافَ القوَّة ، لِشِدةِ جوعِهم ، وعَدَمِ تَغذيَتِهم . ولَيسَ فى استِطاعتِهم أَن يَصبِرُوا على الجوع كما نَصبِرُ ، أَوْ يَقوَوْا على احْتِمالِه مِثلَنا .

فقالَ لَها : إنِّى أَعَلمُ كلَّ هذا ، ويُؤْلِمُنى كلَّ الأَلَمِ أَنْ أَراهم جِياعاً . وقدْ بَحثْتُ فى كلِّ مَكانٍ عَن أَىِّ عَمَلٍ أَكْسِبُ مِنه قُروشاً مَعدودَة ، لأَشترِىَ بها طَعاماً لَهم ، فلَمْ أَجدْ . وبَحثْتُ عَمَّن يَستأْجِرُنى عِندهُ يوْماً بأَىِّ أَجرٍ فلمْ أَجِدْ. وإنِّى حَزينٌ مِن أَجلِهم كلَّ الحُزنِ .

فقالتْ لهُ : خُذ هٰذا الإِناءَ النُّحاسيَّ ، وبِعهُ بأَيّ ثَمَنٍ ، وَاشترِ بثَمنِه لَهم طَعاماً يَأْكُلونَه . فأَخَذ الإِناءَ وباعَه بقِرْشَين ، وسارَ لِيَشتريَ بهِمَا خُبزا وملحاً لأَوْلادِه . فسَمِع فى الطريقِ رَجُلا مِسكيناً يَقولُ : أَعْطونى لِوَجهِ اللهِ ، ولِمَحَبَّةِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ علَيه وسَلَّم . يا مَن يُقْرِضُ (يُسلِّفُ) اللهَ الغَنيَّ ، ويُحسنُ إلىّ ، فواللهِ لَيسَ عِندى مِن الدُّنيا شَىْءٌ .

فتأَلَّمَ الرَّجلُ الفقيرُ لِحالهِ ، وقال لَه : خُذ هٰذَينِ القرشَين ، وهُما كلُّ ما مَعى ؛ لِوَجهِ الله ، ومَحَبَّةِ رَسولِ الله ، ثم خَجِل أَن يَرجعَ إِلَى زَوجتِه وأَوْلادِه بِغَيرِ طَعام ، وذَهبَ إلى المسْجِد ليُصَلِّيَ ، وترَكَ الأَمْرَ لله . فلمَّا أَتَى اللَّيلُ رَجع إلى بَيْتِه ، ولَيسَ مَعه شىْءٌ . فسأَلتْهُ زَوجُه : ماذا فعلْتَ بالإِناءِ النُّحاسيّ ، وأَوْلادُنا فى شِدَّةِ الجوعِ ؟

فأَخبرَها بِما حَدث لَه ، وما فعَله معَ السائِلِ الفَقيرِ . فقالت لَه : لَقد أَحسَنتَ فيما فعَلْتَ . ولَنْ

يَنسانا اللهُ ، ثمَّ أَحضَرَت لَه قِدْرا ، وقالت لَه : خُذ هٰذِه القِدرَ الفارِغَة ، وَبِعْها ، واشتَرِ لَنا بثَمنِها طَعاماً . فطافَ بالقِدرِ ، فلَم يشتَرِها مِنه أَحدٌ ، فتَأَلَّمَ كلَّ الأَلمِ ، وأَرادَ أَن يَرجع بها إِلَى بَيتِه ، فقابلَه صَيادٌ ، ومعَه سَمكةٌ كَبيرةٌ يُريدُ أَن يَبيعَها ، ولا يَجد لها مُشتَرياً يَشتريها .

وَقفَ الصَّيادُ مَع صاحِب القِدر ، فعَرَض الصيَّاد علَى الفَقير أَن يَتَبادَلا ما مَعَهما ، فيَأْخُذَ الفقيرُ السَّمكةَ ، ويأْخُذَ الصيَّادُ القِدرَ . فرَضِىَ الاثْنانِ بِالبَدلِ ، وأَخَذ الفقيرُ السمكةَ ، وذَهبَ بها إلى زَوْجتِه . فلمَّا رأَتْها فَرِحتْ بها ، وأَخَذَتْها لِتُنظِّفَها ، وتُعِدَّها لِلطَّعامِ ، فشَقَّت جَوْفَها ، فوَجَدت فى بَطنِها جَوهَرَةً تَبرُقُ وتَلمَعُ ، فنادَت زَوجَها فرَآها ، وأُعجبَ بها ، وأَخَذَها وذَهب بها إلى تجَّارِ الجَواهِرِ ، فقالوا لَه : إنَّها جَوهَرةٌ ثَمينةٌ ، لا تُقَدَّرُ بِمال . وتَنافَسوا

فى شِرائِها ، حتَّى بَلغَ ثَمنُها أَلْفَىْ جُنَيه . فباعَها ، وأَخَذ ثَمنها ، واشتَرى ما أَراد مِن الطعام ، وذَهب إلى زَوجَتِه وأَولادِه . وأَخبرَهم بما حَدث . ففَرِحوا فَرحًا كَثيراً ، وزالَ عَنهُم الهَمُّ والحُزنُ . وحَمِدوا اللّهَ حَمدًا كثيراً ، وشكَرُوا لَهُ نِعَمَهُ شُكرًا عظِيماً .

وَحِينَما كانوا يتَناوَلون الطَّعامَ . وهُم فَرِحون مَسرورون ، سَمِعوا سائِلاً فَقيرًا خارِجَ الباب يَقولُ : يا أَهلَ الله ، أَعْطونى مِمَّا أَعطاكُم اللّهُ . فخَرج إلَيه الأَبُ مُسرعاً ، وقال لَه : تَفَضَّل ، خُذ وَحدَك نِصفَ ما معنَا كامِلًا ، وسَنأْخُذُ نحنُ جَميعاً النِّصفَ الباقِىَ . وإذا لم يُرضِكَ هذا فخُذ ما تُريدُ .

فقال السائل : قد رَضيتُ بالنصفِ . وذَهب ليَأْتِىَ بجَملٍ يَحمِلُ علَيهِ هذا المالَ . ولكِنَّه لم يَرجعْ . وأَخَذَ صاحِبُ البَيتِ ينتَظِرُ رُجوعَه ، حتَّى غَلَبَه النَّومُ ، فنامَ . ورَأَى السائلَ فى نَوْمِه ، فسأَلَه

لِماذا لم تَـأْتِ لِتَـأْخُذَ نَصيبكَ ؟

فـأَجابَه : إننى لَسْتُ بسائلٍ . ولَستُ بِفَقِيرٍ . وأنا مَلَكٌ مِن المَلائِكةِ . أرسلَنى اللهُ إلَيكَ لِأَخْتَبِرَك فيما أعطاك . وأُبَشِّرَك بأَنَّ الله قد قَبِلَ مِنكَ القِرشَين . وَأَعطاكَ بَدَلًا مِنهما أَلْفينِ من الجُنَيهاتِ . وأَعَدَّ لَكَ فى الآخِرَةِ ما لا عينٌ رَأَت . ولا أُذُنٌ سَمِعَت . ولا خَطَرَ على قَلبِ إنسانٍ ؛ لأَنَّكَ أخلَصتَ لِوَجهِ اللهِ . واللهُ لا يُخَيِّبُ مَن أَخلَصَ إلَيْه ورَجاهُ .

القِصَّةُ الثَّالِثَة

اللهُ لَطيفٌ بِعبادِه

قالَ أَحدُ الصالِحينَ : ذَاتَ يَوْمٍ ذهَبتُ إلى شاطئِ النِّيلِ للرِّياضة ، وحينما كنتُ واقِفاً رأَيتُ عَقْرَباً كبيرةً آتيةً جِهتِي ، فخفِتُ منها ، وقُلتُ : أَعوذُ باللهِ ، وَسأَلْتُ اللهَ أن يَكْفِيَنِي شَرَّها ، وزَحَفَت العَقربُ حتى وَصَلَت إلى النِّيلِ . فرأيتُ ضِفدِعةً كبيرة خَرَجَت مِن الماءِ ، فرَكِبَت العقربُ فوقَ الضِّفدِعةِ . وَعامَت بها الضِّفدِعةُ على سَطحِ الماءِ ، فأَخَذتُ قارباً وتوجَّهتُ وَراءَهُما ؛ لأَرى ما يَحدُثُ لَهُما . واستمرَرْتُ أَنْظُر إليهِما حتَّى وَصلَتَا إلى الشاطئِ الآخَرِ مِن النَّهرِ .

وقَفت الضِّفدِعةُ على الشاطئِ ، وَزَحفَت العقرَبُ حتَّى وَصَلَت إلى شَجرةٍ مِن أَشجار التُّوتِ ، كبيرةٍ

الأَغْصانِ ، كثيرةِ الظِّلِّ . وكانَ تحتَ الشجَرةِ شاب نائمٌ ، تَفوحُ رائحةُ الخمرِ مِن فَمِه . فقُلتُ : لاحَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ . لَقَد جاءَت هذهِ العقرَبُ مِنَ النَّاحيةِ الأُخرَى مِنَ النِّيلِ لِتلدَغَ هذا الشابَّ ، وهُوَ نائمٌ . وَعَزَمتُ في نَفسي أَن أَقتُلَ العقرَبَ إذا قَرُبَت مِنهُ ، وَأَرادَت أَن تَلدَغَه .

فوَقَفتُ بالقُربِ مِن الشابِّ ، لأَرَى ما يَحدُثُ مِنَ العَقربِ . وفجأَةً ظَهَرَ ثُعبانٌ كبيرٌ طَويلُ الجسمِ ، وَقَد أَتَى يُريدُ أَن يَقتُلَ الفتَى الشابَّ . فزَحفَت العقربُ ، حتى وَقَفَت على دِماغِ الثُّعبانِ ، وَاستَمَرت وَاقِفةً على دماغِه ، وهيَ تَلدَغُه لَدغاً شَديدًا حتى قتَلَت الثُّعبانَ . ثُمَّ رَجَعَت إلى النِّيلِ ، فوَجَدَت الضِّفدِعةَ تَنتظِرُها قُربَ الماءِ ، فرَكِبَت فَوقَ ظَهرِها ، فَعامَت بِها الضفدِعةُ ، ورَكِبتُ القارِبَ ، وسِرْتُ وَراءَهُما مُتعَجِّباً ، حتَّى وَصَلَت الضِّفدِعةُ بالعقرَب

إِلى المكانِ الذى جاءَت مِنه . ثُمّ ٱستَمَرَّت الضِّفدِعةُ قُرب الشاطئِ وَذهَبت العَقرب لِحالِها .

فَقُلتُ : سبحانَ اللهِ ، والحَمدُ للهِ ، وَلا إلهَ إلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكبَرُ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ . اللهُ لَطيفٌ بِعبادِه ، يَحفَظُ مَن يَشاءُ ، ويُنَجِّي مَن يَشاءُ مِن كُلِّ سُوءٍ . وَنِعمُهُ لا تُعَدُّ وَلا تُحصَى .

ثُمَّ رجَعتُ إلى الشابِّ النائمِ تحتَ شَجَرةِ التُّوتِ ، وأَيقَظتُه مِن نَوْمِه ، وأَخبَرتُه بالقِصَّةِ . فشَكَرَ للهِ شُكرًا جَزيلًا ، وَتابَ إلى اللهِ ، وَنَدِمَ على ما فَعَلَ ، وعَزَمَ على أَلَّا يَعود إلَى المعصِيَةِ . وترَكَ ثِيابَ اللَّهْوِ والاستهتارِ ، ولَبِسَ ثِيابَ الطَّاعةِ والاستقامةِ وَالكمال . وبَقِيَ مُطيعاً للهِ ، بَعيدًا عَنِ الذُّنوبِ . حتَّى ٱختارَهُ اللهُ .

القِصَّةُ الرَّابِعَة

فى بَيتِ رابِعةَ العَدَوِيَّةِ

كانت رابعةُ العدَويةُ سيِّدَةً صالحةً تقيةً . وقد حُكِىَ أَنَّ لِصًّا دَخَلَ بَيتَها وهِىَ نائمةٌ . فَجَمَعَ ما أَحَبَّ مِنَ البيتِ . ثُمَّ أَرادَ أَن يخرُجَ من البابِ . فَخِفِىَ عليهِ البابُ . فقعدَ ينتظرُ ظُهورَهُ . فسمعَ صَوتاً يَقولُ لهُ : ضَعِ الثِّيابَ التى أَخَذتَها ، واخرُج من البابِ .

فَوَضَعَ اللصُّ الثِّيابَ . فظهرَ لهُ البابُ . ورَآهُ . ثمَّ أَخَذَ الثِّيابَ ثانِيَةً . فَخفِىَ عليهِ البابُ . فوَضَعَها فظهَرَ لهُ البابُ . فأَخَذَها فخفِىَ عليهِ البابُ . واسْتَمَرَّ هكَذَا أَكْثرَ مِن ثَلاثِ مَرَّاتٍ .

فَسَمِعَ صوتاً يُنادِيهِ : إِذا كانَتْ رابِعَةُ قد نامَت فَإِنَّ اللهَ لا يَنامُ . فَوَضَعَ اللِّصُّ الثِّيابَ . وخَرَجَ منَ البابِ . ونَدِمَ على ما فَعَلَ . وتابَ عنِ السَّرقَةِ .

القِصَّةُ الخامِسَةُ

إطاعَةُ اللهِ

يُحكى أَنَّ حامدا اللَّفافَ - رضى اللهُ عنهُ - أَراد فى يوم مِنَ الأَيامِ الذَّهابَ لِيُصَلِّيَ الجُمعةَ فى المسجدِ. وَفى ذٰلِكَ اليوُمِ كانَ حِمارُهُ قد تاهَ ، ولمْ يَعْرِفْ له مكاناً ، وَدَقيقُ بيتِهِ فى الطَّاحونِ ، وَزِراعَتُهُ فى حاجَة لِلرَّيِّ ، فحَارَ فى أَمرِهِ ، وأَخَذ يُفكِّرُ ، وَقالَ لِنفسهِ : إِنْ ذَهَبْتُ لِصَلاةِ الجُمُعةِ فَاتَتنِى هٰذِهِ الأَعمالُ . وَبَعْدَ التَّفْكيرِ صَمَّمَ على أَن يُرضِىَ ربَّهُ ، وَيَذهَبَ لِيُصَلِّيَ الجُمُعَةَ ، ويُقَدِّمَ ما أَمَرَ بِهِ اللهُ ، على أُمورِ دُنْيَاهُ .

صَلَّى الجُمعةَ ، ثمَّ رجَعَ إِلى حقلهِ ، فوَجَدَ أَنَّ زِراعتَهُ سُقِيَت ؛ فقد أَرادَ جارُهُ أَنْ يَسْقِيَ أَرضَهُ ،

فنامَ ، فانْفَجَرَ الماءُ من أَرضِهِ ، فَسَقَى زِراعَةَ جارِهِ حامِدٍ ، ثم ذهَبَ إلى بيتِهِ ، فوجَدَ حِمارَهُ في الإصطبلِ ، وَرَأَى زَوْجَتَهُ تخبِزُ الْخُبزَ . فَسَأَلَها : ماذَا حَدَثَ ؟

فأجابَتْ زَوْجَتُهُ : لقد سمِعتُ قَرعَ البابِ ، فخرَجْتُ ، فوجدتُ الحمارَ بِالبابِ ، ففتحتُ البابَ ، فَدَخَلَ الحمارُ الدار . وقد كانَ لجارِنا دَقيقٌ في الطَّاحون ، فذهَبَ لِيَأْتِيَ بهِ ، فَأَخطأَ وحَمَل دَقيقَنَا ، وأَخذَهُ إلى بيتِهِ ، فعَرَفهُ ، فأَحضرَهُ لنا بنَفْسِهِ .

فرفعَ حامدٌ رأْسَهُ إلى السماءِ ، وقالَ : الحَمدُ والشُّكْرُ لَكَ يا رَبِّ ، فقد قضيتُ لكَ حاجَةً ، فقضَيتَ لي ثَلاثَ حَاجاتٍ .

القِصّةُ السّادِسَةُ

مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالِها

حُكِيَ أَنَّ سيدَنا عَلِيًّا ـ كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ ـ مكثَ هو وَزَوجُهُ السيدةُ فاطمةُ ـ رضيَ اللهُ عَنها ـ وَأَولادُهما : الحَسَنُ وَالحُسَينُ وَالحارِثُ ثلاثَةَ أَيامٍ لم يَذوقوا فيها طعاماً . وَكانَ لِلسَّيِّدَةِ فاطمةَ إِزارٌ (شالٌ) فأَعطَتْهُ عَلِيًّا لِيَبيعَهُ ، وَيَشتَرِيَ بثمَنِه طعاماً . فأَخذَهُ سَيِّدُنا عَلِيٌّ ، وَباعهُ بستةِ دراهِمَ .

وَحينما كانَ عَلِيٌّ ذاهباً ليشتَرِيَ طعاماً قابلهُ بعضُ الفقراءِ ، فتأَلَّمَ لِحَالهم ، وَتصدَّقَ عليهم بالدَّراهِمِ السِّتَّةِ التى معهُ ، وَهِيَ ثَمَنُ الإِزارِ (الشَّال) الذى باعَه. وَفى أَثناءِ ذَهابهِ إِلى بيتِه لَقيَهُ جبريلُ عَلَيهِ السلامُ فى

صُورَةِ إنسانٍ وَمَعَهُ ناقةٌ مِن الجَنةِ ، فقالَ لهُ : يا أَبا الحَسَنِ ، اشتَرِ مِنى هٰذِهِ النَّاقة .

فقالَ لَهُ عَلِيٌّ : ليسَ مَعى ثَمَنُها ، وَلا يُمكنُنى شِراؤُها .

قالَ البائعُ : يُمكنُكَ أَن تَشتَرِيَها ، وَتَدفعَ لِي ثَمَنَها فِيما بعدُ .

فَسَأَلهُ عِلِيٌّ : بِكَم تَبيعُها ؟

قالَ البائعْ : بِمائَةِ دِرهَمٍ .

فَرَضِيَ عَلِيٌّ ، وَقَبِلَ شِرَاءَها مِنهُ بِذٰلكَ الثَّمنِ المُؤَجَّلِ ، وَأَخَذَهَا ، وَذهَب .

فَقابلهُ مِيكائيلُ عَلَى صُورَةِ رجل أَعرابيٌّ ، وَسَأَلهُ : هَل تَبيعُ هٰذِهِ الناقَةَ يا أَبا الحُسَينِ ؟

قالَ عَلِي : نعم ، أَبيعها .

قالَ : بِكَم اشتَرَيْتَها ؟

أَجابَ عَلِيٌّ : اِشتَرَيتُها بِمِائَةِ دِرهَمٍ .

قال مِيكائيلُ : أَنا أَقبلَ شِراءَها مِنكَ بِمِائَةٍ وَسِتِّينَ دِرهَماً ، فيكونُ رِبحُكَ سِتِّينَ دِرهَماً .

فباعَها عَلِيٌّ لهُ بذلكَ الثَّمنِ ، وَدَفَعَ له المشتَرى مِائَةً وَسِتِّين دِرهَماً .

فَأَخذَها عَلِيٌّ ، وَمَشَى إلى بيتِهِ ، فَلَقِيَهُ فى الطَّريقِ البائِعُ الأَوَّلُ وَهُو جِبرِيلُ ، فَسأَلهُ : هَل بِعتَ النَاقَةَ يا أَبا الحَسَنِ ؟

أَجابَ عَلِيٌّ : نعم ، بِعتُها .

قالَ جبرِيلُ : أَعطِنى حَقِّى .

فدَفَعَ لهُ مِائَةَ دِرهَمٍ ، وَبَقِىَ مَعه سِتُّونَ دِرهَماً . فَذهَبَ بها إلى بيتِهِ ، وَوَضَعَها بينَ يَدَىِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ رَضِىَ اللهُ عَنها .

فَسَأَلَتْهُ : مِن أَينَ لكَ هٰذا المالُ !

أَجابَ عَلِيٌّ : تَصَدَّقتُ بِسِتَّةِ دَراهِمَ - وَهِىَ ثَمَنُ الإِزارِ الذى أَعطيتِنِى إياه لِبَيعهِ - عَلَى قَومٍ فُقَرَاءَ ،

فَأَعطانى اللهُ سِتِّينَ دِرهماً ، فَكانَ رِبحُ كلٍّ دِرهمٍ عَشَرَةَ دَراهمَ . «مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالِها.»

ثمَّ قابلَ عَلِيٌّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، وَأَخبَرَه بِالقِصَّةِ .

فَقالَ له الرَّسولُ الكَريمُ : يا عَلِيُّ ، الْبائعُ جبريل وَالمُشتَرى مِيكائيلُ ، وَالنَّاقَةُ مَركَبُ فاطمةَ يَومَ القِيامَةِ . ثمَّ قالَ لهُ : أُعطيتَ ثَلاثاً لم يُعطَها غَيرُكَ : لَكَ زَوجَةٌ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهلِ الجَنَّةِ ، وَلَكَ وَلَدانِ هُمَا سَيِّدا شَبابِ أَهلِ الجَنَّةِ ، وَلَكَ صِهر هُوَ سَيدُ المُرسَلينَ. فَاشكُر الله تعالَى عَلَى ما أَعطاكَ ، وَاحمدْهُ فِيما أَولاكَ .

القِصَّة السَّابعة

كلُّ ما يَفعَلُهُ اللهُ خَيرٌ

سَافرَ أَحدُ العُلماءِ الصَّالحين فى الزمنِ الماضى ، وَأَخَذَ مَعهُ دِيكاً يُوقِظُهُ فى الفَجْرِ لِلصَّلاةِ ، وكلباً يَحرسُهُ مِن اللُّصوصِ ، وَحِمارًا يَحملُ عَليهِ كُتُبَهُ وَماءَهُ وَطعامَهُ . وَعِند غروبِ الشَّمسِ وَصَلَ إلى قريةٍ مِن القُرَى ، وَأرادَ أن يَقضِىَ لَيلتَهُ فى تلكَ القريةِ ، فلم يَقبلْه أَحدٌ ضيفاً عندهُ ، فترَكَ القريةَ ، وَمَكَث ليلتَهُ تحتَ شجرَةٍ خارجَ القريَةِ ، فى حقلٍ من الحقولِ .

وَفى أَثناءِ الليلِ أَتى الثَّعلبُ فأَكلَ الدِّيكَ ، فقالَ العالمُ الصالِحُ : كل ما يَفعلُهُ اللهُ خَيرٌ . وبعدَ قليل أَتى ذِئب ، فقتَلَ الكلبَ ، فَقالَ : كلُّ ما يَفعَلُهُ اللهُ خيرٌ ، ثمَّ أَتى ذِئبٌ آخرُ فَقَطَعَ رقَبةَ الحمارِ ،

فَقال : كلُّ ما يَفعلُهُ اللهُ خَيرٌ .

وفى الفَجر سَمِع العالِمُ الصَّالِحُ صِياحاً شديدًا فى القريةِ ، فَسأَلَ عمّا حَدَثَ ، وعلم أَنَّ اللُّصوصَ وَالأَعداءَ هاجَموا القريةَ تِلكَ الَّليلَة ، وَسَرَقوامَواشِيَهَا ، ونَهَبوا أَموالَها ، وَقتَلوا كثيرينَ مِن رِجالِها .

فحمِدَ العالِمُ الصالِحُ اللهَ حمدًا كثيرًا ، وَعرَفَ أَنَّهُ لَو قُبِلَ ضيفاً فى القَريَةِ تِلكَ اللَّيلَةَ لحدَثَ لهُ ما حدَثَ لأَهلِهَا . وَلو بقِى الدِّيكُ والكلبُ والحمارُ ، وسَمِعَ اللُّصوص صِياحَ الدِّيكِ ، وَنُباحَ الكلبِ ، وَنهيقَ الحمارِ لحضَروا إِلَيهِ خارجَ القَريَةِ وقتَلوهُ . وقالَ كَعادَتِهِ : كلُّ ما يَفعلُه اللهُ خيرٌ .

فهرس الكتاب

الشاب الوفي

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه ديوبند (يو-پی)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ)؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منّى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصهِ — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القِصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبية ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ مايرغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المثُلِ العليا فى النواحى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية ، فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى معاودَةِ قراءتِها .

وقدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلماتِ اللغوية ما صَعُب ، ووضّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمى خيالَه ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسروراً يشعُر بهما الكبارُ أنفسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرق العربىّ .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

القصة الأولى

الشابّ الوفىّ

انتهى الشابُّ من دِراسته ، ولمّا كان الاحتفالُ بعيدِ مِيلادِه أهدَى إليه أبوه - وكانَ من كبارِ التجّارِ وعُظماءِ رِجالِ المال - سَفينةً مُحمَّلةً بالبضائعِ ؛ ليسافِرَ بها إلى بلادِ الشرقِ للمتاجَرةِ فيما حَوَتْ من مُختلِفِ السِّلَعِ . وقبلَ سَفرِه زوَّدَه أبوه بالنصائحِ قائلا :

« لقد انتهيتَ الآنَ يا بُنىَّ من حَياتِكَ الدِّراسيَّةِ ، فلْتَبدأْ حياتَكَ العَملية ؛ لترى ما كُتِبَ لكَ من حَظٍّ . ولقدْ عَرفتُ منك فى حياتِكَ الأُولى الجِدَّ والمُثابرةَ ، وبَرْهنتَ مُنذُ صِغرِكَ إلى يَوْمِنا هذا عَلىَ أَنك الفتَى الكثيرُ الآمالِ ، المتطلِّعُ إلى معالِى الأُمورِ ، المملوءُ

حزماً وعَزماً . وهٰذا ما جعَلنى أَدفَعُ إِليك ذٰلكَ الجانِبَ منَ المالِ للتجارةِ فيه ، وأَنَا بذلكَ قَريرُ العَينِ ، طيِّبُ النَّفسِ ، واثقٌ برَجاحةِ عَقلِك ، وحُسْنِ تصريفكَ للأُمورِ . فاذهبْ إِلى حيثُ تَسْتقبِلُكَ السعادةُ ، وباللهِ توفيقُك » .

فشكرَ الشابُّ لوالدِه تلكَ العاطفةَ النبيلةَ ، وهذا الحنانَ الفيَّاضَ ، وتَقبَّلَ الهَديَّةَ الثمينةَ : هديَّةَ والدِه ، شَاعرًا بالسرورِ بما سَيزاوِلُ من عَملٍ جديدٍ ، وحياةٍ حُرَّةٍ ، فيها مِقياسٌ لرُجولَتِه ، واختبارٌ لأَخلاقه ، وأَسرعَ فى الذَّهاب إلى سفينتِه الجميلةِ . وما هى إلا ساعةٌ حتى أَقلعَتِ السفينةُ ، وسارتْ حتى قابلَتْ سفينةً أَجنبيةً فى عرْضِ البحرِ .

فلما قَرُبتِ السفينةُ الأَجنبيةُ من سفينةِ الشابِّ سَمِعَ أَصواتاً ممزوجةً بالأَلَمِ والأَنينِ ، صَادرةً من السفينةِ الأَجنبيةِ ، فَنادَى الشَّابُّ رُبَّانَ السفينةِ

الأَجنبيةِ ، وسأَلَه : أَيها الصديقُ ، ما هذا الأَنينُ ؟ وما البكاءُ الذى أَسمَعُ ؟ أَجميعُ الركابِ مَرضَى يَئِنُّون ، أَمْ هم من شدةِ الجوعِ يتأَوَّهون ؟ وماذا دهاهم ونزلَ بهمْ من الأَحداثِ والأَخطارِ ؟

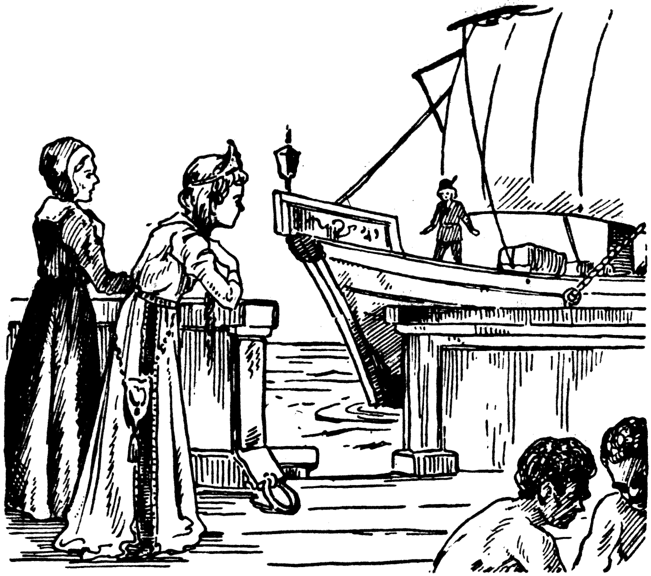
فأَجاب الرُّبَّانُ الأَجنبيُّ : إنَّ ما تسمَعُه هو أَنينُ المسجونين الذينَ سنأْخُذُهم إلى السوقِ لبيعِهم عَبيداً وأَرِقَّاء .

فصاحَ الشابُّ : « انتَظرْ قَليلًا يا سيِّدى ، ودَعْنا نُفكِّر . أَفِى ٱستطاعتِنا أَن نتبادلَ التِّجارة » ؟ وانتقلَ الرُّبانُ الأَجنبيُّ إلى سفينةِ الشَّابِّ ، ورأَى ما فيها من بضاعةٍ ، قبلَ أَن يُسلِّمَ ما لديه من عَبيدٍ مُقابِلَ ما فى السفينةِ من بضاعةٍ .

فلما ذهب الشابُّ إلى السفينةِ الأَجنبيةِ ليتَسلَّمَ مَنْ فيها مِن الأَسرَى والعَبيدِ سأَلَ كلَّ أَسيرٍ عَن موطِنه ، وعَزمَ عَلَى تحرير هذه الرِّقابِ ومَنحِها ما تَصْبو إليه ،

وما تميلُ إليه مِنَ الحُريَّة فأَرسلَ كلاًّ منهم إلى بَلدِه حُرًّا . ولم يَبقَ من المسجونينَ إلا فَتاةٌ وامرأَةٌ عجوزٌ لم يهتَدِ الشابُّ إلى عُنوانِهما ، ولم يُوَفَّقْ إلى مَعرفةِ مَوطنِهما . وكلُّ ما عَلِمَه عنهما أَنَّ الفتاةَ ابنةٌ لقيْصَرٍ من القياصِرةِ ، وأَنَّ المرأَةَ العجوزَ مُربِّيةٌ لها ، وليسَ لدَيهما الآنَ أَملٌ أَكثرُ من الحصولِ على القوتِ بِعَرقِ الجبينِ فى بلادِ الغُربةِ . فرحمةً بالفتاة قال لها الشاب : « إذا قَبلتِ أَيتها الفتاةُ الزواجَ مِنِّى فلن تَكونى فى حاجةٍ إلى أَحدٍ » .

أُعجبَتِ الفتاةُ بِعطْفِ الشَّابِّ وحَدَبِه وشَفقتِه على الإِنسانيةِ ، وحُسْنِ مُعاملتِه للأَسرَى والعبيدِ ، وتَضحيتِه بمالِه فى إطلاق سَراحِهم ، وتحريرهم من الرِّقِّ والعُبوديَّة . فتركَ ذَلك كله فى نَفسِها أَثرًا عَميقاً ، وحُبًّا كبيرًا ، وتَقديرًا لإِنسانيةِ ذلك الشابِّ ، وإِكبارًا لمُروءَتِه ، فرَضِيَتْ به زَوْجاً لها .



المسجونون يئنون ، والأسرى يبكون ، والفتاة ومربيتها فى حيرة

عاد الشابُّ إلى بلادِه ، فقابلَه وَالدُه على الميناء أَشَدَّ ما يكونُ شَوْقاً إلى رُؤْيتِه ، وأَعظمَ ما يكونُ رَغبةً فى تَعرُّفِ أَخبارِ سفرِهِ ونَجاحِه فى تجارتِه ، ثم أَسرع الابنُ قائلا : « أَبى ، إِنِّى واثقٌ بأَنِّى أَنفقتُ نقودَك فيما يُرضيك ، ويُوافِقُ الْحِكمةَ والسَّدادَ ؛ إذ اتخذتُها

وسيلةً لجعلِ الأشقياءِ سُعداءَ ، والعبيدِ من النَّاس أَحرارًا ، والأَذِلَّاء أَعِزّاء . أَنْفقتُها فى تحرير العَبيد ، وتفريجِ كُرَبِ المَكْروبين ، وقدْ أَحضرْتُ مَعى زَوْجاً كريمةَ الخُلق ، عَريقةَ الأَصلِ ، وهى وَحْدَها أَثمنُ من أُسطولٍ تجارىٍّ كاملٍ » .

انطوَى الوالدُ على هَمٍّ عميقٍ ، وأَخذ يُغالبُ ثَوْرَةَ النفس التى اندلعَ لهيبُها ، وانتشَر أَثرُها بين جَوانحِه وضُلوعه ، وصارَ يَنظُرُ إلى زوجةِ ٱبنِه نَظرةً بَعيدةً عن كلِّ عَطفٍ ، ويَرمى ٱبنَه بالحُمق فى تصرُّفاته ، والخُرْقِ فى أَعمالِه ؛ إذ أَضاع أَمواله سُدًى .

وبَعدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمن ظَنَّ الأَبُ أَنَّ الابنَ قد ٱنتفَعَ بذلك الدّرس القَاسى ، وأَنه لن يَعُودَ إلى مِثلِ ما فَعلَ ، فأَعدَّ له سفينةً أُخرى ، وحمّلها كلَّ ما يُمكنُ من البضاعةِ . ووَدَّعَ الشابُّ زَوْجَهُ ، وتركَها فى كَفالةِ أَبيه ، وسارَ بسفينتهِ آملاً أَن يربحَ رِبحاً جَزيلاً ،

مُصمماً في تداركِ ما فاتَه ، مُرتقباً (١) الخيرَ في تجارتِه الجديدة ، ولكنَّ الشابَّ لَمْ يَكَدْ يَصِلُ بالسفينةِ إلى أَوَّلِ ميناءٍ حتى رأى الجنودَ يسوقونَ الفُقراءَ إلى السجون سوْقاً عَنيفاً ، وشاهَد زَوْجاتِهِم وأُمَّهاتِهِم وأَطفالَهم يَبكونَ وراءَهم .

ولما عَلِمَ أَن هؤُلاءِ يُسَاقُونَ إلى السِّجنِ لِعَدَمِ استطاعتهم أَداءَ الضَّرائبِ الفادِحَة الكثيرةِ عاودَهُ عَطفه القديمُ ، وتملَّكتْهُ الأَرْيحيَّةُ والمروءَة والنُّبْل ، فباع ما تحملُ سفينتهُ من بِضاعةٍ ، وسَدَّدَ ما على هؤلاءِ الفقراءِ البائسينَ مِنْ ضَرَائِبَ ، ثمَّ عادَ إلى أَبيه بَعدَ فعلتِه التى فَعَلَها ، فاشتدَّ غضَبُ الوالد عليه ، ولم يستطعْ صبرًا عَلَى ما حدثَ ، فطرد ابنَه وزَوجتَه ومُربِّيتَها العجوز من بيته ، وقال لهم :

« لاتنتظروا أَن أَمنحَكُمْ مليماً واحدًا ولو هلكتمْ جوعاً » .

(١) منتظراً .

ولكن أَحدَ الجيرانِ الأَوفياءِ عَطفَ على هؤُلاءِ المطرودين ، وآوَاهم إلى مَنزِلِه ، واستَطاعَ أَخيرًا أَن يُصْلحَ بينَ الأَبِ وابنِه .

وصَحَّت عزيمةُ الأَبِ على أَن يبلوَ[1] ابنَه البلاء النِّهائيَّ ويَختَبِرَهُ الاِختبارَ الأَخيرَ ، ويُمكِّنَه من الفُرصةِ الأَخيرةِ ، فقدمَ له سفينةً ثالثةً مُحمّلةً بالبضائعِ ، وكلَّف أَحدَ الرَّسامينَ أَن يصوِّرَ وَجهَ زوجَةِ ابنهِ صورة كبيرةً ناطقةً ، لتكونَ نُصب[2] عَيْنيْهِ دائماً ، تُذَكِّرُه أَنَّ التَّفريطَ فى تلك البضاعةِ تفريطٌ فى حَياة الزوجيَّةِ السعِيدةِ .

حَمل الشاب تلكَ الصورة المكبَّرَةَ مَعه فى سفره ، وقبلَ أَن يُغادِرَ مَنزلَه وَيَترُكَه قال له أَبوه : « اُنظر إلى هٰذه الصورةِ كلَّما أَقدَمتَ على حُمْقٍ جديدٍ ، وتَذَكَّرْ أَن هٰذه آخرُ فرصةٍ لكَ ، ولنْ يتَّسعَ

---

(١) يختبر . (٢) أمام .

صَبرى لجَهْلِك بَعد ذلك ، واعلمْ أَن زوجَك ستموتُ جوعاً إِذا أَخطأَك الحزمُ ، وأَنَّ الفُرصةَ ستكُونُ غُصَّةً إذا لم تنتهزْها .

سافرَ الشابُّ على بركةِ الله ، مُوَجِّهاً سفينتَه إلى القَصدِ ، حتَى وَصل بعدَ أَيامٍ طويلةٍ ضارباً فى عرضِ البحارِ إلى ميناءٍ عَظيم .

وفى أَثناءِ رُسُوِّ السفينةِ على رصيفِ ذلك الميناء ، رأَى الشابُّ رجُلاً ثريًا يخطُرُ فى أَثمَنِ الملابسِ وأَفخرِها مُتأَمِّلا ، ينظر بعَين فاحصةٍ دقيقة ، كأَنما يَنشُدُ ضالَّةً ، أَو يرقُبُ أَمَلًا ، فدعاهُ الشابُّ إلى سَفينتهِ ، فلبَّى[1] الثَّرِىُّ الدُّعاءَ ، وَوطِئَتْ قَدماه السفينةَ . وبينما هوَ يُرسلُ النظرَ إِذْ وَقَعَت عينُهُ على صورةٍ كبيرةٍ لفتاة حسناءَ ، مُعلَّقة بناحية من نواحِى السَّفينةِ ، فسأَل الرجُلُ الشابَّ قائلا :

(١) أجاب .

« أَنَّى (من أَين) لكَ هذه الصورةُ ؟ وكَيف حصُلْتَ عَليها ؟ إنها تُشبهُ صورةَ أَميرةٍ نَبحثُ عنها ».

فقال الشابُّ : إنها صورةُ زوجى الَّتى أُعِزُّها ، وأَحمدُ الحظَّ السعيدَ الذى هدانى إليها .

ثمَّ حضرَ القيصرُ ورئيسُ الوزراءِ ، وعَلِمَا أَن زَوجَةَ الشَّابِّ لا بُدَّ أَن تكونَ هى الأَميرةَ المفقودةَ .

وبعدَ التحقُّقِ من ذلكَ فرِحَ القيصرُ الفَرحَ كلَّه ، وَوعَدَ الشابَّ أَن يُشركَهُ فى مُلكهِ ، ويقاسمه سُلطانَه ، تقديرًا لفَضْلِه . ثمَّ استعجَلَه فى إحضارِ زَوجته الأَميرةِ ، ووالدَيهِ الكريمين .

وأَرسلَ القَيصرُ رئيسَ وزارتِه مع صِهرِه الشَّابِّ يَحمِلُ معَه أَثمَنَ الهَدايا ، وأَطيبَ التحياتِ إلى والدِ الشابِّ ووالدتِه .

وَصَل الشابُّ ورسولُ القَيصرِ إلى حيثُ تُقيمُ أُسرةُ الشابِّ ، وحينَ علِمَ الوالدُ جَليَّةَ الخبرِ وحَقيقتَه سُرَّ

سُرُورًا عَظِيمًا أَذْهَبَ كُلَّ ما كان يُسَاوِرُهُ من أوهامٍ وظنونٍ نحوَ ابنِه ، ولم يَعُدِ الأَبُ يَشكُو من ابنِه حُمقاً ، بل أَكبَرَ منه هِمَّتَه ، وما كانَ له من تَصرُّف مشكور ، ونَظَرٍ ثاقبٍ. وشمِلَ[١] الأُسرةَ جميعَها فرَحٌ وغِبطةٌ وسُرورٌ ، وقَصَدَ جميعُ أَعضائِها إلى بلادِ القَيصرِ إجابةً لدعوتِه .

وبعد هذا الحادثِ أَخَذَتِ الغَيرةُ تَتَمَشَّى فى نَفس رئِيسِ وِزارةِ القَيصرِ ، ويأْكلُ الحِقدُ قلبَهُ ، فَعزَم على التَّخلُّصِ من الشابِّ ، ليخلُوَ له وجهُ القَيصرِ ، ويرتاحَ منْ منافِسٍ عظيمٍ جَعَله حُسنُ الحظِّ صِهرَ مَلكِ البلادِ ، وشريكَه فى مُلكه .

أَخَذَ رئيسُ الوزارةِ يتحيَّنُ الفُرصَ وينتظرُها للغدْرِ به . وذاتَ ليلةٍ كان الشَّابُّ ورئيسُ الوزارةِ يَنظران إلى البَحرِ من فَوق ظَهرِ السفينة . وكان الشابُّ مُنحنِياً فى أَثناءِ تأَمُّله ، فدفَعَه رئيسُ الوزارةِ على حِين غَفلةٍ

---

(١) عمها .

دَفعةً قاسيةً أَلقته فى اليمِّ ، وَهُو البحر ، ثمَّ استمرَّت السفينة تسير بُسرعة ، وتركتِ الشابَّ يُصارعُ الأَمواجَ ، ويتجرَّعُ غصَصَ الموتِ ، وقد فقدَ كلَّ أَمَلٍ فى التَّعلقِ بالسَّفينةِ ، ولم يكنْ هُناكَ أَحدٌ يعرِفُ ماجَرى له غير ذلك الغادرِ الذى مكَرَ بهِ .

ظَل الشابُّ يتغلبُ على الشدائدِ ، ويسبحُ فى قوةٍ وجَلد وَصبرٍ ، يُتابعُ التّيار ، ويركبُ مَتنهُ (ظهرَهُ) وبعدَ مُصارعاتٍ عنيفةٍ ، ويَأْسٍ مُستحكمٍ ، أَلْقَتْه المقاديرُ على صَخرةٍ من الصُّخُور العاريةِ الجرْداءِ وَسطَ البحرِ . وَبقىَ على تلكَ الصَّخرةِ أَياماً يقاسى فيها البَرْد والجوعَ والظمأَ ، ولم يجِدْ ما يَسُدُّ به خَلَّتَه وحاجتَه ، ويُمسِكُ رمَقهُ غيرَ بقايا من السَّمكِ كانت تَقذِفُها الأَمواجُ نحوَه ، ثم لاحَ الفرَجُ وظَهرَ ، وبَدا اليُسْرُ باقترابِ قاربٍ للصيدِ منْ تلكَ الصَّخرةِ ، فَنادَى الشابُّ الصيادَ ، فأَقبلَ بقاربهِ ، وكانَ رَجلاً هرِماً كبيرَ



الشاب الوفي يرجو الصياد أن ينقله إلى الشاطىء على ظهر قاربه

السنِّ ، عَليه دَلائلُ البؤْسِ والشَّقاء . فَرجاه الشابُّ أَنْ ينقله إلى شاطِئ الأَمن على ظَهرِ قارِبه .

فقال الصيَّادُ أَعطِنى أَجرًا مناسباً لنَقلِكَ وإنقاذك، وإيصالِك إلى بَرِّ السلامةِ . فأَجابَ الشابُّ : « إِنى أَسِفٌ كلَّ الأَسَفِ ؛ لأَنى لا أَملِكُ سوَى هذه الملابسِ التى تراها علىَّ ، وليس معى شىءٌ يَصْلُحُ أَجرًا لَك » .

فقالَ الصيادُ : عِدْنى أَن تُعطيَنى نصفَ ما تملكُ فى المستَقبَل ، فوعَدَه الشابُّ ذلك . وقام الصيادُ بنَقلِهِ إلى الشَّاطئ . وبَعد أَشهر قضاها الشابُّ فى أَسفار شاقَّةٍ وَصلَ إلى قصر القيصرِ وهو يَعرُج ، تكسُوهُ مَلابسُ قديمةٌ ، يكادُ الجوعُ يقتُلُه ، والمشقَّةُ تَقضى عليه . وسَرعانَ ما عُرِفَتْ شَخصيتُه ، وأَنه زَوْجُ الأَميرةِ المفقودُ . فسُرَّ القَيصرُ بقُدُومِه ، وَفِرحَ بذلك زوجَتُه وَوَالدَاهُ . ثم شَرَعَ الشابُّ يُنْهى إلى القيصر ويُبلِّغُه ما حدث . وَرجاهُ فى ضراعةٍ وَخُضوعٍ أَن يَعْفُوَ عن رئيس

وِزَارتِهِ الخائنِ ، حتى يَتِمَّ السرورُ ، ولا يُعكِّرَ الصَّفوَ مُعكِّرٌ . وصَرَّحت الأَميرةُ لأَبيها القَيصرِ بما حدَثَ من زَوْجِها فى سبيل إطلاق سَرَاحِ الأَسرَى ، وفى دفعِ الضرائبِ للمسجونين ، فأُعجِبَ به القيصرُ أَيَّما إعجابٍ (إعجاباً كثيرًا) ، وصَمَّمَ فى أَن يتنازلَ له عن تاجِهِ ، ليَقضِىَ بقيةَ حياتِه فى هدوءٍ وسعادةٍ . وقد تَمَّ ذلكَ ، وَأَصبح الشابُّ قيصرًا بيده الأَمرُ والنَّهىُ .

وبعدَ التتويجِ بيومٍ ظهرَ الصيادُ الهَرِمُ الكبيرُ السنِّ أَمامَ القَيصرِ الجديدِ ، وقال له : سيِّدى القَيصرِ ، لقد وَعدتنى ذاتَ مرةٍ أَن تمنحَنى وتُعْطِينِى نصف ما تملِكُ ، فهل أَنتَ عندَ وَعدِكَ ، ورَهن كلمتك؟

وكان فى استطاعة الشابِّ أَو القيصر الجديد وقتئذٍ أَن يَأْمرَ جُندَه وحَرَسَه بطَرْدِ هذا الزَّائرِ الجرىءِ ، ولكنه آثرَ الوفاءَ وفَضَّلَه ، ولم يُطغِهِ السُّلطانُ عنِ البرِّ

بالوعدِ ، وإن كانَ وعدًا فيه مقاسمةُ ذلك الصيّادِ القيصرَ فيما يملك .

فقالَ الشابُّ : حقًّا قد وَعدتك ذلكَ ، وستَجِدُنى وفيًّا . تَقَدَّمْ وانظُر إلى مُصَوَّرِ تلك المملكةِ ، ودعْنا نقْتَسِمُها ، ثم اذهبْ إلى الْخِزانةِ الماليةِ لتُقاسِمَنى وتُشاركَنى ما فيها من مَال كريم .

وبذلك أَصبحَ الصيادُ حاكماً ذا ثَراءٍ وغِنًى ، وصارَ فى عِزَّةٍ بَعْدَ هَوْنٍ وذُلٍّ ، وفى سعادةٍ بعدَ شقاءٍ وهَوان ، واستَبدَل بالفقر المدقِع الشديد غِنًى عريضاً ، ومُلكاً واسعاً . وانطَلقَ لِسانُه يقولُ :

سيِّدى القيصر : لَمْ أَرَ كاليوم وفاءً وَبرًّا بالوعدِ. أَدامَ اللهُ مُلكَكَ ، ورحِمَكَ كما رَحِمْتَ غيرَك .

وحكَمَ القيصرُ الشابُّ رعيَّتَه طولَ حياتِه حُكماً قويماً ، وساسَها سِياسةً عادلةً تمتَّعتْ فيها بالحريةِ والعدالةِ والرَّخاءِ .

أسئلة فى القصة :

(١) ماذا أهدى التاجر إلى ابنه عند ما انتهى من دراسته ؟

(٢) ماذا قال الأب لابنه عند ما أعطاه هديته ؟

(٣) من كان فى السفينة الأجنبية ؟ وكيف تصرف الشاب نحو من فيها ؟

(٤) كيف قابل الوالد عمل ابنه ؟

(٥) ماذا عمل الشاب فى رحلته الثانية ؟

(٦) كيف تعرف القيصر على ابنته ؟

(٧) بماذا كوفئ الشاب على مروءته ؟

(٨) ماذا عمل رئيس الوزارة مع الشاب ؟

(٩) كيف نجا الشاب من الهلاك ؟

(١٠) بماذا كافأ من نجاه من الموت ؟

(١١) هل تحب أن تكون مثل هذا الشاب ؟ ولماذا ؟

(١٢) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :
بوعده ، القيصر ، وَفى ، الشاب .

(١٣) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة .
هذا ، هذه ، هؤلاء .

القِصَّةُ الثَّانية

هلْ جزاءُ الإِحسانِ إلا الإِحسانُ

قالَ الْعبَّاسُ صاحبُ شُرْطةِ الْمأْمون : دَخَلْتُ يَوْماً إلى مَجْلسِ أَميرِ الْمُؤمنين بِبَغدادَ ، وبيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مُكبَّلٌ وَمُقَيَّدٌ بالْحَديدِ ، فلمَّا رَآنى قال لِى: ياعَبَّاسُ ، قلتُ : نَعَمْ يا أَميرَ الْمؤمنين . قالَ : خُذْ هٰذَا إلَيْكَ فاحْتفِظْ بِه إِلَىَّ فى غَدٍ ، واحتَرِزْ عليه كلَّ الاحْتِرَاز

قال العبَّاسُ : فَدَعَوْتُ جَمَاعَةً فَحملوه إلى منزلِى: لأَنه لم يَقْدِرْ أَنْ يتحَرَّكَ ، ثم سأَلْتُه عن قَضِيَّتِه وعن حالِهِ ، ومنْ أَيْنَ هُوَ ؟ فقالَ : أَنا من دِمَشْقَ .

فقلْتُ جزَى اللهُ دِمَشْقَ وأَهْلها خيرًا . فمن أَنت من أَهْلها ؟

قال : وعَمَّن تسأَل ؟ قلتُ : هَلْ تعرفُ فُلاناً ؟

قال : وَمنْ أَينَ تعرف ذٰلك الرجل ؟

فقلت : كانَ لى معهُ قضيةٌ ، فقال : لن أَذكرَ لك شيئاً عنه حتى تعرِّفنى قضيتكَ معه . فقلتُ : كنتُ مع بَعضِ الوُلاةِ بدمشقَ ، فبَغى أَهلها وَظلَمونا ، وَخرَجُوا علينا ، حتى إن الوالىَ هَربَ هُو وَأَصْحابُه ، وهربتُ فى جملةِ القومِ ، فبينما أَنا هاربٌ فى بعض الدرُوبِ إذا جماعةٌ يَعدون ويجرونَ خلفى ، فما زلْتُ أَعْدُو وأَجرِى أَمامَهُمْ حتى فتُّهُمْ ، فمررْتُ بهذا الرَّجل الذى ذكرته لك وهُو جالسٌ على بابِ دارهِ ، فقلت أَغِثْنِى أَغاثَكَ اللهُ . قال : لا بَأْسَ عليكَ . ادْخُل الدَّار . فدخَلْتُ ، فقالتْ زوجتُهُ : ادخلْ تِلك المقصورةَ ، فدخلتها . ووَقَفَ الرَّجلُ على باب الدارِ ، فما شعرْتُ إلَّا أَنه قد دَخل والرِّجالُ معه يقولون : هُو واللهِ عندك . فقال : دونكُم الدارَ ففتِّشوها . ففتَّشُوها حتى لمْ يَبقَ سِوَى تِلكَ المقصورةِ وامرأَتُه فيها . فقالوا :

هُو هاهُنا فصَاحَتْ بهم ونهرَتهُمْ ، وزَجرَتْهُم ، فانصرفُوا.

وخرجَ الرَّجلُ وَجلسَ على بابِ دارِهِ سَاعةً وَأَنا قائمٌ أَرْجفُ ، لا تحمِلنى رجلاىَ من شِدة الخوفِ .

فقالت المرأَةُ : اِجلسْ لا بَأْسَ عليك. فجلستُ ، فلَمْ أَلْبثْ حتَّى دخلَ الرجلُ فقال : لا تخَفْ ، قد صرَفَ اللهُ عنكَ شَرَّهمْ ، وصِرْتَ إلى الأَمْنِ والدعةِ إن شَاءَ اللهُ تَعالى . فقلتُ له : جَزَاكَ اللهُ خَيراً .

فما زَال يُعاشرُنى أَحسنَ مُعاشرةٍ وأَجْمَلها ، وَأَفرَدَ لى مكاناً فى دَاره ، وَلم يحوجْنى إلى شىءٍ ، وَلَمَ يَفترْ عن تَفَقُّدِ أَحوالى ، فأَقمتُ عندهُ أَربعةَ أَشهر فى أَرْغَدِ عيشٍ وأَهْنئهِ ، إلى أَن سَكَنَتِ الفِتْنَةُ ، وَهَدأَتْ وَزَالَ أَثرُهَا .

فقلتُ له : أَتأْذنُ لى فى الخرُوجِ حتى أَتفقدَ حالَ غِلْمانى ، فلعلِّى أَقفُ منهم على خبر ؟ فأَخذَ علىَّ المواثِيقَ بالرُّجوعِ فخرَجتُ وطلبتُ غلمانى ، فلَمْ أَرَ

لَهُمْ أَثرًا ، فرجعْتُ إليه ، وَأَعْلَمْتُه الخبرَ ، وهو مع هٰذا كُله لا يَعرِفنى ولا يَسْأَلُنى ، وَلا يَعْرِفُ اسْمِى .

فقال لى : عَلَى أَىِّ شىءٍ تَعْزِم ؟ فَقُلتُ : قد عَزَمْتُ على التَّوجُّهِ إلى بَغدادَ .

فقال : إنَّ القافلةَ بعدَ ثلاثة أيامٍ تخرُجُ ، وَهأنذَا قد أعلمتكَ . فقلتُ له : إنكَ قد تفضلتَ علىَّ هذه المُدَّة ، ولكَ علىّ عهدُ الله أَنِّى لا أَنسى لك هذا الفضلَ وَلأُوَفِّيَنَّكَ ما استطعتُ . فدعا غُلاماً له أَسْودَ ، وقالَ له : أَسْرِج الفرسَ . ثمَّ جهزْ آلَةَ السفَر .

فلما كان يومُ خُروجِ القافلةِ جاءَنى فى السَّحَر ، قبيلَ الصبحِ ، وقالَ لى : يا فلان : قمْ ؛ فإنَّ القافلةَ تخرُجُ الساعةَ ، وأَكْرَهُ أَنْ تنفردَ عنها فقلتُ فى نفسى : كيفَ أصنع ؟ وليس معى ما أَتزَوَّدُ به ، ولا مَا أَكْرى به دابَّةً أَرْكبها ، ثم قمْتُ فإذا هُوَ وامرأته يحملانِ كارَةً [1] من أَفْخرِ الملابس ، وخفّينِ

---

(١) بقجة .

جديدين ، وآلةَ السفرِ ، ثمَّ جاءَ لى بسيفٍ ومنطقة فشدهما فى وَسَطى ، ثمَّ قَدَّمَ بَغْلاً فحمَلَ عليه صُنْدُوقين، وفوقَهُما فَرْشى، وأَخبرَنى بأَنَّ فى الصُّنْدُوقين خمسةَ آلافِ دِرْهَم ، وقَدَّم إِلَىَّ الفَرَس الَّذِى كانَ جَهَّزَهُ ، وقال: ارْكَبْ ، وهذا الغُلَامُ الأَسْوَدُ يَخْدُمُكَ ، ويَسُوسُ فرسَك . وأَقبَلَ هُوَ وَامْرَأَته يَعْتذرانِ إِلَىَّ من التَّقْصِير فى أَمْرِى ، وركِبَ معى يُشَيِّعنى .

وانْصرفْتُ إلى بغْدَاد وَأَنَا أَتَوَقَّعُ خبَرَهُ ؛ لأَفِى بعَهْدِى لهُ فى مجازَاته ومُكافأَتِه ، واشْتغلْتُ بأَمرِ أَميرِ المؤمنين ، فلَمْ أَجدْ فراغاً أُرسِلُ إِليْهِ فيه من يَكْشِفُ خبرَهُ . فَلِهذا أَنَا أَسأَلُ عنه .

فلمّا سَمعَ الرَّجلُ الحديثَ قال : لقدْ أَمْكَنَكَ اللهُ تعالى من الْوَفاءِ له ، ومُكافأَتِه على فعله ، ومُجازاتِه على صُنعِهِ ، بلا كُلْفةٍ عليْك ، ولا مَئُونَةٍ تَلْزَمُك ، فقُلتُ : وكيفَ ذلك ؟

قال : أَنا ذٰلك الرَّجل . وإِنما الضُّرُّ الذى أَنَا فيه غَيَّرَ عليْكَ حالى ، وما كنْتَ تعْرِفُه منِّى . ثمَّ لمْ يَزَلْ يذكُرُ لى تفصيلات إقامتى عنْدَهُ حتى أَثبتُّ معْرِفتهُ . فَما تمالكْتُ أَنْ قمتُ ، وَقبَّلْتُ رأسه ، ثم قلْتُ له . فما الذى آلَ بكَ إِلى ما أَرَى ؟

فقال : هاجتْ بِدِمشقَ فِتْنَةٌ مثْلُ الفِتْنةِ التى كانتْ فى أَيَّامِك ، فنُسبَتْ إِلىَّ ، وبَعثَ أَميرُ المؤمنين بجيُوشٍ فأَصْلَحُوا البَلد ، وأُخِذْتُ أَنا وضُرِبتُ إِلى أَنْ أَشْرفتُ على المَوْتِ ، وقُيِّدْتُ ، وبُعثَ بى إِلى أَمير المؤمنينَ ، وأَمْرى عنده عَظِيمٌ ، وخطبى لَدَيْهِ جَسِيمٌ ، وهو قاتِلِى لا مَحَالةَ . وقد أُخرِجْتُ من عنْدِ أَهْلى بلا وَصِيَّةٍ ، وقدْ تبِعَنى من غِلمَانى منْ ينْصَرِفُ إِلى أَهْلِى بخبرى ، وهو نازلٌ عنْدَ فُلانٍ ، فإِنْ رَأَيتَ أَنْ تَجْعلَ من مكافأَتِك لى أَن ترْسَلَ مَنْ يُحْضِرُهُ لى حتى أُوصِيَه بما أُريدُ فقد جاوَزْتَ حَدَّ المُكافأَةِ ، وقمت لى بوفاءِ عَهْدك .

قالَ العباسُ : قُلْتُ : يَصْنعُ اللهُ خيرًا . ثمَّ أَحْضرَ حَدّادًا فى اللَّيلِ فَلكَّ قُيودَهُ ، وأَزَالَ ما كانَ فيهِ من الأَنكال والقُيودِ ، وأَدْخلَهُ حَمّامَ دارِه ، وأَلْبَسَهُ من الثِّيابِ ما احْتَاجَ إِلَيْه ثمَّ أَرْسَلَ مَنْ أَحْضرَ إِليهِ غُلامَه ، فلمَّا رآهُ جعَلَ يَبْكِى ويُوصِيه ، فاستَدعَى العباسُ نائبَهُ وقال : عَلَىّ بالْفَرَس الفُلانىّ ، والبغْلةِ الفُلانيَّة ، حتى عَدَّ عشْرًا من الدوابِّ ، ثمّ عشرَةً من الصَّناديق ، ومن الكِسْوة كذا وكَذا ، ومنَ الطَّعامِ كَذاوكَذا ، ثمَّ أَحْضرَ لى بَدْرَةً (١) وكيساً فيهِ خمْسَة آلاف دينار . وقال لنَائبه فى الشُّرْطةِ : خُذْ هٰذا الرجلَ ، وشَيِّعْهُ إلى حَدِّ الْأَنْبار (٢) .

فقُلتُ له : إِنَّ ذَنْبى عِنْدَ أَميرِ المؤمنينَ عَظيمٌ ، وخَطْبى جسيمٌ ، وإِنْ أَنْتَ احْتَجَجْتَ بأَنِّى هَرَبْتُ بَعثَ أَمير المؤمنينَ فى طلبى كلَّ مَنْ على بابِه ، فأَرادُوا قتْلى .

(١) البدرة ، بفتح الباء : عشرة آلاف درهم . (٢) بلد قديم بالعراق .

فقالَ لِى : أُنْجُ بنفْسكِ ، ودَعْنِى أُدَبِّرُ أَمْرِى .

فقُلْتُ : واللهِ لا أَبْرَحُ بغْدَادَ حتى أَعْلَمَ ما يَكُونُ من خَبَرِكَ ، فإِنِ ٱحْتَجْتَ إِلى حضُورِى حضَرْتُ .

فقالَ لِنَائبه : إِنْ كانَ الأَمْرُ على ما يَقول فلْيكنْ فى مَوْضِعٍ كَذَا ، فإِنْ أَنا سَلِمْتُ فى غَدَاةِ غَدٍ أَعْلمتُه ، وإِنْ أَنَا قُتِلْتُ فقدْ وَقَيْتُه بنفْسِى كما وَقَانى بنفْسِه. وَأَنْشُدكَ اللهَ أَلَّا يذهَبَ من مالِهِ دِرْهمٌ ، ولْتَجْتَهِدْ فى إِخراجِهِ من بغْدادَ .

قال الرجُلُ : فأَخَذَنى نائبه . وصَيَّرَنى فى مكانٍ أَثِقُ به، وتفَرَّغَ العَبَّاس لنفْسِه وتَحنَّطَ ، وجَهَّزَله كفَناً .

قال العباسُ : فلَمْ أَكدْ أَفرُغُ من صَلاة الصُّبحِ إِلَّا وَرُسُلُ المأْمُونِ فى طَلَبِى يقولُون : يَقولُ لكَ أَميرُ المؤمنينَ : هاتِ الرَّجُلَ معَكَ وقُمْ .

قال العباسُ : فَتوَجَّهتُ إِلى دارِ أَميرِ المؤمنين ، فإِذَا هوَ جَالِس وعلَيه ثيابُه ، وهو ينْتظِرُنا . فقال :

أَيْنَ الرجُلُ ؟ فَسَكتُّ . فقالَ : وَيْحكَ ! أَينَ الرَّجُلُ ؟

فقلْتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، اسْمَعْ مِنِّى . فقال : للهِ عَلَىَّ عَهْدٌ لَئِنْ ذكَرْتَ أَنَّهُ هَرَبَ لأَضْرِبَنَّ عُنُقكَ . فَقُلْتُ : لَا واللهِ يا أَميرَ المؤمنينَ ما هَربَ ، ولكِنِ اسْمعْ حديثى وحديثَهُ ، ثم شَأْنَكَ وما تريدُ أَنْ تفعَلَهُ فى أَمْرِى . فقالَ : قُلْ . فقُلتُ :

يا أَميرَ المؤمنينَ ، كانَ منْ حديثى معهُ كيْتَ وكيْتَ ، وقصصْتُ عليه القِصَّة جميعَها . وعَرَّفْتُه أَنَّنى أُريدُ أَن أَفِىَ لهُ ، وأُكافِئَهُ عَلَى ما فعَله مَعى . وقلتُ أَنَا ومولاىَ أَميرُ المؤمنين بين أَمْرَيْنِ ؛ إِمَّا أَن يَصْفحَ عنِّى فأَكونَ قدْ وفَيْتُ وكافأْتُ ، وإِما أَنْ يَقتُلنى فأَقِيَهُ بنفْسى . وقدْ تحنَّطْت ، وها هُو ذا كفَنى يا أَميرَ المؤمنين .

فلمَّا سَمِعَ المأْمونُ الحديثَ قال : ويْلَكَ ! لا جَزَاكَ اللهُ عن نفْسِكَ خَيْرًا . إِنَّهُ فعَلَ بكَ ما فعَلَ

مِنْ غَيْرَ معْرِفَةٍ ، وتُكافئُه بعدَ المعرفةِ وطولِ العهدِ بهذا لا غيْرُ . هلَّا عرَّفْتنى خبرَه . فكُنَّا نُكافئُه عنْكَ وَلا نقصِّرُ فى وفائِك له ؟

فقلتُ : يا أَميرَ المومنين إنُه ها هُنا . وقد حَلفَ أَلَّا يبْرَح المدينةَ حتى يعْرِفَ سلامتى . فإِن احْتجْتَ إلى حُضورِه حضَر .

فقال المأْمونُ : وهذهِ مِنَّةٌ أَعظمُ من الأُولى . اِذهَب الآنَ إِليْه ، فطيِّبْ نفْسَهُ ، وسكِّنْ رَوْعَهُ ، وائتنى به ، حتى أَتوَلَّى مُكافأَتَهُ .

قال العبَّاسُ : فأَتيْتُ إِليْه ، وقلتُ لهُ : ليَزُلْ خَوْفُكَ . إن أَميرَ المؤمنين قال كَيْتَ وكَيتَ .

فقالَ : الحمدُ لله الذى لا يُحْمَدُ على السَّرَّاءِ والضرّاءِ سِواه . ثمَّ قامَ فصلَّى ركْعَتيْن ، ثم ركِبَ وجئْنا فلمَّا مثلَ ووقفَ بينَ يدَى أَمير المؤمنينَ أَقبلَ عليْه . وأَدْناهُ وقرَّبهُ منهُ ، وحدَّثَهُ حتى حَضر الغِذاءُ ، وأَكل معه ، وأَجزَل له العَطاءَ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ماذا كان قد حدث للعباس فى دمشق ؟

(٢) لماذا لم يكافئ من أحسن إليه ؟

(٣) كيف أتيحت له الفرصة ليرد الجميل ؟

(٤) متى رد الجميل ؟

(٥) ماذا صنع العباس مع الرجل المقبوض عليه ؟

(٦) إلى أى حد بلغت مروءة الرجل وخوفه على العباس ؟

(٧) ماذا صنع أمير المؤمنين إزاء الرجلين ؟

(ب) ضع أسئلة للأجوبة الآتية :

(١) أنا من دمشق .

(٢) وقف الرجل على باب الدار .

(٣) مكثت عنده أربعة أشهر .

(٤) إن القافلة ستخرج بعد ثلاثة أيام .

(ح) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :

الصبح ، سمع ، الحديث ، وجد .

القِصَّة الثَّالِثَة

الطَّاحونةُ العجيبةُ

مِمّا يُحكى أَنه كان من قديمِ الزمانِ أَخوَانِ ، أَحدُهما سعيدٌ كثيرُ النِّعمة ، عظيمُ الغِنى ، يَملِكُ الأَموالَ الكثيرة ، والخدمَ والعبيدَ والآخرُ مُعدِمٌ فقيرٌ لا يملكُ قوتَ يومه . وفى ليلةِ عيدٍ من الأَعيادِ لم يجد الفقيرُ ما يوسِّعُ به على عيالِه من طعامٍ ولباسٍ وشَراب ، ففكَّرَ طويلًا فيمنْ يَذهبُ إليه ، وأَخيرًا استحسنَ أَن يذهبَ إلى أَخيه الغنِيِّ يسأَلُهُ الإِحسانَ والجودَ والعطفَ ، فى هذه الليلةِ السعيدة المُباركة . وكان ينتظِرُ من أَخيه الغنىّ أَن يرِقّ لحاله ، ويعطِفَ عليه وعلى أَولادِهِ ، ويُعطيهم شيئاً ممَّا عِنده ، أَو يناوله بعضَ النقود ليشتريَ بها ما يحتاجه ، ولكنّه لم يُعطِه شيئاً ، ولم

يَكْتَفِ بذلك ، بَل طَرَدَه وأَمرهُ أَلَّا يعودَ إليه مرَّةً أُخرى.

خرج الأَخُ الفقيرُ باكياً حَزيناً ، يشكو إلى ربِّه قَسْوةَ أَخِيه ، ويدعو اللهَ أن يَتَدَارَكَ بِرَحمتِه الواسعةِ أُسْرَته المسكينةَ فى ليْلةِ العيدِ ، ولكنَّ هٰذا المسكينَ لم يَرجعْ إلى منزِله ؛ لأَنه خافَ أَن يعودَ إلى أَطفالِه الصِّغارِ ، وليْسَ فى يدهِ قوتٌ لهم . ولا شىْءَ عنده يُفرِحُهم به . أَخذَ المِسكينُ يَمْشى طولَ اللَّيل شَارِدَ اللُّبِّ والْعَقلِ مُشتَّتَ الفِكرِ ، لا يَعرِفُ إلى أَينَ يَسِيرُ. واستمرَّ كذلكَ حتى دخلَ مدينةً عجيبةً لا يَعرِفُ مَنْ فيها . وحينما كان يَسيرُ فى أَحدِ شوارعها قابلهُ رجلٌ عَرّافٌ [1] ، فأَعطاه قطعةً من المعدِنِ ، غريبةَ الشَّكْلِ ، وقال لهُ : إذا دخلت هذا المنزلَ العظيمَ الذى بجوارِك فإنك ستجدُ شخصاً يُقابلُك ، وسيعرضُ عليك أَن يأْخذَ منك قطعةَ المعدِنِ ، ويعطيكَ الطاحونةَ السِّحْريةَ

---

(١) ذكى يدعى المعرفة .

العجيبةَ ، فإن فعلَ ذلك وعرَض عليك الطاحونةَ فوافقه، ولا تترَدَّدْ في إجابةِ طلبهِ ؛ فلك فِيها منافعُ كثيرةٌ ، وخيرٌ عميمٌ [1] ويمكنُك أن تنتفعَ بها أنتَ وأولادُك .

اطمأَنَّ الفقيرُ إلى كلامِه ، ودخلَ ذلكَ المنزلَ ، ثُمَّ خرجَ ومَعه الطاحونةُ السِّحرِيَّةُ ، وكان العرَّافُ ينتظرُه بالبابِ ، فوقَفه ، وبيَّن له كيفَ يستخدِمُ هذه الطاحونةَ ، وشرح له طريقةَ الانتفاع بها ، فشكر له الفقيرُ معروفَه .

رجعَ الفقيرُ إلى منزلِه يَجُرُّ الطاحونةَ ، وعندما رآهُ الأَطفالُ فرِحُوا وهلَّلُوا وقالوا : لقد جاءَنا والِدنا بالخيرِ الكثير ، وأَقبَلوا عَليه ، وتجمَّعوا حولَه ، وأَبوهم يَبتسِمُ ، ويقولُ : الحمدُ لله .

ولما اسْتَقَرَّ الأَبُ في منزلِه بجوارِ أَطْفاله الجياعِ أَدارَ الطَّاحونةَ فِي الحال : فأَخرجَتْ من صُنوفِ

---

(١) كثير .

المآكل وأنواع الشَّرابِ ، ما لذَّ وطَابَ ، خَرجَ منها دَجاجٌ محمر ، وأرزٌ بالزبيب ، وفطائر وحَلوى ، ومُرَبَّى ، وفواكهَ طازجةٌ ومُسكَّرةٌ ، فأَخذَ الأَطفالُ وأُمُّهم يَلتهمون الطَّعامَ التِهاماً ، حتَّى امتلأَتْ بطونُهم ، ونَظروا إلى أَبيهم فى دَهشةٍ وسرورٍ ، وقال أَحدُهم : أَنتَ بطلٌ يا والدى . وقال الثانى : أَنتَ عظيمٌ ياأَبى . وقال الثالث : مِن أَين أَحضرتها ؟ والوالد مسرور مبتهج .

ثمّ ناموا فَرحينَ مسرورينَ ؛ شاكرِينَ لوالدِهم سعْيَه الكريمَ فى إسعادِهم وإطْعامهم .

ولكنْ لم يلْبَثْ أَن ترامى نبأَ[1] هذه الطاحُونةِ إلى أَخى الفقيرِ ، وهو ذلك الغنىُّ السعيدُ الذى ضَنَّ[2] عليه بالطَّعامِ فى ليلةِ العيدِ ، وكانتْ لذلك الغنىِّ مِساحاتٌ واسعة من الأَراضى التى لم تُزْرع لِقلَّةِ الماءِ ، فعرضَ على أَخيه أَن يَشترِىَ منه الطَّاحُونةَ بخمِسمائةِ

---

(١) خبر . (٢) بخل عليه .



الطاحونة العجيبة تخرج أنواع الطعام والشراب فملئت الحجرة بما لذ وطاب

جُنَيهٍ ، لينتفعَ بها فى إرواءِ أَراضيه ، فرفض بيْعَها ، ولكنَّه أَعارها إياهُ لتكونَ تحتَ تصرُّفِه ، ونَسِى ذلك المسكينُ الطيِّبُ القلبِ أَن أَخاه هذا هو الذى طردَه وحرَمهُ وحَرَمَ أَطفاله الطعامَ ، وَهُمْ جياعٌ فى ليلة العيدِ .

أَخذ الأَخُ الغنىُّ الطَّاحونة ، ثم أَدارها ؛ لتخرج له ماءً لإِرواءِ أَراضيه الواسعةِ ، فأَغرقَها ، وجعلها مُستَنْقَعاً كبيرًا ، وبركةً واسِعةً ، فاسْتغَاثَ بأَخِيه الفقير ، فوَقَفها ، وعادَ بها ثانيةً إلى منزله .

رجع الفقيرُ بالطَّاحونةِ إلى منزلِه ، وكان قريباً من شاطئِ البحْرِ ، فسمعَ عن الطَّاحونةِ رُبَّانُ إحْدى السُّفُن ، التى تقوم بنَقْلِ الملح إلى البلادِ النَّائيةِ (١) ، فتوجَّه إلى منزل صاحبها ، واستأْذَنَهُ فى مُشاهدةِ تلكَ الطَّاحُونةِ الغريبة العجيبة ، فأَذِنَ لهُ ، وعنْد ما رآها الرُّبَّانُ ودارتْ أَمامه سُرَّ منْها ، وتعَجَّبَ كلَّ العَجَبِ ،

(١) البعيدة .

ثم انصرفَ بَعْدَ أن أكرمَه الفقيرُ ، وحيَّاهُ أحسنَ تحيةٍ .

وحين أَقبلَ اللَّيْلُ ، وانتشرَ الظَّلامُ ، انتهزَ الرُّبَّانُ تلكَ الفُرْصةَ الذَّهَبيَّةَ ، وذهبَ إلى منزل الفقير من غَيْرِ أن يَشْعُرَ به أحدٌ : فسرق الطَّاحُونةَ ، ووَضَعَها فى سَفينَتِه ، ثم أدارَها ، وأَمَرَها بأَنْ تُخْرِجَ لهُ مِلْحاً ، فأَخَذَ الملحُ ينزلُ بكثرةٍ حتى امْتلأَت السفينةُ به ، ولما حاوَلَ أَنْ يَقِفَها لم يَسْتطِع ، واستَمرَّ المِلْحُ ينزلُ حتى غَرِقت السفينةُ فى قاعِ البَحْر ، وغَرِقَ مَعَهَا رُبَّانُها الخائنُ السَّارِقُ .

وعِنْد ما استيقظَ الأَخُ الفقيرُ من نوْمِه لم يجدْ طاحونَتَه ، فحَزِنَ وبَكى على سُوءِ حَظِّه ، ولكنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ ، ولم يَقطَع الأَملَ فى العُثور عَليها ، وأَخذَ يبحثُ عن طاحونَته ، ولكن بَحْثَهُ لم يأْتِ بفائدةٍ فى الأَيام الأُولى ، وكاد اليأْسُ يعودُ إليه ثانيةً ،



الطاحونة ينزل منها الملح بكثرة حتى امتلأت السفينة وغرقت

لَكن الله لطف به ، ولم يَحْرِمْهُ خَيْراتِ الطاحونَةِ التى تفضل بها عليه ؛ ففى يوم من الأَيّام كان يسير على شاطىءِ البحرِ باحِثاً عن طاحونتِهِ ؛ إِذْ أَبصَر شيئاً قد غَطَّته الرِّمالُ ، وبقى منه جزءٌ قد انكشَف عنه الرَّمْلُ بِفِعْلِ الرِّياحِ ، فأَسرعَ الفقيرُ نحوَ ذلك الشيء ، وما كَادَ يفحصُ عنه حتى طارَ فرِحاً ؛ لأَنَّهُ وجَد طاحونَتَه ، ووَجَد بالقربِ منها جُثَّة الرّبَّان السَّارِقِ ، كما رَأَى وَسطَ الماءِ قريباً من الشاطىءِ بَقَايا السفينةِ الغَارقةِ ، فعرفَ الأَخُ الفقيرُ ما كانَ من أَمر هذا الرُّبان الخائنِ ، وأَدركَ أَن الله تعالى قد انْتَقَمَ منه بهذهِ النِّهايةِ المحزنةِ ، وذلك المصير السيِّىءُ المؤْلمِ . فشكَر الله أَن رَدَّ إِليهِ طَاحونتَهُ ، وعادَ بها إِلى منزلهِ . وفى الحالِ أَدارَها ، فأَخْرجت نقودًا مِن الذهَبِ والفضَّةِ ، مما جعله يعيشُ هو وزوجُه وأَطفالُه عيشةً سعيدةً رغْدًا .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) كيف كانت معاملة الأخ الغنى لأخيه الفقير ؟

(٢) ما الذى أخرج الفقير من بؤسه ؟

(٣) لماذا رد الأخ الغنى الطاحونة للأخ الفقير ؟

(٤) لماذا غرقت سفينة الربان الطامع ؟

(٥) كيف استرد الفقير طاحونته ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :

الفقير — إلى — رجع — الطاحونة — منزله — يجر .

(حـ) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :

خرَج — الأب — الملح — السفينة — أخذَ — شكرَ .

القِصَّة الرابعة

قصةُ الفُولة

قيلَ إنَّ جَعْفَرًا الْبَرْمَكِىَّ حِينَمَا صَلَبَه هٰرونُ الرشيدُ أَمَرَ بِصَلْبِ كُلِّ مَنْ نَعاهُ[1] أَوْ رَثَاهُ ، فَكَفَّ[2] النَّاسُ عَنْ نَعْيِه وَرِثَائِه ، فَاتَّفَق أَنَّ أَعْرابيًّا كان بعيدًا بِالبادِيَة ، وفى كُلِّ سنَةٍ يأْتِى بِقَصِيدَةٍ إِلَى جَعْفر الْبَرْمَكِىِّ ، فيُعْطِيه أَلفَ دِينارٍ جائزَةً عَلَيْها ، فيَأْخُذُها ويَنْصرِفُ ، ويَسْتَمِرُّ يُنْفِقُ منْهَا عَلَى أُسْرَتِهِ إلى آخِرِ العامِ .

فجاءَهُ ذَلكَ الأَعْرابىُّ بِالْقَصِيدةِ عَلَى عادتِه ، فَوَجَدَهُ مَصلوباً . فَذَهَبَ إلى المَحَلِّ الَّذِى صُلِبَ فِيه ، وَأَنَاخَ[3] راحِلَتَهُ ، وَبَكى بُكاءً شَديدًا ، وحَزِنَ عَلَى جَعْفَرٍ حُزْناً عَظيماً ، وَأَنْشَدَ قَصِيدتَه ، ثمَّ نَامَ .

فَرَأَى جَعْفرًا الْبَرْمَكِىَّ فى المَنَامِ يَقولُ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ

---

(١) أخبره بموته . (٢) امتنع . (٣) أبركها .

أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ ، وَجِئْتَنَا عَلَى ما رَأَيْتَ ، ولٰكِنْ تَوَجَّهْ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْأَلْ عَن رَجُلٍ اسْمُهُ كَذَا مِنْ تُجَّارِ الْبَصْرَةِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ جَعْفَرًا يُقْرِئُكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : أَعْطِنِي أَلْفَ دِينَارٍ بِأَمَارَةِ الفُولَةِ .

فلَمَّا اسْتيْقظَ الأَعرابِيُّ مِنْ نَوْمِه وَجَّه إِلَى البَصْرَةِ ، ثمَّ سَأَلَ عَن ذٰلِكَ التاجِرِ وقَابَلَهُ ، وبلغَهُ ما قالهُ جَعْفَرٌ في المَنَام : فَبكى التَّاجِرُ بُكاءً مُرًّا ، وأَكرمَ الأَعْرابِيَّ كُلَّ الإِكرامِ ، وأَحْسَنَ مَثْواه (١) ، ومكثَ عِنْدَه ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مُكرَّماً مُبَجَّلاً (٢) . ولمَّا أَرادَ الانْصِرَافَ أَعْطَاهُ خَمْسَمائَة دينارٍ وأَلْفاً ، وقال لَهُ : إِنَّ الأَلفَ قَدْ أَمَرَ لكَ بِهَا : والْخَمْسَمائة إِكْرامٌ مِنِّي لك . ولَك عَلَيَّ في كُلِّ سَنَةٍ أَلْفُ دينار .

ثم سَأَلَ الأَعرابِيُّ التَّاجِرَ : أَرْجُو أَن تُخْبِرَني خَبَرَ الفُولةِ ، حَتَّى أَعْرِفَ أَصْلَهَا .

---

(١) أكرمه . (٢) معززاً .

فقال لَه التَّاجِرُ : لَقَدْ كنتُ فِى بَدْءِ أَمرى فقيرَ الحال ، أَطُوفُ بالفُول النابتِ فى شوارعِ بَغدادَ ، وَأَبيعهُ ، وَأَسْتَعِين بِذٰلكَ عَلَى العيْشِ ، فَخَرَجْت فى يَوْمٍ شَديدِ الْبَرْد ، كَثِيرِ الْمَطَر ، وليسَ عَلَى بَدَنى ما يَقِينِى[1] البَرْدَ ، فَتارةً أَرْتَعِدُ لِشِدَّةِ البرُودَة وتارةً أَقَعُ فى ماءِ الْمَطَرِ والوَحل ، وأَنا فى حالةٍ كَرِيهة تَقْشَعِرُّ مِنْها الأَبْدَانُ .

وكانَ جعفَرٌ فى ذلك الْيَوْم جالِساً فى قَصْرٍ مُشْرِفٍ عَلَى الشَّارِع ، فَوَقعَ نَظَرُه عَلَىَّ ، فرقَّ لحالِى ، وَأَرسَلَ إلَىَّ بَعْضَ أَتْباعِهِ ، فَأَخَذَنى إِلَيْهِ ، وَأَدْخَلنى عَلَيْه . فلَمَّا رَآنِى قال لى : بعْ ما لَدَيْكَ مِنَ الفُول على مَن مَعى مِنَ الجالِسِينَ ، فَأَخَذْتُ أَكِيلُهُ بِمِكْيال كانَ مَعِى ، فَكلُّ مَنْ أَخَذَ مِكيَالًا مِنَ الفُول مَلَأَهُ ذَهباً ، حَتَى فَرَغَ كُلُّ مَا مَعِى ، وَلَم يَبْقَ فى القُفَّةِ شَىْءٌ ، ثُمَّ جَمَعتُ الذَّهَبَ الَّذِى حَصُلْتُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَنى جَعْفَرٌ : هَلْ بَقِيَ مَعَكَ شَىْءٌ مِن الفُولِ ؟

---

(١) يحفظنى .

فَقُلتُ : لا أَدْرِى ، ثُمَّ بَحَثتُ فى القُفَّةِ ، فلَمْ أَجِدْ فيها سِوَى فُولَة واحِدَة ؛ فَأَخَذها مِنّى جَعْفَرٌ ، وَفلَقَها نِصْفَيْن : فَأَخَذ نِصْفَها ، وأَعْطَى النِّصْفَ الثَّانىَ لِامْرَأَتِهِ وقال: بِكَمْ تَشْتَرِينَ نِصْفَ هٰذِه الفولَةِ؟

فقالت : بِقَدْرِ هٰذا الذَّهَب مَرَّتيْنِ ، فَصِرْتُ مُتَحَيِّرًا فى أَمْرِى . وَقُلْتُ فى نَفْسِى : إِن هذا مِنَ المُحَال ، فَبَيْنَما أَنا فى عَجَبٍ وَاسْتِغْرابٍ ، وَإِذَا المَرْأَةُ تَأْمُر بَعض جَوارِيها بإِحْضارِ قَدْرِ الذَّهَبِ المَجْموعِ مَرَّتَيْن .

فقال جَعْفَرٌ : وَأَنَا أَشْتَرِى النِّصفَ الآخرَ مِن الْفولَةِ بِقَدْرِ الجميعِ مرَّتَين ، ثُمَّ قال لى جَعفَرٌ : خَذْ ثَمَنَ فُولِكَ ، وَأَمَرَ بَعض خُدَّامِهِ بِجَمعِ المال كُلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فى قُفَّتِى ؛ فَأَخَذْتُه وَانْصَرَفتُ . ثُمَّ جِئْتُ إِلَى البَصْرَةِ ، واتَّجَرتُ بمَا مَعى مِن المالِ ، فَوَسَّعَ اللهُ عَلَىَّ ، وَلِلهِ الْحَمدُ وَالشكْرُ والمِنَّة (١) . فإِذا أَعْطَيْتك فى

(١) النعمة .

كُلٍّ سَنةٍ أَلْفَ دينار مِنْ بَعْضِ إِحْسانِ جَعفَر ما ضَرَّنى شَىْءٌ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى حرمه الرشيد على الناس بعد أن قتل جعفراً ؟
(٢) ما الحلم الذى رآه الشاعر وهو نائم ؟
(٣) ماذا فعل الأعرابى بعد أن استيقظ من نومه ؟
(٤) ماذا فعل التاجر مع الأعرابى ؟
(٥) ما قصة الفولة كما حكاها التاجر ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها عبارة مفيدة :
التاجر ، بكاء ، بكى ، وأكرم ، مرًّا ، الأعرابى ، الإكرام ، كل .

(حـ) ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملة مفيدة :
جعفر ، الفولة ، المطر ، ملأ ، فرغ ، أخذ .

(د) أكمل القطعة الآتية بوضع كلمات مناسبة فى الأمكنة الخالية منها :
بحثت فى القفة فلم أجد فيها سوى . . . واحدة ، فأخذها منى . . . ، وفلقها نصفين ، فأخذ . . . وأعطى النصف الثانى . . .

فهرس الكتاب

الابن النبيل

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتبخانه حسينيه، ديوبند، يوپى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصاً منِّى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الْجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هـٰذه المجموعةِ ألوانًا من القِصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرَغِّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا فى النواحِى الخلقية والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضِى إلى نهايتِها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصصِ ، وليكتسِبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وجَمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمِّى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لَذةً وسرورًا يشعُر بهما الكبارُ أنْفسهم حينَ يقرءُونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الْجيل الْجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والشرقِ العربىِّ

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطية الإبراشى

الْقِصَّة الأُولى

الإِبنُ النَّبيلُ

كانَ لِأَحَدِ النُّبلاءِ ثَلاثَةٌ منَ الأَبْناءِ ، نمَوْا وكَبِرُوا حَتَّى صارُوا شُبَّاناً أَقْوِياءَ . وقدْ حَدَثَ أَنْ مَرِضَ الأَبُ مَرضاً شَديدًا أَلْزَمَهُ الْفِراشَ مُدَّةً ليْسَت بالْقَصِيرةِ ، وَزارَهُ كَثيرٌ منَ الأَطباءِ ، وَفَحَصوا عنْ مَرضِهِ ، وَحاوَلوا عِلاجَهُ ، فلمْ ينجَحْ أَحدٌ مِنهُمْ فى مُعالَجَتِهِ وَشِفائِه مِنْ مَرضِه ، أَو تخْفيفِ الأَلَم عنْهُ . وَأَخيرًا طُلب لِعلاجِهِ طَبيبٌ معْروفٌ بمُعالَجَتِه لِلْأَمراض المُسْتعْصِيَةِ الصَّعْبَةِ ، فَزارَهُ وَعَرَفَ مَرَضَهُ ، وقرَّرَ أَنَّ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يُشْفَى منْ هٰذا الْمَرضِ إِذا حصَلَ عَلَى الطَّائِرِ الذَّهَبِيِّ ، لِيُغَنِّيَ لهُ بِصَوْتِه الْعَذْبِ الموسِيقِيِّ الْجَميلِ . لِهٰذا كَلَّفَ الأَبُ ابْنَهُ الأَكْبَرَ الْبَحثَ عنْ هٰذا

الطَّائِر ، والْعَمَلَ لِلْحُصول عليْهِ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُعْطِيَه قَدْرًا كَبيرًا مِنْ ثرْوَتـهِ ومُمْتلَكاتهِ إِذا تَمكَّنَ منَ الْحُصولِ عَلَى هٰذا الطَّائرِ وإِحْضارِهِ .

فاسْتَعَدَّ الاِبنُ الأَكْبرُ للرَّحِيلِ والسَّفرِ للْبَحْثِ عَنْهُ ، واسْتمَرَّ مُسافِرًا بِحِصَانهِ حَتَّى وَصَلَ إِلى مُفْتَرَقِ أَرْبَعِ طُرُقٍ ، فَحارَ فى أَمْرِهِ ، ولم يعْرِفْ أَىَّ طَرِيقٍ يختَارُ حتَّى يَسْلُكَهُ ويَسِيرَ فِيه ، فَرَمَى قَلَنْسُوته إِلى أَعْلَى فى الْهَوَاءِ ، لِيَرَى الْجِهَةَ التى تَتَّجهُ نَحْوَها ، ثم يَسِيرَ فى تِلْكَ الجهَة منَ الجهَاتِ الأَرْبَعِ .

وقد اسْتمرَّ الاِبنُ الأَكْبَرُ مُسافِرًا ثَلاثَةَ أَيامٍ يَبْحَثُ عن الطَّائِر الذَّهَبِيِّ بِلاَ فائِدَةٍ ، حَتى مَلَّ الْبَحْثَ وَسَئِمَهُ ، وَلَمْ يَهْتَدِ إلى الطَّائِر ، ولمْ يَعْرِفْ لهُ مَقَرًّا ، ولمْ يعْرِفِ الْمُدَّةَ الَّتى تَسْتغْرِقُها هٰذِهِ الرِّحْلَةُ فى الْبَحْث. وأَخِيرًا وَصَلَ إلى فُنْدُقٍ يَنْزِلُ بهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِحين الَّذين يَقْصِدونَ الرَّاحَةَ والمُتْعَة ، فَنَزلَ بِه ، وذَهَبَ إِلى

حُجْرةٍ خُصِّصَتْ بِه ، وَأَمَرَ الْخَادِمَ بإِعْدَادِ الطَّعامِ والشَّرابِ لِتناوُلِ الغَداءِ . وتَغَدَّى ثمَّ اسْتَرَاحَ وَنامَ فى حُجْرَته . وصَمَّمَ عَلَى الاِكتِفاءِ بالأَيام الَّتِى بَحَثَ فِيها ، والإِقامةِ بالْفُنْدُقِ ، وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْخَبيثَةُ أَنَّ أَباهُ رجُلٌ هَرِمٌ كَبيرُ السِّنِّ ، وَأَنَّ مِن الْحُمْقِ إِضاعَةَ الْوَقْتِ فى الْبَحْثِ عن الطَّائِرِ الذَّهَبيِّ لِمُعالَجَتِه بِصَوْتِه الْمُوسِيقِيِّ الْعَذْبِ ، وأَنَّهُ إِذا ماتَ وَرِثَ ثَرْوَتَه .

انتظرَ الأَبُ المريضُ رُجوعَ ابْنِه الْأَكْبَرِ بِالطَّائِرِ الذَّهَبِيِّ مُدَّةً لَيْسَتْ بِالقَصِيرة ، حَتَّى سَئِمَ الاِنْتِظارَ ، وَاشْتَدَّتْ بِه الْآلامُ لِعَدَمِ الْحُصولِ عَلَى الْعِلاجِ وَالدَّواءِ ، فَاضْطُرَّ إِلَى إِرْسالِ ابْنِهِ الْأَوْسَطِ لِلْبَحْثِ عَنْ هٰذا الطَّائِرِ ، فَاسْتَعَدَّ لِلسَّفَرِ ، وَسافَرَ فى الطَّرِيقِ الَّذِى اتَّخَذَهُ أَخوه مِنْ قَبْلُ ، وَسارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُفْتَرَقِ الطُّرقِ الْأَرْبَعَةِ وَتَقاطُعِهَا وَحارَ فى أَمرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ إِلَى أَيِّ جِهَة يَقْصِدُ . فَأَلْقَى قَلَنْسُوَتَهُ إِلَى أَعْلَى ، ثُمَّ

سارَ فى الْجهَةِ الَّتى حَمَلَتْها الْهَواءُ إِلَيها ، وَهىَ الْجهَةُ التى سارَ فِيها أَخُوهُ الْأَكْبَرُ مِنْ قَبلُ . وَاسْتَمَرَّ مُسافِرًا يَبْحَثُ عَنِ الطَّائِرِ بِلَا فَائِدَةٍ ؛ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْفُنْدُقِ الَّذِى نَزَلَ فِيه أَخوه . وَفى ذٰلِك الْوَقْتِ كانَ أَخوهُ يطِلُّ مِنْ نَافِذَةِ حُجْرَتِهِ بِالْفُنْدُقِ ، فَرَأَى أَخاهُ ، وَناداهُ لِيَمْكُثَ مَعَهُ ، وَيُمتِّعَ نَفْسَه مَعَ السائِحِينَ ، وَيَسْتَرِيحَ مِن تَعَبِ السَّفَرِ وَالْبَحْثِ بِلا نَتِيجَةٍ . فَاسْتَحْسَنَ الاِبْنُ الْأَوْسَطُ فِكْرَةَ أَخيهِ الْأَكْبَرِ ، وَوَافَقَهُ عَلَى رَأْيِهِ وَعَدَّه رأْياً صائِباً ، وَشارَكَهُ الْيَأْسَ مِنَ الْحُصول عَلَى الطَّائِرِ الذَّهَبِىِّ ، مِنْ أَىِّ ناحِيةٍ مِنْ نَوَاحى الْعالَمِ ، وَاعْتَقَدَ مِثْلَ أَخيهِ اعْتِقادًا سَيِّئاً لا يَعْتَقِدُهُ ابْنٌ بارٌّ بِأَبيهِ ، مُحِبٌّ لَهُ . اعْتَقَدَ أَنَّ الْأَبَ رَجُلٌ هَرِمٌ كَبير السِّنِّ ، وَهُوَ نَبيلٌ مِنَ النُّبَلاءِ ، وَلَهُ ثرْوَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمال وَالْأَرضِ وَالْقُصورِ وَالْحَدائق ، وَإِذا ماتَ ورِثَهُ أَبْنَاؤُه ، وقَسَّموا ثَرْوتَهُ بَيْنَهُمْ . فَكَّرَ الابنانِ الشِّرِّيرانِ



الأب على فراش المرض ، وزوجته بجانبه ، وحوله أبناؤه الثلاثة ، والطبيب يصف له الدواء

فى ثَرْوة أَبيهِما وتَقسيمِها بَعْدَ مَوْتِه ، ولم يُفكِّرا فى شِفائهِ مِن مَرضِه ، وإراحَتِه منْ آلامِ الْمَرض ، وهُو تفكيرٌ سيِّئٌ ، وشُعورٌ مُؤْلِمٌ .

أَصْغَى الابْنُ الأَوْسَطُ إلى نصِيحةِ أَخِيه ، وَدَخَلَ الْفُنْدُقَ ، وأَقام معَ أَخيهِ الأَكْبرِ . وعاشَ الأَخَوان معاً فى مرَحٍ وسُرُورٍ ، واشْترَكا فى جميعِ الحَفلاتِ السَّاهِرَةِ بالْفُنْدُقِ ،ونَسِيًا معَ الأَسَفِ الشَّديدِ ـ أَباهما المَرِيضَ ـ الْمُتأَلِّمَ لغِيابِهما ، المُنْتظرَ لرُجُوعِهما بفارِغِ الصّبرِ ، ومَعَهُمَا الدَّواءُ الْمُفيدُ ، المُزِيل الْآلامِ . واسْتَمَرَّا يُنْفِقانِ عَن سَعَةٍ حتى نفِدَ [1] ما مَعَهُما منَ النُّقود . واضْطُرَّا فى النِّهايةِ إلى الاسْتدانةِ من صاحِبِ الفُنْدُق ، واحْتفظَ بهِما عِندهُ رَهينَيْنِ حتى يستَطيعا دفْع ما عليْهِما من الدَّينِ .

وقد سَئِمَ الْأَبُ انتظارَ ابْنيْه : الأَوَّل والثانى ، وانقطَعَ أَملُهُ فى رجُوعِهِما بالعِلاج : فاضطُرَّ إلى إرسالِ

---

(١) انتهى .

ابنهِ الثالثِ وهُو الابْنُ الأَصْغر ؛ ليأْخُذَ دوْرَه فى البحْثِ عنِ الطَّائرِ الذهَبيِّ ، فسافرَ فى الطَّرِيقِ الذى سافرَ فيه أَخواهُ منْ قبلُ ؛ حتى وصلَ إِلى الفُنْدُق الذى حُجزَ فيه أَخَواهُ رهْناً ؛ حتى يَقوما بِدَفعِ ما عَلَيهما منَ الدَّيْنِ لصاحبِ الْفُندُقِ ورأَى الأَخوَان أَخاهُما الأَصغَر ، ودَعَواهُ لِلمُكْثِ معهما فى الْفُندُقِ ، والتَّمتُّعِ بِما فيه مِنْ حَفَلاتٍ ساهرةٍ ، والْقِيامِ بِرحلاتِ الصَّيدِ والقَنْصِ كلَّ يومٍ ، وحاوَلا مَنْعَهُ بكلِّ وسيلةٍ مِن مُتابَعةِ السَّفَرِ ، والْبَحْثِ عَنْ هذا الدَّواءِ لِلأَبِ الْمريضِ .

فلَمْ يُصْغِ إِلى كلامِهما ، واحْتَقَرَهُما فى نَفسِه ؛ فَقدْ بَرْهَنا على خِسَّةٍ ودَناءَةٍ ونَفسٍ شِرِّيرَةٍ ، وقالَ لَهُما : إِنَّ منَ الْعارِ أَنْ أَنتظرَ هُنا وأَتمتَّع بالرحلاتِ والحَفلاتِ وأَبى مريضٌ يَشْكو ويُعانى آلامَ الْمَرض . إِنَّ مِنَ الْعارِ أَن أَمكُثَ هُنا وأَنسَى أَبِى فى شِدَّتِه وأَلَمِه . إِنَّ مِن الحُمقِ أَنْ أَتصرَّفَ كما تَصَرَّفتُما ،

وأَفعلَ كما فعلتما . ومنَ الخطإِ أَنْ أَيأَسَ فى الْبَحْثِ ، ولَنْ يَجِدَ الْيأْسُ سبيلًا إِلى قَلْبى . سَأَسْتَمِرُّ فى البَحثِ ولَنْ يَسْتريحَ بالِى حتى أَقومَ بواجبى نَحْوَ أَبى المريضِ ، وسَأَبحث عَنِ الطَّائر الذَّهَبِيِّ فى كُلِّ مَكانٍ من بلادِ العالَم حَتى أَجِدَه ، وأَرْجعَ إِليهِ بِه . وأَعْمَلَ على شِفائِه من مَرضِه . فَقَدْ رَبَّانا صِغارًا ، ويَجبُ أَنْ نَقومَ بواجِبِنا نحوَه ونحنُ كبارٌ . وقَدْ كانَ يُحِبُّنا كُلَّ الْحُبِّ ولمْ يُقَصِّرْ نَحوَ أَحَدٍ مِنَّا فى أَمرٍ من الأُمورِ ، وكانَ يَتأَلَّمُ إِذا مَرِضَ أَحَدٌ مِنَّا ، ويَتمنَّى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمريضَ بَدَلًا منهُ . لَقَدْ قامَ بواجبهِ نَحْوَنا ، وسَأَقومُ بواجبى نحوَه ، ولوْ كانَ فى ذٰلكَ مَوْتى وَهلاكى [1] .

فَسَخِرَ الْأَخَوانِ الْكبيران بِأَخيهِمَا الْأَصْغَر ، وقالا لهُ : لَقَدْ فعَلْنا ما فى قُدْرَتِنا ، وَليس فى استِطاعَتِنا أَن نَفعلَ أَكْثَرَ ممَّا فَعلْنا . ولَن نَنْجَحَ أَكْثَرَ مِمَّا

---

(١) موتى .



الإخوة الثلاثة يتحدثون معًا ، والأخ الأصغر متألم من أخويه الكبيرين

نَجَحْنا . فَلْنَتْرُكْه حتى يموتَ ؛ لأَنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرُ السِّنِّ ، أَخَذَ نَصيبَهُ مِنَ الحياةِ ، وَسِنُّهُ الآنَ ثمانونَ سَنَةً . فَلْيَمُتْ كَىْ نَقْسِمَ ثَرْوَتَهُ بَيْنَنَا .

وهُنا لَمْ يَسْتَطِعِ الابْنُ الأَصْغر أَنْ يَنْتَظِرَ حتى يَسْمَعَ أَكثرَ مِمَّا سمِعَ ، من لُغةِ الأَبْناءِ الذينَ يتمنَّوْنَ موْتَ الآباء . وقد وقَفَ مُحْتجًّا على هذَا الكلامِ الذى قالهُ أَخوَاهُ ، واحْتقرهُما فى نفْسِه كلَّ الاحْتِقارِ ، وعرَفَ شُعورَهُما المؤلِمَ نحْو أَبِيهما ، وتأَلَّمَ لهذَا الشُّعورِ القاسِى ، وتركَهُما وَدمُه يغلِى فى عُروقِه لِهذا العُقُوقِ(١) الذى أَظهَرَهُ أَخَواه . واسْتمرَّ فى سَفرِه حتى قابلَ أَرْنباً كبِيرَةً منَ الأَرانبِ بالقُرْب من كُوخٍ من الأَكواخ ، فَنظرت الأَرْنبُ إِليهِ وسأَلته : إِلى أَيْن أَنتَ ذاهبٌ أَيُّها الشَّابُّ الشُّجاعُ ؟

فأَجابَها الشَّابُّ : إِنَّنى ذَاهبٌ لأَبحثَ لوالدى

(١) العصيان .

المريض عن الطَّائر الذهبىِّ ، ولا أَعرفُ فى الحقيقةِ الطريقَ الموصِّلَ الذى أَتجهُ إِليهِ ، وأَنا سائرٌ على غيرِ هُدًى . وقد وُصِفَ هذَا الطَّائرْ لعِلاجِ أَبى وَشِفائِه من مرضِه ، وقد بحثْتُ عنهُ طويلًا بِغيرِ فائدة . ولم يَستطِعْ أَحدٌ حتى الآن أَن يُخبِرَنى عنه ، أَوْ يذكرَ لى أَيْنَ أَجدهُ .

فقالَت الأَرْنبُ : آه ! إِنَّ أَمامَكَ سَفَرًا طويلًا شاقًّا حتى تجِدَهُ ، وسَتُضطَرُّ إلى أَن تمشِىَ على الأَقلِّ مسافةً تُقدَّرُ بِسَبْعمائةِ ميلٍ ؛ حتى تصلَ إلى الجهةِ التى يعيشُ فيها .

فسأَلها الشَّابُّ : وكيفَ أُسافرُ هذه المسافةَ الطويلةَ وليس هنا سيارةٌ ولا قطارٌ ولا طائرةٌ ؟

فَأَجَابتْهُ الأَرْنبُ : سأَكونُ لكَ كطائرَة سَرِيعة ، فاركبْ على ظهْرى ؛ لآخُذَكَ إلى المَكان الذى يعيشُ فيه هذَا الطائرُ العَجيبُ ؛ لأَنِّى مُعْجَبةٌ بوفائِكَ لأَبيكَ ، وَإِخلاصِكَ له ، وبرِّكَ بهِ ، وحُبِّكَ لهُ ، وتفكيرِكَ فِيهِ .

فَشَكَرَ الشَّابُّ للأَرنب هذا الشُّعورَ النبيلَ ،

ورَكِبَ فَوْق ظَهْرِها ، وسارَتْ بهِ ، وكانتْ كلُّ خُطْوةٍ من خُطاها تُقدَّرُ بِسَبْعَةِ أَمْيالٍ ، وخَطتْ به مائةَ خُطْوةٍ ، قَطعَتْ فيها سَبْعَمائةِ ميلٍ ، ووَصَلَتْ بهِ إلى قَصْرٍ جميلٍ تُحيطُ به حدِيقةٌ كبيرَةٌ ، ثمَّ قَالتْ له : سَتَجِدُ الطائرَ الذهبيَّ في قفَص حَديديٍّ جميلٍ مُعلَّقٍ بالقُرْبِ منْ هذِهِ النافِذَةِ ، وسَتجِدُ بِجانبِ هذا القَفَصِ قَفَصاً ذَهَبيًّا مَصْنوعاً من الذهبِ . فإذا أَمْسكْتَ بهذا الطَائرِ فَضَعْه في القفَصِ الْحَديديِّ الْجَميل . واحْذرْ أَن تَضعهُ في القفَصِ الذهبيِّ ، وَإلَّا عَرفَ جميعُ السُّكانِ بالقَصْرِ أَنكَ قد سرَقْتَ الطَّائرَ ، وقَبضُوا عَلَيك .

ذهبَ الشابُّ نحْوَ النَّافِذَةِ الخلْفِيَّةِ منَ القَصْر ، فَوجَد الطائرَ الذهبيّ واقِفاً مُتَجَمِّدًا مُتَصَلِّباً يراهُ الرَّائِي[1] كأَنَّهُ مَيِّتٌ ، ووجَدَ قَفَصَيْنِ : أَحدهما حديديٌّ جميلٌ ، والآخَرُ ذَهبيٌّ ، فمدَّ يدَهُ نحوَ الطائرِ الذهبِيِّ

---

(١) الناظر .



الابن النبيل ، وأمامه أرنب كبيرة تتحدث معه بالقرب من الكوخ

وأَمْسكَ به ، ووَضعهُ فى القفَص الذَّهبىِّ ، فابتدأَ الطائرُ يُغَرِّدُ تغْريدًا موسيقيًّا عذْباً ، ويُصفِّرُ تصفيرًا جميلًا ، فسمِعهُ الخدم فى القَصْرِ ، وجرَوْا نحوَ الطائرِ ليَرَوْا ماذا حدثَ له . فرأَوُا الشَّابَّ الشُّجاعَ وقدْ أَخذَ الطائرَ ووضعهُ فى القفصِ الذَّهبىِّ ،فَصاحوا جميعاً ، وقبضوا علَيه وقالوا : إِنهُ لصٌّ يجبُ أَن يُلْقَى فى السجن .

فتكلَّم الشابُّ ، وأَخذَ يُدافعُ عن نفسِه ، وقالَ : إِننى لستُ بلِصٍّ ، وقد نَسيتُ أَن أَستأْذِنَ عندَ أَخذِ الطائرِ الذهبىِّ ، وسافرتُ سَبْعَمائةِ ميل ؛ للبحثِ عن هذا الطائرِ حتى وجدْتهُ ، وقد وصفهُ الطبيبُ لأَبى الذى يُعانى آلامَ المرضِ . وعليه يتوَقفُ عِلاجُه وشِفاؤُهُ من مَرضه الشديدِ . فأَرجو المعذرةَ ، ولا تَظنُّوا بى السُّوءَ . فإِنَّ أَبى من النبلاءِ ، وأَنا من أُسرةٍ نَبيلةٍ .



الابن النبيل ، وقد أمسك بالقفص ، وفيه الطائر
الذهبي ، وقد بدأ يغرد ويفتح فمه

فقالوا لهُ : « إِننا لَنْ نقبضَ علَيْكَ ، وسنَسْمَحُ لكَ بالذِّهابِ ، وسنُعطِيكَ الطائرَ الذهبيَّ إِذا استطَعت أَن تُحضِرَ لنا الأَميرةَ المحسنةَ .

فترَكهُمُ الشابُّ وهوَ حزِينٌ ، يكادُ[1] يَبْكى ، ولا يَعْرفُ ماذا يفعلُ : ولا يَعْرفُ أَيْنَ الأَميرةُ المحسنةُ ، ثمَّ رجعَ بغيْرِ الطائرِ ، وقابَلَ الأَرنَبَ ، وهىَ تأْكلُ بعضَ النباتِ فى حديقةِ القصرِ .

فَسَأَلتهُ الأَرنَبَ : لماذا أَراكَ حَزيناً كئيباً[2] تكادُ تبكى أَيها الصَّديقُ ؟

فأَجابهَا الشابُّ : إِنى حَزينٌ لأَنَّ الخَدمَ فى القصرِ لم يَسمحوا لى بأَخذِ الطائرِ الذهبىِّ إِلا إِذا أَحْضرْتُ لهمْ بدلًا منهُ الأَميرةَ المحسنةَ . ولا أَعرفُ عنها شَيئاً.

فقالَتْ لهُ الأَرْنبُ : إِنكَ قَد خالَفْتَ نَصيحتى ، ولم تَضَعِ الطائرَ فى القفصِ الحديدى الجميلِ ، بل

(١) يقرب . (٢) حزينًا .

وضعْتَه فى القفَصِ الذهبىّ ، وقد حَذَّرتُكَ أَلا تضَعهُ فيه ؛ لِئلَّا يُحِسَّ بكَ سُكانُ القَصْرِ ، فيَقْبِضُوا عليْكَ. ولو اتَّبعْتَ نَصِيحَتى ما حدثَ لكَ ما حَدَثَ .

فَقالَ الشابُّ : هذا ما حدثَ تماماً ، وإِنى أَسِفٌ لأَنِّى نسيتُ النَّصيحَةَ ، ولَمْ أَعْمَلْ بها . ولا أَعْرِفُ الآنَ ماذا أَفعلُ حتَّى أُحِضرَ لهم الأَميرَةَ الْمُحْسِنةَ .

فقالتْ له الأَرنب : لا تَيْأَسْ ، ولا تَقنَطْ [١] مِنْ رحْمَةِ الله ؛ فإِنَّ الأَميرةَ الْمُحسِنةَ فَتاةٌ مُحسنةٌ حَقًّا ، تُحبُّ الْفُقراءَ ، وتَميلُ إِلى الإِحسانِ إِلَيهم ، وهى صَغيرةٌ جَميلةٌ ، تَسكُنُ عَلَى بُعدِ ثَمانينَ ومائتَىْ مِيلٍ ، فَاركبْ فوْقَ ظَهرِى حتَّى نَذهبَ إِلَيها .

فَرَكِبَ الشابُّ عَلَى ظَهر الأَرْنبِ ، وأَخذتْ تَخْطُو خَطْوةً خَطوة ، وكُلُّ خَطوةٍ تَخْطوها بسبْعةِ أَميالٍ ، فلَمْ تَمكُث وَقْتاً طَويلاً فى الوُصولِ إِلَى الجهةِ

---

(١) تيأس .

الَّتى تَسكُنُها هٰذه الأَميرةُ الْمحْسنة .

وَقفَت الأَرنبُ بِالشابِّ عَلَى شاطئ بُحْيرة ، ثُمَّ قالتْ لَهُ : إِنَّ الأَميرةَ الْمُحسِنةَ سَتأْتِى لِتَستَحِمَّ هُنا فى البُحيْرَة مَعَ صَديقاتِها ، وَمَلابسُها بَيْضاءُ ، وهى أَصْغرُهنَّ وأَجْمَلُهنَّ جَميعاً . ويُمكنُكَ أَنْ تَنتظِرَ هنا حتى تَحضرَ مَعهُنَّ ، وتَنْزِلَ لِتَستحِمَّ فى البُحيرَةِ ، وتَترُكَ مَلابِسَها على الشاطئ ، وتنزِل بملابِس الاسْتحْمام . فخُذْ مَلابِسها وَأَخفِها بينَ الصُّخورِ . ولا تُعطِها إِيَّاها إِلَّا إِذا رضِيَتْ أَنْ تَسيرَ مَعَكَ وتَتبَعَكَ فى رِحْلَتِكَ : وَسأَذهَبُ أَنا لِأَتناولَ شَيئاً مِنَ الطَّعامِ ، ثم أَرجع إِلَيكَ بعدَ قَليل . تركَته الأَرنبُ لتأْكلَ بعضَ النَّباتِ من الحديقةِ ، وذهب الشابُّ واختبَأَ[1] على شاطئ البُحَيْرَة ، حتى حضرتِ الأَميرةُ المحسِنةُ مع صاحباتِها ، وخَلعتْ مَلابِسَها الْخارجيةَ ، ونزلت بِملابس البحرِ

(١) استتر .



الفتيات يستحممن فى البحيرة ، ويلعبن فيها

لِتَسْتحِمَّ فى البُحَيْرَةِ ، فتَسَلَّلَ الشابُّ[١] بِهدوءٍ حيثُ لا يَراهُ أَحدٌ ، وأَخذَ ملابِسَها وأَخفاها بعيدا تحتَ صَخْرةٍ من الصُّخورِ .

وقد مكَثَت الأَميرةُ المُحسنةُ تستحِمُّ وتلعبُ فى البُحَيرَة مع صديقاتِها مُدَّة لَيْست بِقَصِيرَةٍ حتى تعِبتْ ، وخرجَتْ من الماءِ لِتَلْبَس ملابِسَها ، وأَخذتْ تبْحَثُ عنها فى كُلِّ مَكانٍ فلم تجدْها ، وساعدتْها صديقاتُها فى البحْثِ عنها بغَيْرِ فائدَةٍ . وحَارتْ فى أَمْرِها ، وكيفَ ترجعُ إلى بيتِها بملابِسِ البحرِ؟ وفى النهايةِ وجَدتْ صديقاتُها أَنَّه لا فائدَةَ مِن البحثِ ، فأَوْصَيْنَها بالانتظارِ حتى يُرسِلْنَ إليْها بعضَ الملابِسِ ، وتَرَكْنَها وَحْدها على شاطىءِ البُحَيرةِ وهِىَ تَبْكى .

فاقترَب منها الشابُّ وسَأَلَها : لماذا تَبكينَ ياسيِّدتى؟

فأَجابتْهُ : حِينما كنتُ أَسْتحمُّ فى البُحَيرة سرَقَ

---

(١) خرج .



الشاب على شاطئ البحيرة وهو يقدم للأميرة المحسنة ملابسها

شابٌّ مَلابِسى ، وقد بحثْتُ عنها أنا وصدِيقاتى مُدَّةً طويلةً فَلم نجِدْها ، ولم نرَلها أثرًا .

فقال لها الشابُّ : سَأَجدُ لكِ ملابِسَكِ إذا وعدْتِنى بالذَّهاب معى ، ومُصاحَبَتى فى رِحلَتى لإِنقاذِ أَبى من مَرَضِه .

فوافقَت الأَميرةُ على أَن تذهب معهُ ، وتتبْعَه فى سفرِه .

فذهبَ الشابُّ وأَحضرَ ملابسَها مِن تَحتِ الصُّخورِ وقدَّمَها لها ، ثمَّ اشْترَى لها مُهْرًا صَغيرًا لِترْكبَه ، ويجرىَ بها كالرِّيح ، وأَخذتْهما الأَرنَبُ ثانِيةً إِلى القَصرِ الَّذى يعيشُ فِيه الطائرُ الذَّهَبى .

وحِينما اقْترَبوا مِنهُ قالت الأَرنَبُ لِلشابِّ : يجبُ أَنْ تَحترِسَ هذه المرَّةَ كلَّ الاِحْتِرَاس ، وأَلَّا تَفْعلَ ما فعلْتَ فى المرَّةِ الماضِيةِ . وَاجتهدْ أَنْ تُنَفِّذَ الخُطةَ الَّتى أَرسُمُها لَكَ حَرْفيًّا . فأَصْغِ إِلَىَّ حتى تَسْتطيعَ الحُصول عَلَى الطَّائِرِ الذَّهَبِىِّ ، وإِنْقاذَ الأَميرةِ الْمُحْسنةِ ؛ لأَنَّ خَدَمَ الْقَصرِ يُريدونَ أَن يَأْخُذوها لِأَميرِهم ، وهُوَ

صاحبُ ذلكَ الْقَصرِ . وهذِه وَصِيتى : «خُذ الْقَفَصَ الذَّهبيَّ فى يَدِكَ الْيُمنَى خالياً ، وضَع الطَّائرَ فى القَفَص الْحَديدىِّ ، ثُمَّ احْمِلْهُ بِيَدِكَ اليُسرَى . وثِقْ بأَنَّ الخَدَمَ لنْ يرَوْكَ ، ولنْ يَلحَظُوكَ » .

وقد نَفَّذَ الشابُّ خُطَّةَ الْأَرنبِ حَرْفيًّا ، فلَمْ يَلْحَظهُ الْخَدمُ وهوَ خارجٌ بالطَّائرِ الذهَبيِّ ومَعَهُ الأَميرةُ الْمُحسِنة ، وخرَجوا مِن حَديقةِ القَصر . وسارَت الأَرْنبُ معَ الشابِّ والأَميرةِ ، حتى وَصلوا جَميعاً إلى الفُنْدُقِ الذى حُجِزَ فِيه الأَخَوان الكَبِيرانِ رَهْناً حَتى يَدْفعَا ما عليهما منَ الدَّينِ . فدَفَع الأَخُ الأَصغرُ الدَّينَ ، وأَطْلق سَراحَ أَخَوَيْه .

وهُنا وَدَّعَ الشابُّ الأَصغرُ الأَرنَبَ ،وشَكَرَ لَهامُروءَتَها ومُساعدَتَها شُكرًا جَزِيلاً ، ثم وَدَّعتْه الأَرنب واخْتفَت ، وذَهبتْ إلى حالِ سبيلها ، وسافرَالإِخْوةُ الثلاثةُ ومعَهمُ الْأَميرةُ المُحسنةُ التى وَعدتْ بأَنْ تَتْبعَ الأَخَ الأَصغرَ.

وقد غارَ الأَخَوانِ الكبيران مِنْ نجاحِ أَخِيهما الأَصْغرِ فى رِسالَته ، والحُصولِ على الطائرِ الذهبيِّ لِمعالَجَةِ أَبيهِ بِتغريدِه الموسيقيِّ ، وصَمَّما فى نفسَيْهما على التخلُّصِ منْهُ فى الطَّريق ، فرَمَياهُ فى بُحيْرَةٍ مَرُّوا بِها ، وأَخذا منْه الطائرَ الذهبيّ ، وتَركاهُ مُلْقًى فى البُحَيرةِ ، ظَنًّا أَنه قدْ غَرِق وانتهَى . اسْتمرَّ الأَخَوان الكبيران القاسيانِ فى رحْلتِهما ، وأَخذا معَهما الأَميرةَ المحسنةَ ، وقد اعتقَدا تَمام الاِعْتقادِ أَنهُماتَخلَّصا منْ أَخيهما : وكان مِن حُسْنِ حظِّه أَنْ أَمْسك ببعْضِ أَعْشابِ شَجرِ البرْدِىِّ حينما وَقعَ فى البُحَيْرَةِ .

وبعدَ أَن تركَهُ أَخَواه أَخذ يَسْتغيثُ بِصوْتٍ مرتفِعٍ ويَطلبُ المساعدةَ قائلاً : أَغِيثونى ، أَغيثونى قَبلَ أَنْ أَغْرقَ . فسمِعتْه الأَرنبُ ، وحضرتْ إِلَيهِ تَجرى وقالتْ لهُ : أَمْسكْ برِجْلى حتَّى تَخرُجَ منَ الماءِ ، فأَمسكَ برجلِها وأَخرجتْه سالِماً على شاطئِ البُحَيرةِ ، ثم

نَصَحتْ لهُ بِهٰذهِ النصيحةِ ، وأَمرَتْه أَن يُنفِّذَها حَرْفيًّا وقالتْ لهُ : غَيِّرْ ملابسَكَ ومَظهرَك ، والْبَسْ ملابسَ قُدَماءِ المِصريِّينَ مِنَ الفراعِنةِ ، واذهبْ إلى بَيتِ أَبيكَ مُدَّعياً الْفَقرَ والحاجةَ إلى العمَل ، واعْمل خادماً فى الإِصْطَبل ، وغيِّرْ شَكلَك حتَّى لا يَعرِفَك أَبوك ، واستمِرَّ فى خِدمتِه حتَّى يَأْتِيَ الوَقتُ الذى يعرِفُ فيهِ أَبوكَ الحقيقةَ .

نَفَّذَ الشابُّ خُطَّةَ الأَرنبِ ، وذهبَ إلى قصْرِ أَبيه ، وقد غيَّر مظْهرَه وشَكله وملابسَه ، وعرَضَ نفْسَه للْخِدْمةِ ، ولوْ سائساً فى الإِصطبْل .

فَأَجابَ أَبوه ـ وقد تمَّ شِفاؤُه ، ولَمْ يَعرف ابْنَه الوَفىَّ ـ إِنَّنا فى أَشَدِّ الحاجةِ إلى سائس ، ولٰكِنَّ عِنْدَنا حِصاناً لا يَسْمَحُ لِأَحدٍ بأَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، وقَدْ رَفَسَ مِنْ قَبْلُ كَثيرينَ مِنَ السَّائِسِين ، فقَتلَهُم جَميعاً : لِأَنَّهم حاوَلوا أَنْ يَسُوسُوه .

فَقالَ الشّابُّ : سَأَتكَفَّلُ وأَتعَهَّدُ بأَنْ أَسُوسَه ، فليْسَ هُناكَ حِصانٌ لا أَسْتطِيعُ تَدْرِيبَه وتَهذِيبَه وركوبَه ، ثمَّ ذَهبَ إلى الْحِصانِ الجامحِ ، وأَخَذ يمسَحُ لهُ رقبتَه ، فعرَفَه ولَمْ يُحرِّكْ رَأْسَه ، ولَمْ يرْفِسْهُ كما رَفَسَ غَيره ، ثمَّ رَكِبَه مَسافةً طَويلة ، ثمَّ رَجعَ بهِ وهُوَ هادِئٌ لا عَيْبَ فيه .

فَهنَّأَهُ الأَبُ النَّبيلُ الكبيرُ السِّنِّ بنَجاتِه وسأَلَهُ : كيفَ سَمَحَ لَكَ بأَنْ تَمَسَّهُ؟ وكَيفَ سَمَحَ لكَ برُكوبِه ؟ ولَمْ يَسْمحْ لِأَحَد مِنْ قَبْلِك أَنْ يَقترِبَ مِنْه ، وقد اعْتادَ أَنْ يرْفِسَ كُلَّ مَنْ يَقْترِبُ مِنْه .

فأَجابَهُ الشَّابُّ : إِنَّه لَمْ يرْفِسْنى ؛ لِأَنَّه يَعْرفُنى كلَّ الْمَعْرِفةِ ، ويَطمئِنُّ إلَيَّ كلَّ الاطمئنان .

وبَعدَ ثلاثَةِ أَيَّامٍ قالَ لهُ الْأَبُ الْكبيرُ السِّن : إنَّ هُنا فَتاةً جَميلةً كَجمَالِ الصَّباحِ ، ولٰكِنَّها شاذَّةٌ شِرِّيرَةٌ تُهين كلَّ مَنْ يُكلِّمها ، وتَضرِبُ كلَّ مَنْ

يَقْتربُ مِنها ، فحاوِلْ أَنْ تَسُوسَها كما سُسْتَ الحِصانَ الجامِحَ ، وتُهذِّبها كما هَذَّبْتَه .

اسْتأْذَنَ الشَّابُّ ودخَلَ الْحُجْرَةَ الَّتى بِها الْفَتاةُ والطَّائر الذَّهَبِىُّ ، فأَخذَ الطَّائرُ الذّهبى يُغَرِّدُ تَغريدًا سَارًّا بصَوْتٍ عَذْبٍ جَميلٍ ، وظَهَرَ الفَرَحُ والسُّرُورُ على الفَتاةِ ، وأَخذَتْ تُغنِّى أَيْضاً بصَوتِها العَذْبِ الْمُطْرِبِ الجميلِ .

فَعَجِبَ الْأَبُ كلَّ العَجَبِ ، وسأَلَ : ما هٰذا ؟ لَقدْ قُلتَ بالأَمْس إنَّ الحِصَانَ الجَامِحَ يَعْرِفُكَ فأَطاعَكَ وخَضَعَ لكَ ، ولَمْ يَرْفِسْ كَعَادتِه ، فَهلْ يَعْرِفُكَ هٰذا الطّائرُ الذّهَبِىُّ حتَّى يغرِّدَ حِينما يَراك ؟ وهَلْ تَعْرِفُكَ هٰذه الفتاةُ حتَّى تَفْرَحَ بلِقَائِكَ ، وتُغنِّىَ لكَ بِصَوْتِها العَذْبِ الجميل ؟

فأَجابَ الشَّابُّ : نَعمْ ، إنّ الفَتاةَ تَعْرِفُنى كلَّ المَعْرِفَةِ ، وإنَّ الطَّائرَ الذَّهبىَّ يَعْرِفُنى أَيْضاً . وفى

اسْتطاعَةِ الفتَاةِ أَنْ تَقُصَّ عَليْكَ يا سيِّدى العَزيز الْحقيقةَ كُلَّها إذا أَرادتْ ، ولَمْ تَجدْ ما يَمنعُها مِنَ الاعْتراف بِها .

ذَكَرَتِ الفَتَاةُ كلَّ ما حَدثَ ، ولَمْ تَجدْ غَضَاضةً مِنَ الاعْترافِ بالحقيقة ، وشَرَحَتْ قِصَّتَها معَ الشّابِّ الذى أَخْفَى مَلابسَها ، وكَيْفَ رَضِيَتْ أَنْ تَتْبَعَه وتَذْهَبَ مَعهُ بَعدَ أَن اسْتوْلَى على الطائرِ الذهَبىّ ، وأَخبرتْهُ بأَنَّ هذا هُوَ الشّابُّ ، وأَنَّهُ أَطْلَقَ سَراح أَخَوَيه الكبيريْنِ مِنَ السِّجن ، وسَدَّد ما عليْهِما مِنَ الدَّينِ . وقَدْ كانَا سَجينينِ فى الفُنْدُقَ حتَّى يَقُوما بِدَفْعِ ما عليْهِمَا مِنَ النُّقودِ ، وقَدْ كانَتِ الْمكافأَةُ الَّتى كافأَهُ بها أَخَواهُ أَنْ أَلْقَيَاهُ فى البُحَيْرَةِ ؛ ليَقتُلاهُ ويَتَخَلَّصَا مِنْه ؛ فَقَدِ اشْتَدَّتْ غَيْرَتُهما وحِقْدُهما على أَخيهِما ؛ لِأَنَّهُ تمكَّنَ مِنَ الحصولِ على الطّائرِ الذهَبىِّ دُونَهما .

وَهُنا تكلمَ الابنُ الأَصْغَرُ ؛ وقدِ اضْطُرِرْتُ يا أَبِى



الأب النبيل ، ومعه شاب نبيل وهو ابنه ، وأميرة تتكلم مع الأب ، وفى يد الشاب طائر يغرد وهو فى قفصه

إلى أَن أَتَسَتَّرَ وأُغيِّرَ مَلابِسى ، وأُخفى نَفْسِى ، وأَقبل الْخِدْمَةَ فى الإِصْطبلِ حتَّى تَثبُتَ لكَ الحقيقةُ ، وتَعْرفَ ما حدثَ .

عانَقَ الأَبُ ابنَه الوَفِىَّ البَارَّ المخلِصَ الأَمينَ ، الشُّجاعَ النَّبيلَ ، ووَعَدَ بأَن يُعطيَهُ جَميع ثَرْوَتِه وأَمْلاكِه ، وطَرَدَ ابنَيْهِ الآخَرَينِ الكبيرَين ، فَقدْ غَشَّا أَباهُما ، وتمَنَّيَا لهُ المَوْتَ ، وحاوَلا أَنْ يَقْتُلا أَخاهُما حِقْدًا وحَسدًا ، ورَجا الابنُ الأَصْغَرُ أَباهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ أَخَويْهِ الكبيرَين ، وَيَغْفِرَ لَهُمَا خَطاياهُما ، ويَصْفح عَنْ سَيئاتِهما . فَقبلَ الأَبُ وقَدَّرَ لِابنه الأَصْغَرِ نُبْلَه ، وكَرَمَ خُلُقِه وتسامُحَهُ ، بعدَ أَن حاوَلا قَتْله ، وهِىَ جَرِيمَةٌ لا تُغْتَفَرُ .

وعَرَضَ الأَبُ على ابنِه الأَصْغَرِ أَنْ يَتزوَّج الأَميرةَ المحسنةَ ، فَقَبِلَ الابنُ ، وقبِلَت الأَميرةُ ، وكُتِبَ إلى أَبيها ، فوافقَ على الزَّوَاجِ ، واجتَمَعَت الأُسرتان ،

وتَزَوَّجَ الشَّابُّ النبيلُ الأَميرة المحسنة . وأُقيمَت الأَفراحُ ، وعاشَ الزَّوْجانِ فى سَعَادةٍ وهَناءَةٍ وتوفِيق .

أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى وصفه الطبيب لعلاج الأب المريض ؟
(٢) هل استطاع الابن الأكبر الحصول على الطائر الذهبي ؟
(٣) ماذا فعل الابن الأوسط ؟
(٤) كيف كان شعورهما نحو أبيهما المريض؟
(٥) بماذا تصف شعور الابن الأصغر نحو أبيه؟
(٦) اذكر ما قاله الأخ الأصغر لأخويه الكبيرين .
(٧) لماذا لم ينجح الابن الأصغر فى الحصول على الطائر الذهبي فى المرة الأولى ؟
(٨) ما السبب فى نجاحه فى المرة الثانية ؟
(٩) كيف كان شعور الأخوين الكبيرين نحو أخيهما الأصغر ؟
(١٠) كيف نجا الأخ الأصغر من الغرق ؟
(١١) هل عرف الأب الحقيقة ؟ وكيف عرفها ؟
(١٢) بماذا كافأ الأب ابنه الأصغر ؟
(١٣) ما العقوبة التى يستحقها الأخوان الكبيران ؟
(١٤) بماذا تصف شعور الأخ الأصغر نحو أخويه الكبيرين ؟
(١٥) ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟
(١٦) اذكر هذه القصة بعبارة من عندك .
(١٧) ضع عنوانين آخرين لهذه القصة .
(١٨) ما الأخلاق التى ترمى إليها هذه القصة ؟

القِصة الثانية

ناقُوسُ الْعَدالةِ

فى قديمِ الزَّمانِ اشترَى أَحدُ الْمُلوكِ [١] المعروفينَ بالْعَدالةِ ناقُوساً كبيرًا ، وأَمرَ بتعْليقهِ فى سُوقِ المدينةِ فى مكانٍ خاصٍّ يجلسُ فيهِ القُضاةُ للْحُكم بينَ الناسِ بالْعَدْل. وقد عُلِّقَ فى ذلكَ النَّاقُوسِ حبلٌ طويلٌ يَقْرُبُ مِنَ الْأَرضِ ، يَسْتطيعُ أَنْ يَصِلَ إليهِ أَصغر الأَطْفالِ ويَشُدَّهُ ؛ فيُسْمَعُ النَّاقوسُ ، وقد سَمَّاه الْملك : ناقوسَ العدالة .

وحِينما أُعِدَّ الْمكانُ ورُكِّبَ النَّاقوسُ دَعا الملِكُ الأُمراءَ والوزَراءَ ، ورجالَ المدينةِ ونِساءَها وأَطْفالَها لرُؤْيَةِ ناقُوسِ العدالةِ ، والاِحْتفالِ بِوَضْعِه . وكان ذلكَ الناقوسُ جَميلًا مَصْقولًا بَرَّاقَ اللَّوْنِ ، أَصْفرَ كالشَّمس

(١) هو ملك (أتْرِى) وهى مدينة قديمة فى إيطاليا .

ثُمَّ أَقبلَ الملكُ ، واشتاقَ الْجميعُ لِسَمَاعِ النَّاقوسِ وهوَ يدُقُّ ، ووَقفُوا ساكنِين ينْتظِرُونَ دَقَّ النَّاقوسِ ، ولٰكنَّ الْملِكَ لَمْ يَدُقَّه ، ولَمْ يَمَسَّ الحَبْلَ بيَدِه ؛ بلْ وَقفَ ورَفعَ يدَهُ ينْشُر بينَ شعْبِه الرِّسالةَ الآتية :

« شَعبيَ العزيزَ ! هلْ تَروْنَ هٰذا الناقُوسَ الْجَميلَ؟ إنه ناقوسُ العدالةِ ، وَيجبُ أَلَّا يَمَسَّهُ ولا يدُقَّهُ إلَّا مَنْ ظُلِمَ . فإذا ظُلِمَ أَحدُكم فى أَىِّ وقْتٍ من الأَوْقاتِ فلْيأْتِ ، ولْيدُقَّ الناقوسَ ؛ حتى يجتمعَ القضاةُ فى الحالِ ، ويبحَثُوا قضيَّتَهُ وشكْواه ، ويُنْصِفوهُ مما لَحِقهُ من ظلمٍ ، لا فرْقَ بينَ غنِىٍّ وفقيرٍ ، وكبيرٍ وصغير ، وعَظيمٍ وحقير ، فَلِكلِّ فَرْدٍ من الرَّعية أَنْ يُبدىَ ظُلامتَه ، ويطالِبَ بحقِّه . ولكنْ يجبُ أَلَّا يَمَسَّ الحَبْلَ أَحدٌ إلَّا إذا عَلِمَ حقَّ العلمِ أَنه مظلوم يستحق الإنْصافَ ورفْعَ الظُّلمِ عنْه ؛ لأَننى أَعْرِفُ تماماً أَن الظُّلمَ مُثِير مُؤْلمٌ للنُّفوس ، ولا يؤلم الإنسانَ

أَكثرُ من الشعورِ بالظلمِ » .

انتشرت العدالةُ بين الرعيَّة ؛ فَكثيرًا ما دُقَّ الناقوسُ فى السوقِ لاستدعاءِ القضاةِ ، وإنصافِ المظلومينَ . وكثيرًا ما عوقِبَ الظَّالمونَ ، وأُنصِفَ الْمظْلُومُونَ ، وأُعيدَ الحقُّ إلى نِصابِه .

ولكَثْرَةِ اسْتِعْمالِ الحَبْلِ وكَثْرَةِ الْقَضايا صارَ الْحبْلُ قَديماً بالياً ، وتَقَطَّعَ مِنْهُ الْجُزْءُ الأَسفَلُ ، حَتى أَصبحَ قَصيرًا لا يُمكنُ أَن يَصِلَ إِليْه إِلَّا الطِّوالُ منَ الرِّجال .

وَذاتَ يَوْمٍ رَأى القُضاةُ الْحبْل فلَحَظوا أَنُه صارَ قصيرًا لا يستطيعُ الأَطفالُ أَن يصلوا إِليْه ؛ فإِذا لَحِقَ بِأَحدِهِم ظُلْمٌ فى يَوْمٍ مِنَ الأَيامِ فماذا يَفعَلُ ؟ إِنُه لا يَسْتطيعُ أَن يَدُقَّ الناقوسَ فيَعْلَمَ القُضاةُ بُظلامَتِهِ . فأَمَرُوا بوَضعِ حبْلٍ جديد يُعلَّقُ بحيْثُ يَقرُبُ من الأَرضِ ، حَتى يستطيعَ أَصغَرُ الأَطفال أَن يصلَ إِليْهِ ، وَلَكنَّ القُضاةَ لم يَجدوا حَبْلًا فى ذلكَ الوقتِ ، فأَرسَلوا يَبْحَثونَ عنْ حَبل ليَشْتروهُ . ولكنْ

ماذا يفعَلُ القُضاةُ حتى يصلَ الحبْلُ ؟ قالَ أَحدُ الواقفينَ : « دَعونى أَرْبطه لَكم ، حَتى نـأْتىَ بحبْلٍ جَديد » . ثمَّ جرَى إلى حَديقتِه القريبةِ مِن السُّوقِ ، وسرعانَ ما رجَع وفى يَدِه فَرْعٌ طويل منَ الْحديدِ ، ثمَّ صَعِدَ وربَطَ ذٰلكَ الفَرْعَ فى الناقوسِ وقالَ : « إِنه يَكْفى كَحبْل الآنَ » . وبهذا تدَلَّى فرْعُ الحَديدِ حتى وصلَ إلى الأَرضِ .

كانَ فى جهة جبَليَّةٍ من القَرْيةِ يَعيشُ رَجُلٌ هَرِمٌ كَبيرُ السنِّ ، قَضَى حياتَه فى أَعْمالِ الشَّجاعَةِ والفُرُوسيةِ ، وسافرَ إلى كَثير من الأَقطارِ ، وقاتلَ فى كَثيرٍ من المواقعِ ، وكانَ أَعزَّ شيءٍ لَدَيْه فى ذٰلك الوَقْت جَوادُه (حِصانُه) الأَصيلُ الذى أَنقَذَهُ من كَثيرٍ منَ الْمخاطِرِ.

ترَكَ ذٰلكَ الرَّجُلُ الاِشْتراكَ فى القتَالِ ، وأَعمال الفُروسيَّةِ والشجاعةِ لضعفِه وكِبَرِ سِنِّه : وتَغَّيرَت نَزْعَتُهُ إلى نَزْعة أُخرى هىَ حُبُّ المالِ وَجمْعُه ، فـأَخَذَ لا يُفكِّرُ إلَّا فى كَنزِ الذهبِ والفِضَّةِ ، والبخْل والتَّقتيرِ

وعاشَ فى كوخٍ صَغيرٍ ، وأَخذَ لا يفكر إلَّا فى الذهَبِ والفِضَّةِ ، وَأَحْسنِ الوَسائلِ للْحُصولِ عَليْهما . كلُّ ذٰلِكَ وجَوادُه (حِصانُه) مُهمَلٌ فى إِصطبْلِ الخَيْلِ ، يَكادُ يمُوتُ جوعاً ، ويرْتعِدُ منْ شِدَّةِ البردِ .

وذاتَ صباحٍ أَخَذ البَخيلُ يُحَدِّثُ نفْسَهُ : ما الفائدةُ فى إِبقاءِ هٰذا الْجَوادِ ؟ ما الفائدَةُ فى الْإِنفاقِ عَليْهِ ، لقَدْ كَبرَت سِنُّه ، وصارَ عاجزا عنِ السباقِ . ففكَّرَ فى أَن يُعطِيَه هَديَّة لمَنْ يَرْغَبُه . ولَكن مَنْ يَرْغبُ فى مِثل هذا الجَوادِ الآنَ ؟ وأَخِيرًا صمَّمَ على أَن يَطْرُدَهُ ، ويُطلقَ سَراحَه ، ويَدَعَه يلتقِطُ الأَعْشابَ على جَانبَىِ الطَريقِ .

أَخذَ الحِصانُ يبحثُ عن طعامٍ له فى الطَّريقِ بينَ الصخورِ ، فى تلكَ الجهةِ الجَبليةِ الجرداءِ ، فلم يجدْ شَيئاً ، حتى كاد يموتُ جوعاً ، وتتحقَّقُ رَغبةُ البخيلِ فى مَوتِه . أَخذَ يسيرُ فى الطريقِ والضَّعفُ يَظهَرُ

عليه ، والمرضُ يُلازمُهُ ، والأَولادُ يرمونهُ بالحَصى حيناً ، والحجارةِ أَحياناً ، والكلاب تُطاردُه وتنبحُ وراءَه ، ولم يَجدْ أَحدًا يعطفُ عليْه ، أَو يتأَلمُ لهُ ، وكان إذا وَجد شيئاً من الأَعْشابِ أَقبلَ عليها ليأْكلَها ، حتى يزيل آلامَ الجوعِ .

وقد حدثَ فى ظَهيرَةِ يَومٍ اشتدَّ حَرُّه ؛ وانقطعَ فيه المارُّون فى الطريق أَن ضلَّ الحِصانُ ، حتى وَصلَ إلى السوقِ الذى أُقيم فيه ناقوسُ العدالةِ . ولم يكن هُناك طفلٌ ولا رجُلٌ ، فإنشدةَ الحرارة أَلزمتِ الناسَ بيوتَهم.

وَجدَ الحِصانُ أَبوابَ السوقِ مفتوحةً فدخلَ ، وأَخذَ يَجولُ هُنا وهُناك كما يشاءُ ، ثم رأَى فرْعَ كَرْمٍ مُتَدَلِّيًا قريباً من ناقوسِ العَدالةِ ، وأَوراقُه خضراءُ ، ففرِحَ الحيوانُ المِسْكينُ بهذا الغذاءِ اللذيذِ ، ومدَّ رقَبَتهُ ، وَأَخذَ يَجذِبُ فرْعَ الكَرْمِ (شَجر العنب) إليه ، ويَشُدُّهُ ، فوجدَ صُعوبةً فى قَطعِه ، فأَخذَ

الناقوسُ يدُقُّ وهوَ يَجْذِبُ الأَوراقَ فى فمهِ ليأْكلَها ، فسمِعَهُ سُكانُ القريةِ ولسانُ حَالِه يقولُ : « لقد ظَلمنى صاحبى ، فاحضُرُوا أَيها القُضاةُ ؛ لتسمعوا قضيَّتى وظُلامَتى ؛ فقد عومِلتُ مُعاملةً ظالمةً ، ونسِىَ صاحبى أَيامَ قُوَّتى وَشدَّتى » .

سَمِعَ القُضاةُ الناقوسَ ، فلبِس كلٌّ منهم رداءَهُ ، وخرجوا من ديارِهم والشوارعُ كأَنها نار تَتلظّى من شدَّةِ الحرّ ، وذهَبوا إِلى السوقِ حَيثُ ناقوسُ العَدالَةِ . وأَخذوا يُسائلون أَنفسَهم فيمنْ يدُق الناقوسَ فى مثلِ ذٰلك الوقتِ الشديدِ الحرّ .

وحينما اجْتازوا بابَ السوقِ رَأَوا الجَواد المِسكينَ يَأْكلُ فرْعَ الكَرْمِ ، فقال أَحدُ القُضاةِ : « إِنهُ جَوادُ البخيلِ ، لقد أَتى يُطالبُ بالعَدالةِ ، فإِن صاحبَه قد عامَلَهُ مُعاملةً ظالمةً » .

وقالَ قاضٍ آخرُ : « إِنَّ هٰذا الحيوانَ قد رفعَ شَكواهُ



الحصان الجائع يدق ناقوس العدالة مطالباً بحقوقه

يَتطلَّبُ العَدالةَ . كما يتطلبُها أَىُّ حيوانٍ أَخرَس » .

وَقالَ الثالثُ : « إنهُ سيَرَى العَدالةَ ، وسنُعطيه حقَّهُ ونُنصفُه مِمَّن ظَلمَه » . وفى خِلال ذلك حضرَ كثيرٌ من الرجالِ والنساءِ والأَطفال ، لِمَعْرِفةِ ما حدَثَ ، ومُشاهدةِ المظلومِ الذى يَشعرُ بالظُّلم .

وَقفَ الجميع فى دهْشةٍ واسْتغرابٍ حينما رأَوْا ذلك الجوادَ ، ثمّ أَخذَ كلٌّ منهُم يَقصُّ على الآخرِ أَنهُ رآهُ فى الطريق ضالاً بغَيْرِ طَعامٍ ، ولم يجدْ منْ يُعْنَى بهِ ، أَو يَهتمُّ بِشئونهِ ، فى حينِ أَن صاحبَهُ جَلسَ فى كوخهِ يُحْصى ما كنَزَ من الفِضَّة والذهَب .

أَمَرَ القُضاةُ بإِحضارِ البَخيلِ أَمامَهُم ، فحضَرَ ، وأَمرُوهُ بالوُقوف ليَسْتمعَ قضاءَهُم فِيه ، فقالَ كَبيرُ القُضاةِ : « إنَّ هٰذا الجوادَ قدْ خدمكَ خيْرَ خِدمةٍ أَيَّامَ قُوَّتِه وشَبَابهِ ، وقد أَنقَذَكَ من كَثيرٍ من المخاطرِ ، وَساعدَكَ فى كَسب تلكَ الثرْوَةِ الكبيرة التى جَمعْتَها .

وفى النهايةِ أَهْمَلْتَهُ كلَّ الإهمالِ ، وحَرَمْتَهُ كلَّ الحِرمانِ ، وتركْتَهُ ضالاً فى الطَّريقِ بِغَيرِ طَعامٍ ، ولم تُفكِّرْ فى الماضى وفيما يجبُ عليكَ نَحوَهُ . ولهذا كُلِّه نأْمُرُ بإعطائِهِ نِصفَ ما لَدَيكَ مِن المالِ : لِنَشْتَرى بهِ طَعاماً له ، ومَأْوًى يَقيهِ حَرَّ الشَّمْس وبرْدَ الشِّتاءِ ، ومَرْعًى أَخْضَرَ يُمكِنُه أَنْ يَرْعَى فيهِ متى شاءَ ، ومَكاناً دافئاً يَسْتَريحُ فِيهِ فى كِبَرِهِ .

فَطأْطَأَ البَخيلُ رَأْسَهُ ، وَحَزِنَ عَلَى فَقْدِ نصْفِ مالهِ ، وعَلَتْ أَصْواتُ المجتمِعِينَ بالفَرَحِ والسُّرُورِ ؛ لإنْصافِ ذلكَ الحيَوانِ الْمِسْكينِ من سيِّدهِ البَخِيل ، وعُيِّنَ لهُ راعٍ يَقُودُهُ إلى مَأْواهُ (إصْطَبله) ويُطعِمهُ ويَسْقِيهِ ، ويأْخُذهُ إلى المَرْعَى ، ويُعيدُهُ إلى المَأْوَى ، ويُعْنَى به الْمُدَّةَ الباقيَةَ منْ حَياتِه .

أسئلة فى القصة :

(١) لماذا دعا الملك الوزراء والأمراء ورجال المدينة ؟

(٢) ماذا قال الملك فى رسالته إلى شعبه عند الاحتفال بتركيب ناقوس العدالة ؟

(٣) لماذا أمر القضاة بوضع حبل جديد للناقوس ؟

(٤) ماذا فعل الحصان بفرع العنب الذى كان متدليًا بالقرب من ناقوس العدالة ؟

(٥) اذكر ما قاله كل قاض من القضاة الثلاثة حينما رَأوا أن حصان البخيل هو الذى حرك الناقوس ؟

(٦) ما الحكم الذى أصدره القضاة ضد الرجل البخيل صاحب الحصان ؟

(٧) بماذا يوصف الملك فى هذه القصة ؟

(٨) اذكر هذه القصة بعبارة سهلة من عندك .

(٩) اكتب هذه القصة بعبارة صحيحة .

(١٠) هات مرادفًا لكل كلمة من الكلمات الآتية : جوَاد ، سور ، رَأى .

(١١) ضع عنوانًا آخر لهذه القصة .

فهرس الكتاب

الموضوع

مِثَالُ الرَّحْمَة

وقَصَصٌ أُخْرَى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتب خانه حسينيه ديوبند (يو-پی)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصًا منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورة ملائمة للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الْجهدِ فى اختيارِها . حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصيَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القِصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الْحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يُرغِّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا في النواحي الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضيَ إلى نهايتِها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهيَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأساليبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُبَ ، وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وَجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون في هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائهم وبناتهم من ثروةٍ تُغذي عقلَ الطفلِ ، وتنمّي خيالَه ، وتسمُو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّي حواسَّه ، ويجد في قراءتِها لَذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفُسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبي نحوَ الجيلِ الجديدِ في هذا العهد السعيد ، في **جمهورية مصر العربية** ، والشرقِ العربي .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطية الإبراشي

الْقِصة الأُولى

مِثَالُ الرَّحمةِ

(١)

دُقَّ البابُ فَخَرَجَتْ سَيِّدةٌ عجوزٌ عابِسَةُ الوجهِ لِترى مَن الطَّارِقُ الَّذِي يَدُقُّ عَلَى البابِ ، وقَد اعْتادَتْ مِنْ قَبْلُ أَلَّا تُساعِدَ مَن يَطلبُ مِنها المُساعَدَةَ .

فَرَأَتْ بالبابِ فَتاةً تَبلُغُ من العُمْرِ عَشْرَ سنوات شَاحِبَةَ اللونِ صَفراءَ ، هَزيلَةَ الجسمِ ، مَلابِسُها رَثَّةٌ مُمَزَّقَة ، ووجهُها مُغْبَرٌّ ، تلبَسُ حِذاءً قديماً ، وتلُوحُ عَليهاآثارُ الجهدِ والعَناءِ والتَّعَبِ وسُوءِالحالِ ، فَخاطَبَتْها السَّيِّدةُ بصَوت فيه مَعْنَى الْحُبِّ والعَطفِ والحنانِ ، وقد نَسِيتْ ما اعتادَتْه من رَدِّ مَنْ يسأَلها أو يقصدها ، وسأَلَتها : هَلْ أَنتِ آلِيسُ ؟ مِن أَيْنَ أَتَيْتِ الانَ يا بِنْتِي ؟

كانتْ تِلكَ العَجوزُ عمةً للفتاة ، وزَوْجاً لأَحدِ الأَغنياءِ المُثقَّفين المتعلِّمينَ ، فأَدخلَتها الدَّارَ . وأَغْلقَتِ البابَ وهىَ تكَرِّرُ سؤالها : من أَينَ أَتيتِ يا آليسُ ؟

فأَجابتْ : عمتى العزيزة ! لقدْ أَتيْتُ لأُخبركِ بكلِّ شىءٍ . فأَجْلَستها عمَّتُها . ثم سأَلتها ثانيةً : كيفَ حَضرْتِ وحْدَكِ ؟ إن ذاك لشىءٌ عُجاب . تَعالَىْ واجْلِسِى وأَخبريِنى بما لَدَيْكِ وما عِندكِ

فقالتْ آليسُ : عَمَّتِى العزيزة ! إنَّ أَبى قد عَجز عن كَسْبِ ما نَسُدُّ به عَوَزنا وحاجَتنا . ولم يكسِبْ شَيْئاً مُنذُ عِدَّةِ أَشهرٍ . فهو يَصِلُ ليلَهُ بنَهارِه . ونَهارَهُ بلَيْلِه . يَعْملُ ويكْتُبُ مَقالات ورسائل . فى الأَدَبِ والأَخلاقِ والاِجتماعِ . يتحدَّثُ فيها عن العالمِ وما فيه من شرورٍ وآثامٍ . وعُيوبٍ وآلام . ولكنَّه لا يَجِدُ من ورائها شيئاً : فقُرَّاؤُه قليلون . والصُّحفُ والمجلاتُ تَمُنُّ عليه بقَبولِ هذهِ المَقالاتِ . ولا تُعطيه شَيئاً

من الأَجرِ ، وتخُصُّ نَفسَها بكلِّ رِبْحٍ ، وتَحْرِمُ هَذا الكاتبَ الأَلْمَعِيَّ القَديرَ الانتفاع بمجهودِهِ العقْلِي ، ولا تُشَجِّعُه بشيءٍ من المال .



العمة تستقبل ابنة أخيها بالباب

أما أُمِّي فَقدْ بلَغت من الوَهْنِ والضَّعْفِ مَبْلَغاً كَبيراً . وقعَدَ بها المرَضُ والهَمُّ والقَلَقُ . ومَع هَذَا فهِي تَعمَلُ ، وتُكلِّفُ نَفسها كثِيراً من المشَقَّةِ . في وَقتٍ

هِيَ فيه في حاجةٍ إِلَى الراحَةِ وهُدوءِ البَالِ ، وتُحاوِلُ أَن تَقومَ بِما تَستطيعُ مِن فُروضِ البَيتِ والأُسرةِ. فالحياةُ صَعْبَةٌ ، والْحَالُ ضَنْكٌ ، ووسائِلُ العَيْشِ في بيتِنا تَكادُ تكونُ مَعدومة ، ولِساني لا يَستطيعُ التَّعبيرَ عمَّا تُعانيهِ الأُسرةُ وتُقاسِيهِ مِن أَلَمِ الفَقْرِ والحاجةِ والشَّقاءِ . وإِنِّي لا أَستطيعُ المكثَ بغيرِ عَملٍ أُساعِدُ به إِخْوتي وأُمِّي وأَبِي .

فأَسِفَتِ العَمةُ لحالِ أُسرةِ أَخيها ، وقالتْ : إِنِّي أَظنُّ أَنَّ فتاةً في مِثْلِ سِنِّكِ تَستطيعُ أَن تُساعدَ أُمَّها ، ولو بالعَمَلِ في البيتِ .

فقالت آليسُ : لقد ساعَدْتُها بكلِّ ما في قُوَّتي في إِدارةِ البيتِ ، والعنايةِ بإِخوتي ، ولكنَّ أَبي كان يُفَضِّلُ أَن أَهَبَ وَقتي لمُساعدتهِ في كِتابةِ المَقالات ونَقْلِها ، وإِرسالِ نُسخٍ منها إِلَى الصُّحُفِ والمجلاتِ . ولذا تَرَيْنَني أَعملُ معَه طولَ النَّهارِ في تدوينِ مَقالاتِه ، وتَرتيبِ رَسائلِه وأَوراقِه . وهو يرجُو أَن يُوقِظَ البِلادَ

بتِلكَ المَقالاتِ الضَّافيةِ الطَّويلةِ ، ويُنقِذَ العالَم ممَّا هو فيه مِن النقائصِ والعيوبِ الاجتماعية .

فقالتْ عَمتُها : لقد فهِمتُ الآن يا بنتي . إنه فى الوقتِ الذى يُفكِّرُ فيه فى إيقاظِ البلادِ ، وإنقاذِ العالَم يَدَعُ (يترُكُ) زَوْجَهُ وأولادَه يَتَضَوَّرون جُوعاً ، حتى أَصبَحُوا لا يجدونَ من الطَّعام ما يكفيهم .

فقالتْ آليس : هَذا ما حَدثَ يا عَمَّتى العزيزةَ ! ولقد احتملتُ وصَبرْت كثيرًا ، ولم أَسْتطِعْ أَن أَرى أُمى وإخوتى جِياعاً ، وأَمكُثَ فى البَيتِ ، فَصمَّمْتُ عَلى المجىءِ إليكِ لأُخبِرَكِ الخبرَ ، وقَبلَ سَفرى قَبَّلتُ أُمى وإخوَتى ، وأَوْصَيْتُهم بالصَّبرِ والشجاعةِ ، ثمَّ وَدَّعتُهمْ وأَتيْتُ ، وهُم عَلى عِلمٍ بحضورى إليك . فسأَلتْها العَمةُ : وهل قَطَعْتِ هذا الطريقَ كلَّه مَشياً عَلى قَدَمَيكِ؟

فقالتْ : لا ياعمَّتى لقد كان المُسافرونَ إلى (بوسْتونَ) يُظهِرونَ العَطفَ نحوى ، فكنتُ أَركبُ

مَعهم حيناً ، وأَسيرُ عَلى قَدَمىّ أحياناً .

قالت العمَّة : وأَنتِ الآنَ فى (بُوسْتُون) ، فماذا تريدينَ أَن تَفْعلى ؟

فأَجابت آليس : إِذا أَذِنتِ لى بالإِقامة معكِ قمتُ بخدمتِكِ لأُساعدَ أُمى المسكينةَ ، وإِخوتى البائسين ، وفى أَوقاتِ فراغى سأَجْلسُ للقراءَةِ والاستذكار ، حتى أَسْتطيع أَن أُساعدَهم حتمًّا حينما أَكبرُ ، وسَأَبذُلُ كلَّ جُهدى فى إِرضائكِ يا عمَّتى .

فقالتِ العمَّةُ : ما أَشجعَكِ من فتاةٍ ! وما أَطهرَ قلبكِ ! وما أَكثرَ عطفَكِ ! سأُحققُ لكِ رغبتَكِ ، وغدًا تبدئين عملَكِ ودرسَك .

بَدَأَت آليسُ تعيشُ فى بَيتِ عمَّتها ، وقد قاست مرارةَ الحياةِ فى طفولتِها الأُولى ، فلم تعْرِفْ معنَى اللعِب الذى يتمتعُ به الأَطفالُ فى صِغرِهم ، ولم تتذكَّرْ غيرَ العملِ والإِجهاد والتعبِ ، وقلَقِ البالِ ، والجوع

والفقر ، ولكنها كانت شُجاعةً إلى حدٍّ كبير ، حتى فازت بإعجاب عَمتها ، ولم يَكنْ من السَّهلِ أَن تُعْجَبَ بأحدٍ.

كانت آلِيسُ تعمَلُ نهارًا فى خِدمةِ عَمَّتها ، وتُرْسِل كلَّ ما تربَحُه إلى أَبيها ؛ لِتُخَفِّفَ عن أسرتها آلامَ الفَقرِ والحاجةِ ، وتَسْهَرُ ليلاً لتَستذكرَ دُروسَها فى البَيت ، حتَّى استطاعَت أَن تعرِفَ فى زَمنٍ وَجيزٍ (قَليل) أَكثرَ مِمَّا عَرفَتْه صديقاتُها اللَّاتِى ذَهبنَ إلى المدارِس ، ودرَسْنَ دراسة مُنظَّمةً فى المدارِس الابتدائيةِ والثَّانوية .

وحينما بلغَتْ من العُمْرِ خَمْسَ عشرةَ سَنَةً قالتْ لِعمَّتِها : سأَعودُ غدًا يا عمَّتى إلى قَرْيتى ، وسأَفْتَحُ مدرسةً أُعَلِّمُ فيها صغَارَ الأَطفالِ .

فقالتِ العمة : إنك لا تزالين صغيرةً يا بُنَيَّتى ، ولا تَستطيعينَ القيامَ بهذا العَملِ الكبيرِ . ولا شَكَّ فى أَنَّ تفكيرَكِ سَليمٌ ، ورَأيَكِ سَديدٌ ، ولن تَنْقُصى فى إدراكِك (فَهْمِكِ) عن الكبارِ ، ولكنَّ الآباءَ لن يُرسِلُوا أَطفالَهم

إلى مدرسةٍ تُديرُها وتَقومُ بالتَّعليمِ فيها فتاةٌ صغيرةٌ مثلُكِ.

فقالَتْ آليسُ: سَتَرَيْنَ ياعَمَّتى ماذا تَستطيعُ تلك الفتَاةُ الصغيرةُ أَن تَفعلَ.

سمحت لها عمَّتُها بالعَوْدَةِ إلى بَيْتِ أُسرتِها، فَرجعَت إلى أُمِّها وأَبيها وإِخْوَتِها، وقد ارتدَتْ مَلابسَ طويلةً، وبدَت (وظَهرتْ) عليها أَمارات الْهَيْبَةِ والوَقارِ وقد رَتَّبتْ شَعرَها تَرتيباً حَسَناً، مُتَشَبِّهة فيه بِكبار السَّيداتِ، وأَخذَت تَجوبُ أَرجاءَ القَريةِ، وتَدْخلُ المنازِلَ تُرغِّبُ الآباءَ فى إرسالِ أَبنائهم إلى مَدْرَستِها. فاحتَرَمها كلُّ مَن رآها، وأَجابَ الآباءُ دَعْوَتَها، ولم يُفكِّرْ أَحَدٌ من الناسِ فى أَنها فتاةٌ صغيرةٌ لا تستطيعُ أَن تَضْطلِعَ بأَعْباءِ هذا العَملِ الْخَطيرِ.

وقَدْ فُتِحت المدرَسَةُ، وأَقبلَ الأَطفالُ علَيها كلَّ الإِقبالِ، وسرعانَ ما أَحَبُّوا مُعَلِّمَتَهم، وتَجَلَّى فيهم ما بَذَلَتْه من مجهودٍ فى تَعليمِهم، وظهرَ أَثرُها فى



العمة توصى ابنة أخيها عند مغادرتها المنزل

تَقَدُّمِهِم والنُّهوضِ بِهِم ، فأُعْجِبَ الآباءُ بالمدرسَةِ ونَتيجَتِها ، ولٰكنَّها شَعَرت في نَفْسِها بأَنَّها في حاجةٍ إلى أَنْ تتعلمَ أَكثر مما تعلّمتْ ، حتَّى تَستطيعَ أَنْ تَصِلَ إلى المثلِ الكاملِ الذي تَنْشُدُهُ في المدرسةِ والتَّعليمِ فرجَعَت إلى إحدَى الكلياتِ الأَمريكيةِ لِتُكَمِّلَ دراستَها ، وتُعِدَّ نَفْسَها إعدادًا تامًّا لمِهنَةِ التَّعليمِ .

وحينما بلَغَتْ من العُمرِ عشرين سَنةً أَتَمَّتْ دِراستَها وأَعدَّتْ نَفْسَها لمِهْنَة التَّدريسِ ، وأَنشأَت لها مدرسةً في حيٍّ من الأَحياءِ الوطَنيَّةِ ، وأَدَارتها أَحسَنَ إدارة ، فَحَسُنَت نتائجها ، وذَاعَ صِيتُها ، واشتَهر أَمْرُها ، وأَقبلَتْ إليها التلميذاتُ من كلِّ جهةٍ . وكانتْ إذا رأَتْ بَعضَ أَبناءِ الفُقراءِ في القُرَى مُهْمَلين في الطُّرُقِ رَثَتْ لِحَالِهم ، وقامَتْ بُمساعدتهم وتَعلِيمهم .

وقَدْ كانتْ آليس تَسْتَيْقِظُ في الفَجْرِ مَملوءَةً بالنَّشاطِ والحيَاةِ وحُبِّ العَملِ : تَقومُ بالتَّعْليمِ في مَدرستِها نهارًا خَيْرَ قيامٍ ، وتُعْنَى في أَوقاتِ فَراغِها

بعمتِها العِناية التامة ؛ فقد كبرت سنُّها ، وأقعدها الضَّعْفُ . وفى الوقتِ نَفسِه كانت تهتمُّ بأخويْها الصَّغيرَيْن اللَّذين جاءت بهما مَعها لِتربيتِهما والإنفاقِ عَليهما . وليس من السَّهلِ عَلى أىِّ فَتاةٍ مَهما أُوتِيَتْ من القوَّةِ والصِّحة أن تنهَضَ بتلكَ الأَعمال الجليلة الَّتى قامتْ بها تلكَ الفتَاةُ ؛ فقد استطاعَتْ بما وُهبتْ مِنْ إرادةٍ قَوِيَّةٍ ، وعَزيمة صادقةٍ ، وحُبٍّ للخَيْرِ أَن تُديرَ مَدرَستها خيرَ إدارةٍ ، وتقومَ بتربيةِ أخوَيْها أحسنَ تربيةٍ ، وتُعْنَى بعمَّتِها العَجوز ، وتساعِدَ أُسرتَها الفَقيرةَ فى الرِّيفِ ، وتقومَ بتَعليمِ الفُقراءِ بالمجَّانِ . وتَستمرَّ فى بحْثِها واطِّلاعِها فى أَوقات فَراغِها ، وتُساعدَ مَنْ يَحتَاجُ إلى المساعدةِ .

وأَخيراً ماتَتْ أُمُّها وأبوها ثمَّ عَمَّتُها ؛ وقد كبرَ أَخوَاها حتَّى استطاعَا الاعتمادَ عَلى أَنفُسِهما فى شئونِ الحياةِ . وكانَ أَحدُهما طبيباً ، والآخرُ مُهندِساً . وبهذا أَدَّت رِسالتها الأُولى فى الحياةِ . وسنَذكُرُ لكَ رسالتَها الثَّانيةَ فى القِصَّةِ التاليةِ .

القِصَّةُ الثَّانِيَة
شَجاعَةُ آليسَ ودِفاعُها عَن الإِنسانيَّة

(٢)

بَلغَت آليسُ الآنَ مِنَ العُمر خَمساً وثَلاثين سنةً ، فاستقبلتْ عمَلًا إنسانيًّا جَليلًا وَهَبَتْ مِنْ أَجلِه حَياتَها ، وقضَتْ فيه بَقِيَّةَ عُمْرِها تُفكِّرُ فى المجتَمع وتَعملُ لإِصلاحِه ، والتَّرْفيه عن أَهلِه ، وقد آتاها اللهُ مِنَ الصبْرِ والرَّوِيَّةِ ، والعَطْفِ والشَّفَقَةِ ، وحُبِّ الإِنسانية والتَّفكيرِ فيها ـ ما حَقَّق رَغبتَها ؛ فَقد سَمِعَتْ ذاتَ يَوْمٍ أُناساً يتحدَّثون عَن سوءِ المُعاملةِ الَّتى يَلقاها المَرْضَى فى المُستشفَياتِ ، فالمريضُ إذا مَرِضَ فى الرِّيفِ رُبَّما لا يَجِدُ مَنْ يُعْنَى بعلاجِه فى القَريةِ ، فيُفكرُ فى السَّفرِ إلى المدينَةِ ليعالِجَ نَفسَه فى مُستشفَياتِها وكيفَ يُسافرُ إلى المدينةِ وهُوَ لا يَملِكُ مِن المال أُجرةَ

القِطارِ ؟ إنَّه يَسيرُ عَلى الأَقدامِ حتى يَصِلَ إليها ، فيَذهبَ إلى المستشفى ، فيجدَ كلَّ صُعوبةٍ في الدخولِ. وقد يقضى أياماً وهو ينتظِرُ ببابِ المستشفى يئنُّ من الآلامِ . فإذا سُمح له بالدُّخول ، وبُدِئَ بالعِلاج وَجدَ مُعاملةً قاسيَةً من الممرِّضينَ والممرِّضات اللَّائى قد يتفكهْن ويَتَسَلَّينَ بمريضٍ يجودُ بأَنفاسِه الأَخيرة . وربما أُخرجَ من المستشفى قبل أَن يتمَّ شِفاؤُه ، وقَبْل أَن تستطيعَ رِجْلاه أَن تحملاه ، وقد يُقْضى نَحبَهُ وهو بباب المستشفى ، قبلَ أَن يُسمَح له بالدخول ، فيموت فى عُرْضِ الطريق وقد أَثقله المرضُ والفَقرُ .

كان ذلك كلُّه فى القَرْن التَّاسعَ عَشَرَ ، أَمَّا اليومِ فقدْ أَصبحتْ وَسائلُ العِلاج مُيَسَّرَةً لكلِّ مريضٍ .

سَمِعت آليسُ ذلك ، فتأَلَّمت لهؤلاءِ الْمَرْضَى من الفُقَراءِ ، ومِنْ هُنَا أَخذَتْ تُفكِّرُ فى أَمرِهِم ، وأَكَّدت الْعَزْمَ عَلى أَن تَدْرُسَ شُئونَهم ، وتَفعلَ ما تستطيعُ فى

سَبيلهِم . فقابلَتْ وَزيرَ الصحةِ ، وآستأْذَنتْ منه فى أن يَسْمَحَ لها بزيارة المستَشفياتِ فى جَميعِ أنحاءِ البلاد ، فَسَمحَ لها ، وقامتْ برحْلاتٍ إلى كَثيرٍ من المدُنِ فى الولاياتِ المختلفة لِزيارةِ المستشفيات ، وبَحثِ حالِها عن كَثَبٍ وقُرب . وقد وجَدتْ ترحيباً فى كُلِّ مُستَشْفى ، ووَجَدتْ صُدوراً فَسيحةً لِلقائِها وتكريمها من الأَطبَّاءِ ؛ ففُتِحَت لها الأَبوابُ . وأَحاطَ بها الأَطبَّاءُ كأَنها رسُولُ الرَّحمةِ هَبَطَ من السَّماءِ ليُزيلَ عَنْ تلك القُلوبِ البائسةِ ما أَلَمَّ بها من شَقاءٍ .

وماذا تستطيعُ آمرأَةٌ رقيقةُ الإحساسِ . ضَعيفةُ الصِّحةِ . أَن تفعل لتنْقِذَ هؤُلاءِ التُّعساءِ مِن المرضَى المنتظرين ببابِ كُلِّ مُستشفى ؟ وكَيْفَ يقْبَلُهم المستشفى والأَسِرَّةُ محدودةٌ . والأَمكنةُ ضيِّقةٌ . لاتَسَعُ هذا العددَ مِن المرضَى ؟

لَقد قامَتْ بواجِبِها خيْرَ قيام . وأَدَّتْ للإنسانيةِ



آليس وهى تزور المرضى فى المستشفى لتدرس شئونهم

المعذَّبةِ أَجَلَّ الْخَدماتِ ، وواسَتِ المرضَى ، وأَخَذَتْ تَصِفُ فى الصُّحُفِ ما شاهدَتْ مِنْ كَثْرَةِ المرضَى ، وسُوءِ مُعامَلةِ الممرِّضاتِ لَهُمْ ، وقلَّةِ العِناية بهِمْ . وقَدَّمَتْ إلى وَزيرِ الصِّحَّةِ رسالةً تَصفُ له ما شاهدَت ، وقد أَطنبَتْ فى الوصفِ ، وأَطالتْ فى الذِّكْرِ ، فتكلَّمت عن نساءٍ مهمَلاتٍ ، وَأَطفالٍ مُهْمَلين ، ورجالٍ مُعذَّبين ، قبل دُخولِ المستشفى وبعد دخولِه .

تأَلَّم المجتَمعُ الأَمريكىُّ فى القرن التاسعَ عشرَ ، حِينما سمِع تلكَ القِصةَ المؤْلمةَ ، وهَبَّ مديرو المستشفيات يدفَعون عن أَنفسِهم تلك التُّهم ، ويُبرِّئون أَشخاصَهمْ منها ، فادّعَوْا أَن هذا افتراءٌ وكَذبٌ ، وليس القصدُ به إلَّا التشهيرَ والتشنيعَ . والواقعُ أَنه حقٌّ لا مِرْيةَ ولا شكَّ فيه ؛ فلا عجبَ إذا اقتنع الشعبُ بتلك الحقيقةِ المرَّةِ ، واقتنعتِ الحكومةُ ، فأَصدرت تعليماتٍ لإِصلاح هذه العُيوب ، وحُسنِ مُعاملةِ المرضَى من الفقَراءِ ،

وفَتحت الاِعتمادات الماليةَ للإكثار من المستشفياتِ ، ومُعالجةِ الفقراءِ فى العواصم والمُدن ، وفى القُرَى الريفيَّة.

وبهذا نجَحتْ آليسُ فى العمَل لإصلاحِ المستشفيات والإكثارِ منها لمعالجةِ الفقراءِ فى جميعِ أَنحاءِ البلادِ.

وَقد سَمِعَتْ آليسُ عن الملاجئِ وَما يلاقيه الأَطفال اليتامى بها من العذاب ، وسُوءِ المعاملة ، وقلَّةِ الطعام ، ورداءةِ الغِذاءِ وإهمالِ القائمين بشئونِ الملاجئ لهؤلاء الأَطفالِ . فقابَلت وَزيرَ الشئونِ الاجتماعيةِ ، وأَظهرَت له رغبتَها فى زيارةِ الملاجئِ ، فسمَح لها بزيارتِها متى شاءَتْ ؛ فأَخذَت تجوبُ البلادَ ، وتنتقِلُ من مدينةٍ إلى أُخرى ، لرؤية الملاجئِ ، وبَحْث حالِها ، فوجدَتْها كلَّها مَظالم ، فالمعاملةُ قاسيةٌ ، والإدارةُ سَيئةٌ ، والأَطفال يشكُون البردَ والْجوعَ والظلمَ ، فصمَّمَتْ على رفعِ مُستواها ، والعَمل لإسعاد مَن بها ، ولكن من أَين تأْتى بالمالِ للنهوضِ بتلك الملاجئِ وَالعمل لإصلاحِها ؟

لقد فكَّرت فى إنشاءِ جماعاتٍ خَيرية تعملُ لجمعِ المالِ للملاجئ . وتتكوَّنُ كلُّ جماعةٍ من رئيسٍ وأَمينِ صُندوقٍ ، وكاتبٍ ، وأعضاء للقيامِ بأُمورِ الملجأِ . والمفروضُ فى الجماعةِ طبعاً الأَمانةُ والإخلاصُ ، واختارت أَيامَ الأَحدِ والأَسواقِ لجمع الإعاناتِ ؛ بأَن تَكتبَ الجماعةُ لعدد مُعينٍ من المُحِبات لعمَلِ الخير ، ترجوهُنَّ التبرُّع بمساعَدتها بالمجيء فى يومِ كَذا . للوقوفِ فى مكانٍ خاصٍّ ، وجمع التبرعات مِن المحسنين والمحسنات ، ببيعِ بعضِ العلامات والإشارات الخاصَّةِ لهم ، فيتبرّعُ كلُّ فردٍ بما تجودُ به نفسُه . وتُكرَّرُ عمليةُ التبرعاتِ من حينٍ لآخَرَ ، فإذا تكرَّرَ الجمعُ كلَّ أُسبوعين أو شهر أمكنَ أَن يُجْمعَ من المالِ فى كل بلدةٍ أو مَدينة ما يكفى إنشاءَ ملجأٍ يقومُ بتعليم اللُّقطاءِ واليَتامى من الأَطفال ، ويُؤْويهم حَيثُ لا مأْوى لهم ، حتى يُقضى عَلَى جميع السائلين من الفقراءِ والعَجَزَة .



آليس وهي تزور أطفال الملجأ لتدرس حالهم

وَقد أَخَذَت تكتبُ إلى بعضِ الأَغنياءِ من أَصحاب (الملايين) تَسْتَدِرُّ عَطفَهم، وترجو مَعونتَهم. وزارتْ مرةً رجُلًا من الأَثرياءِ الأَغنياءِلم يَسبِقْ له أَن تَبرَّع لعملٍ خيريٍّ. فأَخبرَتْه بحال هؤُلاءِ الأَطفال. وما يُقاسونه في تلك الملاجئِ أَو السُّجونِ ووَصَفتْ له ما يُعانونَه من شقاءٍ وتَعْس، فأَصغَى إليها كلَّ الإصغاءِ. حتَّى أَتَمَّتْ وَصْفَها ثُمَّ سأَلَها: وماذا تُريدينَ منِّى أَن أَفعَل يا سيِّدتى؟

فأَجابَتْ: إنِّى أَرجوأَن تتَبرَّعَ بخمسةِ آلافٍ من الجنيهاتِ لتَوسيعِ المَلجأ الذى فى تلك المدينة، فَخَفَقَ قَلبُه للإنسانيَّة، وقال سَأُحقِّقُ لكِ ما ترغَبين، وَوَسَّعَ الملجأَ، وأَبَى وَامْتَنَعَ أَن يُسَمَّى باسمِه تخليدًا لذِكراه، ليكونَ عملُهُ لله، وفى سَبيل الله.

وبعد أَن أَتَمَّتْ عَملَها فى إصلاح الملاجِئِ والإكثار منها سَمِعَتْ ما يلقاهُ السَّجينُ فى سِجْنِه من

فَظاظَةٍ وقَسْوةٍ وشِدَّةٍ تَقْشَعِرُّ لها الأَبدانُ .

فَطَلبت إلى وزير الدَاخليةِ أَن يَسْمَحَ لها بزيارةِ السُّجونِ ، فلم يَبْخَلْ عَلَيْها بتلكَ الزيارة . فَزَارَت تلكَ السُّجون . وشَحذَتْ يَراعَها وقَلَمَها فى تسْطيرِ مَقالات إلى الصُّحُف . وكتابةِ رَسائلَ إلى أَصْحَابِ النُّفوذِ فى الولايات المتَّحدة بأَمريكا تُعَبِّرُ بما أُوتيَتْ من بيَانٍ وبلاغةٍ عَنْ حَالِ هٰؤلاءِ المَسجُونين ، مِمَّن نَكَبَهمُ الدهرُ . وغيرَتْهُمْ صُرُوفُ الزمان . والتَمَسَت مِن أُولِى الأَمر المعونةَ لإِصلاحِ السجونِ ، وَتحسين حال البائسين مِن أَبناءِ الشَّعبِ ، وَتخفيفِ ما يُلاقونه من شَقاء .

لم يرْضِ عملُها هذا بعضَ الناس الذين لا يُفكِّرُون فى الإِصلاح . ولا يُرضيهم أَىُّ إِصلاحٍ . لأَنهم يعيشون لأَنفسهم ولا يُفكِّرون فى غيرِهم ، وتمنَّوْا أَن تَكُفَّ عن هذا العَملِ ، حتى لا يُكلَّفوا دَفعَ ضرائبَ جديدة لإِصلاح السجونِ . وَلكنها استمرَّت فى عملها

الإنسانيّ بنفس راضيةٍ وَقلبٍ مملوءٍ بالإيمانِ ، مادامت تعملُ للهِ والوطن والإنسانيةِ ، وتَحيا لِرَفعِ الظلمِ عن المغبونينَ وَالمظلومينَ .

وَقد كتَبت ذات مرةٍ إلى صديقةٍ لَهَا تقولُ :

« لقد اضطُرِرْتُ فى مُجتَمَعٍ من المُجتمعاتِ أن أتكلمَ ثلاثَ ساعاتٍ مُتتالية؛ لأُقنعَ المجتمِعين بوُجُوبَ العمل للإصلاح . وفى أَثناءِ الاجتماع أَعْلن أَحدُ الحاضرين – وكان قاسىَ القلبِ ، غليظَ الطبعِ – وَسَط ذلكَ المجتَمع بعد أَن سمِع نِقاشى ، وأَصْغَى إلى حديثى مُدة ليست بالقصيرة . أَنَّ ما يتطلَّبُه حالُ هؤلاء ما هو إلا تَظاهُرٌ كاذب . فلَمْ يَفُتَّ ذلك فى ساعِدى ، ولم يُوهِنْ قُواىَ وَدِفاعى ؛ بل وَاصلتُ الحديثَ ، فقامَ بَغتَةً مِن وسَطِ المجتَمِع وقال : « أَيتُها السيِّدةُ ، السلامُ عَليكِ . لقد كَفانى ما سمِعْتُ منكِ . وَاقتنَعْتُ بضرورةِ مُعاونةِ تلك الفِئةِ الضَّالَّةِ مِن بني الإنسانِ .

وسأعطيك صوتي بمجلسِ النُّوابِ عند الاقتراعِ على إصلاح السجونِ إذا حضرتِ إلينا ، وتكلَّمتِ كما تكلمتِ الليلَة . ولن يُعارِضَك إلَّا من قُدَّ وقُطِع قلبُه مِن الصَّخرِ . وفي وُسْعِ غَيْرِي من الحاضرين البقاءُ للاستماع إذا شاءُوا ، أَما أَنا فمقْتَنعٌ بحُسْن رَأْيِك . ووَداعاً أَيَّتها السيدةُ ! وَحينئذٍ تركَ الاجتماعَ وخرجَ. هذه هي الحالُ يا صديقي » .

ولم تَفْتُرْ عزيمةُ آليس ، ولم تَضْعُفْ قواها عَن الكِفاح والْجِهادِ في سَبيلِ نُصرةِ الحقِّ ، والدِّفاعِ عَن المظلومِ . وقد أَخَذتْ تُفكِّرُ في التقدُّمِ إلى مجلِسِ النُّوَّابِ والحكومَةِ للعَمل لِتحْسينِ حالِ المستشفياتِ والملاجئ والسجونِ ، فوُفِّقَتْ في ذلكَ إلى حدٍّ بعيد ؛ لأَنَّ كلَّ فَرْدٍ مُؤْمنٌ بالحاجةِ إلى الإِصلاحِ ، وَوُجُوبِ الإِصلاحِ ، والسُّرْعةِ في العمل والتَّنفيذ .

وَلَمْ تَكْتَفِ آليسُ بتلكَ الرِّسالةِ ، ولكنها فكَّرتْ

فى شىءٍ آخرَ هُوَ بَحثُ حالِ مَرْضَى العقولِ فى مشافِيهم ، ودِراسة شُئُونهم ، حتى تَفعلَ ما تَستطيعُ أَن تَفعلَ لتحسين حالِهم ، ومُعامَلَتِهم .

دَرَسَتْ حالَهُم ، فوَجدتْ أَن دورَ العلاجِ خاصَّةٌ بالأَغنياءِ . أَمَّا الفُقراءُ الَّذين فَقدوا قُواهم العقليَّةَ فلم تُنْشَأْ لَهم مُستشفيَاتٌ يَجِدُون فيها العطفَ ، والمُعَاملةَ الحسنةَ ، وَالعلاجَ الضَّرورِىَّ ؛ بل كانُوا يُلْقَوْنَ فى مُستشفياتٍ شبيهةٍ بالسجونِ ، مَملوءَةٍ بالقَذارةِ ، يُعاملُون فيها معاملةَ الوُحوشِ والمُجرمِين ، ويُقيَّدُونَ بالسَّلاسلِ والأَغْلالِ ، ويَحْيَوْنَ حياةً كُلُّها عذابٌ وآلامٌ ، وشَقاءٌ وأَسْقامٌ وأَمراضٌ .

حزِنَت آليس لمُصابِهم ، ورَثَتْ لحالِهم ، وأَخذَت تُفكِّرُ فى أَمْرِهم ؛ لتُخَفِّفَ عَنْهُمْ شَرَّ تِلكَ الكوَارثِ النَّازِلة بِهِمْ . فقامَت بِرِحْلات إلى بَعْضِ المُدُنِ لزيارةِ المشافى الخَاصَّةِ بهِمْ . وحينما أَتَمَّت بَحثَها

كَتَبَتْ إلى وزارةِ الصِّحةِ رِسالةً تَصِفُ فيها ما رأَتْ وَما شاهَدَتْ ، مِن أَحوالِ هؤُلاءِ الأَشْقياءِ المعذَّبين ، الذين اختلَّتْ قُواهُمُ العقليّةُ ، وحُجزُوا فى أَقفاصٍ وحظائِرَ قَذِرة ، وقَدْ وضِعت الأَغلالُ والسَّلاسِلُ فى أَعناقِهم ، وتَعَرَّتْ أَجسادُهم ، وضُرِبُوا بالعِصِىِّ ، وجُلِدُوا بالسياط كىْ يطيعوا ما يُلْقَى عَليهم مِن الأَوامِر .

وقد أَطْنبَتْ وأَكثَرتْ فى الوَصْفِ ، وأَطَالتْ فى الذِّكْرِ ، حتى تـأَلَّمَ المُجتَمَعُ حينما سَمِع تلِكَ القِصَّةَ المُحزِنَةَ ، واقتَنعَ الشَّعْبُ بتلكَ الْحَقيقةِ المُرَّةِ الَّتى تُفَتِّتُ الأَكبادَ ، وتَملِكُ القُلوبَ ، وتَبْعَثُ الأَلَمَ والْحُزْنَ فى النُّفُوسِ . ففكَّرَت الوزارةُ فى إِصلاحِ حالِ هؤُلاءِ المساكينِ ، وإِنشاءِ مُستَشْفيات مُريحة لهم ، والعملِ لِحُسْنِ معاملتِهم ، حتَّى يَجِدُوا كلَّ عناية وراحةٍ ، فكانَ النَّجاحُ حَليفَها ، والفَوْزُ رائِدَها .

وَاقترحَ بعضُ الأَفرادِ أَن يُسمَّى المستشفى باسمِها ،

تخليدًا لذكراها ولكنَّها أَبتْ وامْتَنَعتْ عَنْ إجابَةِ رَغْبَتِهِم قائلةً : «إنى أَقْصِدُ بعملِى هذا وَجهَ اللهِ ، والدِّفاعِ عَنِ الإنسانيةِ ، ولا أَنتظِرُ جَزاءً ولا شُكورًا.

وقدْ أَرَادَ آخرُون أَن يُقيموا لها حفْلة تكريمٍ يَذْكرُونَ فِيها مَآثِرَها ، يَتسابقُ فيها الخطباءُ والشُّعَراءُ ؛ وجَمَعُوا بعضَ التبرُّعاتِ لإنْشاءِ تِلكَ الْحَفلةِ . وحينما قابَلوها لِيَسْتَأْذنُوها فى إقامةِ حفلةِ تَكريم لها قالتْ لهم : «إنِّى لَمْ أَفْعَلْ شَيئاً أَستحقُّ عليه تكريماً أَو تَبجيلًا . وقد فَعَلْتُ ما فَعلتُ لِأُرْضى اللهَ ، ولِأُريحَ ضميرى ونَفْسى وأَقُومَ بواجبِى نحوَ الإنسانيةِ» .

فسأَلوها : وماذا نَفعلُ بالتبرعاتِ الَّتى جُمِعَتْ لحفلةِ التكريم ؟

فأَجابتْ : تبرَّعُوا بها لِمُسْتشفى الأَمراضِ العَقليَّة أَو مَلجأٍ منَ الملاجئِ ، أَو جَماعة مِنَ الجماعاتِ الْخيرية .

ومَع هذا كلِّه لم تَسْلَمْ آليسُ من النَّقدِ ، فقد

رُزِقتْ بِمَنْ يَكِيدُ لها منَ الحاسِدِين . ويسيء الحكم عليها منْ رجالٍ حاقدين ، قُساةِ القلوبِ ، ضَيِّقى العُقول ، لا يُفكِّرون فى ضَعيفٍ أَو مَريضٍ ، وَلم يَكْتَفُوا بِمُعارَضَتِها . بَل أَخَذوا يوقِعون بهَا ، وَيَضَعُونَ فى طَريقها العراقيلَ والصُّعوباتِ ؛ لأَنَّ الحسَدَ قد سَيْطَرَ عَلى قُلوبهم . وَالْحِقدَ مَلَكَ نُفوسهم .

ولم تُبالِ بمعارَضَتِهِم لها . ولا بأَقوالهم عنها ؛ بل سارَت فى طريقها بكلِّ شجاعةٍ وإخلاصٍ ؛ غيرَ مُكترِثةٍ لِمايتَقوّلُهُ المُتَقوِّلون ، ويَدَّعيه الكاذبونَ الحاقِدُون. وَلَقدْ قالتْ ذاتَ مرَّةٍ : « إن المُعارضةتَزيدُنى قوةً على قوةٍ ، وتُساعِدُنى فى أَنْ أُواصِلَ سَعيي ، وأَستمِرَّ فى طَريقى . فإِن كنتُ فى حاجةٍ إلى قُوة فإِنَّنى فى حاجةٍ إلى المعارَضَةِ » .

وَأَخيرًا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوات من عَمَلٍ مُتَواصل . وَجِهادٍ مُسْتَمِرٍّ . أَتَمَّتْ عَمَلَها العَظيمَ فى الإِصلاحِ الاجتِماعىِّ . وَخَتَمت مشروعَها بنَجاحٍ مُطَّرِدٍ ؛ فَقد

وَضَعت اقتراحاتٍ لتحسين حالِ المستشفيات وَالسُّجونِ وَمَلاجئْ اليَتَامى، ومَشافِى ضِعافِ العُقولِ الَّذِينَ فَقَدُوا قوَاهُم الفِكريَّة ، وبَعدَ أن كانَ ضِعافُ العُقول يُوضَعونَ فى أَغلالٍ وسُجونٍ غيرِ صحيةٍ ، ويُعَذَّبُونَ بكلِّ وسائلِ التعذيبِ ، أَصبحوا يَجِدُونَ مُستشفياتٍ فَسيحة الأَرجاءِ ، حَسَنَةَ الإدارةِ ، توفرتْ فيها وَسائلُ الرَّاحةِ ، وحُسن المعاملةِ ، وأُحِيطُوا بقلُوبٍ جُبِلت عَلى الشفقةِ والرَّحمةِ ، فعُنِيَتْ بشُئونِهم ، وتألَّمت لحالهم ، وَعامَلَتْهم مُعاملةَ بَنى الإنسانِ ، وأَولَتْهُم كلَّ عطفٍ ورعايةٍ ، بعد أَن لفظتْهم الطبيعَة ، وأَذاقَتهم مَرارةَ الحياة ، فكانوا كالحيوان الكاسرِ .

لقد حَدثَ هَذا التغييرُ ، وذلك الإصلاحُ بمجهودِ امرأَةٍ واحدةٍ هى آلِيسُ . وبفَضلها أُصلِحَتِ الملاجئُ والمستشفياتُ والسُّجونُ فى أَمريكا ، ولكنها لم تَقْتنِع بما قامَتْ به فى بلادِها ، فبدأَتْ تفكرُ فى إصلاحِها فى

أَوْرُبَّة ، فتركَت أمريكا وسافَرتْ مُتَنقِّلةً بين ربوع أَوْرُبَّة . ثم كتَبَتْ تقريرًا عمَّا رأته فى كلٍّ منها ، تقريرًا مملوءًا حقائق مُحزنَةً تألَّمتْ لها الشُّعوبُ والأُممُ . وَبذلَت كل ما فى استطاعتها لمساعدةِ الملاجئ وَالمستشفَياتِ والسُّجونِ بأَوْرُبةَ للعِنايةِ باليَتَامى وَالمرضَى وَالمسجُونين وَالمخبُولين .

ثم رجَعَتْ إلى أمريكا بعدَ تلك الرِّحلة الطَّويلةِ الشَّاقةِ . فَبَدَأَت آلِيسُ تقومُ بعمَلٍ آخرَ للإنسانيةِ .

وَانتسبتْ إلى جَماعةِ الصَّليب الأَحمر ، وتقدمَتْ مع الممرِّضاتِ لتَمريضِ الجرحَى فى المستشفياتِ ، فعُيِّنَتْ رئيسةً للممرِّضات فى المستشفيات ، وَسارَت فى عَمَلِها الجديد بكلِّ شجاعةٍ وَإقدامٍ ، كما كانتْ فى حَياتِها الأُولى ، وَأَخذَتْ تُلاحِظُ الممرِّضاتِ ، وَتُرَاقِبُهنَّ ، فى أدائِهن لواجِبَاتِهنَّ . وَكانَ من عَمَلِها أن تُوزِّعَ الهَدايا الَّتى تُهدَى إلى المرضى . وَأَخَذتْ

ترحَلُ رِحْلاتٍ طَويلةً فى البرِّ وَالْبحر ، تَنتَقِلُ من مُستشفى إلى آخرَ ، للعِناية بالمَرْضى . ولم تَذُقْ للراحةِ طَعماً . وَكانت لا تَجِد لذةً إلا فى العَمل الإنسانىِّ ؛ كتَخفيفِ آلامِ الْمَرضَى ، ومُساعَدةِ الأشقياء ، وإسعادِ البائسين . فَمن يَستطيعُ أن يقدرَ مَا قامَت به تلكَ المَرأة من عَمَلٍ جَليلٍ ؟ لقد قامَت بما قامَتْ به لا رغبةً فى الرِّبح أو فى الشُّهرة ، وَلكن حُبًّا لِلإنسانيةِ المعذَّبة . وكانتْ تقومُ بالإنفاقِ عَلى نَفسِها منْ مالِها الخاصّ . وَلَمْ تَأْخذْ أجرًا عَلى أىِّ عمل قامَتْ به . وَقد حَدَثَ أنْ قُدِّمَ لها مبلغٌ كبيرٌ من المال تَقديرًا لِخدماتِها فقالَتْ :

« إننِى لَنْ أقبلَ شيئاً من المال أو غيرِهِ ، وَلكنِّى أحِبُّ رايةَ بلادى » . فأُهديَتْ إليها رايةٌ جميلةٌ نُقِشَتْ عليها العِبارةُ التاليةُ :

« تذكارٌ واعِترافٌ بالأعمال الْجَليلة الَّتى قامَتْ بها آليسُ للعِنايَةِ بالفُقَراء وَالمساكينِ ، وإراحةِ المَرضَى

والجرحَى من بنى الإِنسان ، ولمَجهوداتِها العظيمةِ الَّتى قامَتْ بها » .

وإن نظرةً واحدةً إلى ما قامَت به من أعمال نبيلةٍ تُبيِّنُ أنها كانتْ تعطِف كلَّ العَطفِ عَلى جَميعِ المخلوقاتِ الشَّقيَّةِ البائسةِ ، ولَمْ تعنَ بالكائناتِ الإنسانيةِ فَحَسْبُ ، ولكنَّها عُنِيَتْ أيضاً بالرِّفْقِ بالحيَوانِ ؛ فَفى جهةٍ مُزدَحِمةٍ من الأَحياءِ الوَطَنيةِ أقامَت مَشرَبًا يَشرَبُ منهُ الخيلُ والحيوانُ . فَحياةٌ كهذهِ الحياةِ لا وُجودَ لها ؛ فقد كانَتْ حَياةً آليسَ للإِنْسَانيةِ ، وفى سَبيلِ الإنسانيةِ . وهَبتْ حَياتَها لسَعادَةِ الأَشقياء مِنْ بَنى الملاجئ ، وَالمُستشفَياتِ والسُّجون ، وفى تمريضِ المَرْضَى والجرحَى ، وفى العِنايةِ بالإنسان ، والرِّفقِ بالحَيَوانِ. وتَتَجلَّى عَظَمَتُها الإنسانيةُ إذا وازَنّا بَينها وبين غيرها ممن يعيشُون لأَنفُسِهم ، ولا يُفكِّرونَ إلاَّ فى أَنفسِهم . فَهىَ خالدةٌ بأَعمالها ؛ فقد عاشَتْ

لغيرها ، وماتتْ وهِي لا تفكرُ إلا فى غيرها . وأُعجِبَ النَّاسُ بنبلها وسُموِّها ؛ فكانت مِثالَ الرَّحمة . وشَكَرَ المُصلِحونَ لها عَطفَها ورحَمتَها .

أسئلة فى القصة :

(١) ماذا شكت آليس لعمتها ؟
(٢) ما الخطة التى رسمتها آليس ووافقت عليها عمتها ؟
(٣) صف عمل آليس اليومى منذ قدومها إلى عمتها ؟
(٤) ما أول رسالة إنسانية أدتها آليس وكيف نفذتها ؟
(٥) صف القسوة وسوء المعاملة فى المستشفيات زمن آليس ؟
(٦) ماذا دفعها إلى التفكير فى المرضى وزيارة المستشفيات ؟
(٧) مانتيجة تلك الزيارات التى قامت بها ؟
(٨) كيف كانتْ حال الملاجئْ فى ذلك العصر ؟
(٩) ما الطريقة التى رسمتها لإصلاح الملاجئْ والإكثار منها ؟
(١٠) ما الذى اتجهت إليه بعد إصلاح المستشفيات والملاجئْ ؟
(١١) صف حال مرضى العقول فى مشافيهم ، ولم حزنت آليس من أجلهم ؟
(١٢) هل تعجبك أعمال آليس ؟ وهل تحب أن تتبع طريقتها ؟

القصة الثالثة

المروءة

كان أَميرُ المؤمنين عُمرُ بن الْخطاب جالساً فى بعضِ الأَيام للقَضاء بينَ الناسِ والحكم بينَ الرَّعايا ، وعنده أَكابرُ أَصحابه مِنْ أَهلِ الرأى. فبينما هوَ جالسٌ إِذْ أَقبلَ عَليه شابٌّ وَسيمُ الطَّلعة ، وقد تعلقَ به شابَّان ، وجَذَباه مِن طَوقه ، وأَوقفاه بَينَ يَدَىْ أَمير المؤمنين عُمَرَ بنِ الخَطابِ رضىَ الله عنه . فنَظرَ أَميرُ المؤمنينَ إِلَيهما وإِلَيه ، وأَمرَهما بالكَفِّ عنه ، وأَدناه وقرَّبهُ منه ، وقَال للشَّابَّينِ ، ما قصتُكما مَعه ؟

فقالَا : يا أَميرَ المؤمنين ، نحنُ أَخوَان شقيقان ، كانَ لنَا أَبٌ شيخٌ كبيرٌ ، حَسَنُ التدبيرِ ، مُعظَّمٌ فى القَبائل ، مُنَزَّهٌ عن الرَّذائِل ، معروفٌ بالفَضائِل ،

رَبَّانا صِغارًا ، وأَوْلانا وأَعطانا مِنَنًا كِبارًا ، جَمُّ[1] المناقب ، كثيرُ المفَاخِرِ .

فخرج يومًا إلى حديقة له ليتنزَّهَ بينَ أَشجارِها ، ويقطِف يانع[2] ثمارها ، فقتلَهُ هذا الشابُّ ، وعَدلَ عَنْ طريقِ الرَّشادِ والْحِكْمَةِ . نسأَلُكَ الْقِصاصَ والْعِقَابَ بما جَناه ، والحكم فيه بما أَمرَ اللهُ .

فنظرَ عمرُ إلى الشاب نَظْرَةً مُرْهِبةً مُخيفةً ، وقالَ لهُ : قد سمعت من هٰذين الْغلامَينِ الخطاب ، فماذا تقولُ أنتَ فى الجواب ؟ وكان ذٰلك الْغُلامُ ثَابِتَ الجَنَان ، والْعقلِ ، جَرِئَ اللِّسان . قد خلعَ ثيابَ الهَلَع[3] ، ونَزعَ لبَاس الجَزعِ ، فتبسَّمَ وتكلَّمَ بأَفصح لسان ، وحيَّا أَميرَ المؤمنينَ بكلمات حِسانٍ ، ثم قالَ : واللهِ يا أَميرَ المؤمنينَ لقد وعيتُ ما ادَّعياه ، وصدَقَا فيما قالاه ، حيث أَخبَرا بما جرَى ، وكانَ أَمرُ اللهِ قَدَرًا

---

(١) كثير . (٢) ناضج . (٣) الجزع الشديد .

مَقدورًا . ولكنْ سأذكرُ قصتي بينَ يَدَيْك ، والأَمرُ فيها إليكَ .

أنَا يا أميرَ المؤمنين من صميمِ العربِ العَرباء ، الذين هُم أشرفُ مَنْ تَحتَ السماء . نَشَأْتُ فى منازل البادية ، فأَصابَتْ قومى سودُ السنينَ العادية . فأَقبلتُ إلى هذا البلدِ ، بالأَهلِ والمالِ والولدِ ، وسلكتُ بعضَ طرُقها ، إلى المسيرِ بينَ حدائقِها ، بنِياقٍ كَريماتٍ لدىّ ، عَزيزاتٍ علىَّ ، فيهنَّ جَمَلٌ كريمُ الأَصل ، مَليحُ الشكل ، يمشى بَينهنَّ كأَنه مَلِكٌ عليه تَاجٌ . فندَّت بعضُ النيَاق إلى حديقةِ أبيهم ، وقد ظهرَ من الحائط شَجرُها ، فتناوَلته بمشفرِها ، فطرَدْتها عن تِلكَ الحديقة . وإذا شيخٌ من خلال الحائِطِ قد ظهرَ ، وزفيرُ غَيْظِهِ يَرمى بالشرَر ، وفى يدهِ اليُمنى حَجَر ، وهو يتهادى كالأَسَدِ إذا حضَر ، فضربَ الْجَملَ بذلك الحجرِ فقتَله ؛ لأَنه أصاب مَقتله . فلما رأَيتُ الْجَمل

قد سقَط بجانبي ، آنستُ أن قلبي قد توقَّدَتْ فيه جَمَراتُ الغَضَبِ ، فتناولتُ ذلك الحجرَ عينَهُ ، وضَربتُه فكانَ سَبباً لِمَوْتِه ، ولقِيَ سوءَ مُنقلَبِه ، والمرءُ مقتولٌ بما قتَلَ به . وعندما أَصبْتُه بالحجَر صاحَ صيحةً عظيمة ، وصرخَ صرخةً أليمةً ، فأَسرعتُ بالسير من مَكاني . فأَسرَعَ هٰذانِ الشابان وأَمسكاني ، وإليكَ أَحضراني ، وبين يَدَيْكَ أَوْقفاني .

فقال عُمَرُ رضي الله عنه : قد اعْتَرَفْتَ بما ٱقترفْتَ[1] وَتَعذَّرَ الْخَلاص ، ووَجَبَ الْقِصاص ، ولاتَ حينَ مَناص .

فقالَ الشابُّ : سمعاً وطاعةً لما حكم به الإمام ، ورضيتُ بما ٱقتضته شريعةُ الإسلام ، ولكنْ لي أَخٌ صغير ، كانَ لهُ أَبٌ كبيرٌ . خصَّهُ قبل مَوْتِه بمال جزيل ، وسلَّمَ أَمرَه إليَّ ، وأَشهدَ اللهَ علَيَّ ، وقالَ :

---

(١) ارتكبت من الذنوب .

هذا لأَخيك عِندَك ، فاحفَظْه جهدَك ، فأَخذتُ ذلك المالَ منه ودفَنْتُه ، ولا أَحدَ يَعلمُ به إِلَّا أَنَا ، فإِن حكمتَ الآن بقتلِي ذهبَ المالُ ، وكنتَ أَنتَ السببَ في ذهابه ، وطالبكَ الصَّغيرُ بحقِّه يومَ يقضِي اللهُ بينَ خَلقِه . وإن أنت أَخَّرتَنى ثلاثة أَيامٍ ، أَقمتُ مَنْ يتولَّى أَمرَ الغلام ، وعُدت وافياً بالْعَهدِ . وَلى مَن يَضمَنُنى عَلى هٰذا الكلام .

فأَطرَقَ أَميرُ المؤمنينَ رأسَه ، ثم نَظَر إلى مَن حَضَر وقال : مَن يَقومُ لى بضَمانِه ، والعودِ إلى مكانِه ؟ فَنظَر الغُلامُ إلى وُجوهِ مَن فى المجلِس ، وأَشار إلى أَبى ذَرٍّ دونَ الحاضرين وقال : هٰذا يكفُلُنى ويَضْمَنُنى .

قال عُمَرُ رضى اللهُ عَنه : يا أَبا ذَرّ ! أَسمِعتَ هٰذا الكَلامَ وتَضمَنُ لى حُضورَ هٰذا الغلام ؟

قالَ : نَعَمْ يا أَميرَ المؤمنين ! أَضمنُه إلى ثلاثة أَيام . فرضِىَ بذلك ، وأَذِن للغلام فى الانصراف . فلما

انقضت مُدةُ الإمهال ، وقَرُبَ وَقتها يزولُ أَوْ زالَ ، ولم يَحضر الشابُّ إلى مَجالِس عُمرَ ، والصحابة حولَه كالنجوم حولَ القمرِ ، وأَبُو ذرٍّ قد حَضَر . والخصمانِ ينتظِران ، قَالا : أَين الغريمُ يَا أَبا ذَر ؟ كيفَ رُجُوعُ مَن فَرَّ؟ ولكننا لا نبرَحُ مِنْ مكانِنا ، حتى تأْتينَا بهِ للأَخذِ بثأْرنا .

فقال أَبو ذَرٌّ : وحقِّ الملِكِ العَلَّام . إِن انقضت ثلاثةُ الأَيامِ ، ولَمْ يحضُر الغلامُ . وفيتُ بالضمانِ ، وسَلمتُ نفسى للإِمام .

فقالَ عُمرُ رضىَ اللهُ عنه : واللهِ إِن تأَخرَ الغلامُ لأَقضِينَّ فى أَبى ذرٍّ ما اقتَضَتهُ شَريعةُ الإِسلامِ .

فَهمَلَت وفاضَت عَبَرات الْحاضِرين ودُمُوعُهم ، وارتفعَتْ زَفَراتُ الناظِرين . وعظُم الضجيجُ . فَعَرَض أَكابرُ الصحابةِ عَلى الشابَّينِ أَخْذَ الدِّيَةِ . فأَبَيَا وامْتَنعَا ، ولم يَقبَلا شيئاً إِلَّا الأَخذ بالثَّأْرِ .

فبينما الناسُ يموجون ويضِجُّون حُزناً عَلى أَبى ذَرٍّ إذ أَقبَلَ الغُلام ، ووقفَ بينَ يَدَى الإمام ، وَوجهُهُ مُشرِقٌ يتهلَّل ، وبالعرق يتكلَّلُ ، وقالَ له : قد أسلمت الصبى إلى أَخوالِه ، وعَرَّفتهم بجميعِ أحواله ، وأَطلعْتهم على ما كان من ماله ، ثم اقتحمت هاجرةَ الحرِّ ، ووافيتُ وفاءَ الحُرِّ . فتعجَّبَ الناسُ من صِدقِه وَوفائِه ، وإقدامِه عَلى الموتِ واجترائِه ، فقالَ له بعضُهم : ما أَكرمَك مِن غلام ، وأوفاكَ بالعَهدِ والذِّمام ؟

فقالَ الغلامُ : أَمَا تحققتم أن الموت إذا حَضَر لا ينجُو منه أحد ؟ وإنمَّا وفيت كىْ لا يقالَ ذهبَ الوفاءُ مِن الناسِ .

فقالَ أَبو ذرٍّ : واللهِ يا أَمير المؤمنين ! لقد ضمِنتُ هٰذَا الغلام ولَم أَعْرِفهُ منْ أىِّ قوم ، وما رأيتُه قبلَ ذٰلكَ اليوم ، ولكن لمَّا أَعرض عَمَّنْ حضَر وقصدَنى وقالَ هٰذا يضمَنُنى ويكفُلُنِى ، لَمْ أَستحسِنْ رَدَّه .

وأَبَت المروءَةُ أَن تخيبَ قصدَه ؛ ليسَ في إجابةِ القَصدِ من بَأْس ، كي لا يقالَ ذهبَ الفضلُ من الناسِ .

فعند ذلك قال الشابان : يا أَميرَ المؤمنين ! قد وهَبْنا لهذا الشابِّ دمَ أَبِينا حيث بَدَّل الوَحشةَ بالإِيناسِ كيْ لا يقالَ ذهبَ المعروفُ من الناسِ ، واستبشَر الإِمامُ ، بالعفو عن الغلام ، وصدقهِ ووفائه بِالْعَهدِ ، واستكبَر مُروءَةَ أَبى ذرٍّ ، واستحسَنَ تسابقَ الشابَّين في اصطناعِ المعروف ، وأَثْنَى عليهما ثناءَ الشاكِر ، وتمثلَ بقولِ الشاعر :

مَن يفعل الخيرَ لا يعدمْ جوازيه

لا يذهب العرفُ بين اللهِ والناسِ

ثم عرَض عليهما أَن يصرِفَ إِليهما ديةَ أَبيهما من بيت المالِ ، فقالا : إِنا عفوْنا عنه ابتغاءَ وجه اللهِ الكريم المتعالِي . ومَنْ نيتُه كذا لا يتبعُ إِحسانَه منًّا ولا أَذى .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) ماذا شكا الشابان إلى عمر؟ ولماذا قتل الشاب الآخر أباهما ؟
(٢) بماذا قضى عمر ؟
(٣) من ضمن ذلك الشاب القاتل ؟ وهل كان يعرفه ؟
(٤) لماذا ضمن أبو ذر شخصاً لا يعرفه ؟
(٥) متى حزن المسلمون على أبى ذر ؟ وهل طال ذلك الحزن ؟
(٦) لماذا رجع الشاب القاتل ؟
(٧) ماذا كانت نتيجة رجوعه ؟
(٨) من أعجبك من أشخاص هذه القصة ولماذا ؟

(ب) أكمل الجمل الآتية بوضع كلمات مناسبة فى الأمكنة الخالية منها :
(١) كان لنا أب شيخ . . . حسن . . . معروف . . .
(٢) تبسم الشاب ، وتكلم بأفصح . . . وحيا أمير المؤمنين بكلمات . . .
(٣) أسرع هذان الشابان و . . . وإلياك . . .
(٤) الصحابة حول عمر . . . كالنجوم حول . . .

فهرس الكتاب

الطفلان اليتيمان

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

كتبخانه حسينيه، ديوبند، يو-پی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين . والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين . (وبعدُ) : فيسرني أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصص الشرقيةِ والغربيةِ . راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورغباتِهم . وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصاً منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة . فى صورةٍ ملائمة للطفولةِ ومداركِها . تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الْجهدِ فى اختيارِها . حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخير منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً . وهكذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذهِ المجموعةِ ألواناً من القصصِ الخياليةِ . والواقعيةِ . والاجتماعيةِ . والخلقيةِ . والعلميةِ . والأدبيةِ . والجغرافيةِ . والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الْحديثة للأطفال» يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ : ففيها يجدُ ما يرغّبه فى القراءةِ . ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها : فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يستهويَه وضوحُها . وسهولةُ لغتِها ، وجمالُ أسلوبِها . وحرصُها على المثُلِ العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعيةِ والعاطفية : فيمضىَ إلى نهايتِها . ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقاً إلى معاودَةِ قراءتِها .

وقد راعيت فيها سهولة اللغة، وحسن الأسلوب، وشرحت من الكلمات اللغوية ما صعب، ووضحت بعض القصص بصور واضحة لتكون عوناً على فهم هذه القصص، وليكتسب منها الطفل دقة الملاحظة، وحسن الذوق.

وأعتقد أن الآباء والأمهات، والمدرسين والمدرسات، سيجدون في هذه المجموعة المتنقاة خير ما يهدون إلى أبنائهم وبناتهم من ثروة تغذي عقل الطفل، وتنمي خياله، وتسمو بروحه، وتهذب وجدانه، وتربي حواسه، ويجد في قراءتها لذة وسروراً يشعر بهما الكبار أنفسهم حين يقرءونها.

وأرجو أن أكون بهذه المكتبة، قد قمت بواجبي نحو الجيل الجديد في هذا العهد السعيد، في جمهورية مصر العربية، والشرق العربي.

أسأل الله التوفيق، وتحقيق الآمال، إنه سميع مجيب.

محمد عطية الإبراشي

القِصَّة الأولى

الطِّفْلانِ اليَتيمان

حُكِيَ أَنَّ طِفلَيْنِ كانَا يَعيشانِ مَعَ أَبيهِما وَأُمِّهما في مَنْزِلٍ جَميلٍ لَهُ حَديقةٌ واسعة . وكانَت الأُمُّ تُحِبُّ طِفْلَيْها كَثيرًا لِجَمالِهِما وَحُسْنِ أَخْلاقِهِمَا .

وبَعْدَ أَيَّامٍ مَرِضَ الأَبُ ثُمَّ مَات . وَلَحِقَتْهُ الأُمُّ المِسْكينَةُ بعْدَ أسابيعَ . فأَصْبَحَ الطِّفْلانِ مِنْ غيْرِ أَبٍ وَلا أُمٍّ . وقدْ وَرِثَا مِنْ أَبيهِما ثَرْوَةً عَظيمَة . وكانَ للطِّفْلَيْنِ عَمٌّ فَقيرٌ ظالِمٌ . غَليظُ القَلْبِ . لا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ . فلمَّا علِمَ بِمَوْتِ أخيهِ الْغَنِيِّ ذَهَبَ إلى مَنْزِلِهِ . فوَجَدَ الطِّفْلَيْنِ فيهِ . ووَجَدَ عِنْدَهما مالًا كثيرا . وَثَرْوَةً كَبيرَةً . فعزَمَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَ الطِّفْلَيْنِ المِسْكينَيْنِ مِنْ غيْرِ ذَنْبٍ ، لِتَبْقَى لَه تِلْكَ الثَّرْوَةُ الكبيرَة . ولكِنْ كَيْفَ يَقْتُلُهما ؟ !

حِينئذٍ فكَّرَ الْعَمُّ الغليظُ القلْبِ فى طريقةٍ لقَتْلِهِمَا . فاسْتأْجَرَ رجُليْنِ منَ الأَشْقِيَاءِ . واتَّفقَ معَهُمَا عَلَى قتْلِ الطِّفْليْنِ .

جاءَ الشَّقيَّانِ يوْماً إلى المنْزِلِ . وقَالا للطِّفليْنِ : ما أَجْمَلَ الْغابَةَ ! إنَّ فيهَا طُيورًا جَميلةً بيْضاءَ . تَصْنعُ عِشاشاً لهَا فوْقَ الأَشْجارِ . وتَبيضُ بَيْضاً صغيرًا جميلاً . وفى الغَابَةِ أَزْهارٌ مُخْتلفَةُ الأَلْوانِ . هيَّا بنَا لِنرَى الغابَةَ ومَا فيهَا ! فاغْترَّ الطِّفْلانِ بِهذا الْقوْلِ ، وذَهبَا معَ الرَّجُليْنِ . واسْتمرَّا يَمْشِيَانِ حتَّى تَعِبَا تَعباً شَديدًا ، وعَجَزا عَنِ السَّيْرِ . ولكنَّ الرَّجُليْنِ أَخَذا يُشَجِّعانِهِما حتَّى مشَيَا مَسافةً كَبيرةً فى دَاخلِ الغَابةِ .

ثُمَّ نظَرَ أَحدُ الرَّجليْنِ إلى الآخرِ وقالَ لهُ : مُحالٌ أَنْ أَقْتُلَ الأَطْفالَ . وقدْ أَقبلَ اللَّيْلُ . والجَوُّ باردٌ . والطِّفلانِ بَعيدانِ عَنِ الْبَيتِ . فلا يَسْتطِيعانِ الآنَ الرُّجُوعَ إليْهِ . فإذا ترَكْناهُما أَكَلَتْهمَا الْوُحُوشُ فى الْغابةِ .

فوافقهُ زَميلهُ عَلَى رَأْيهِ ، وَتركَا الطّفليْن اليَتيمَينِ وَحْدَهُما فى الْغَابة ، ثمَّ الْتفَتَ الطفلان وَراءَهُما ، فلمْ يَجِدا أَحدًا ، فبَكَيَا كَثيرًا ، ثمَّ ناما تحْتَ شَجرَةٍ كبيرَةٍ ، فرَأَتْهُمَا الطيُورُ البيْضاءُ ، وَخافتْ عليْهِما البَرْدَ والوُحوشَ ، فأَحْضَرَتْ كَثيرًا من الأَزْهارِ الْجَميلةِ ، وَغطَّت الطِّفلينِ بها حَتَى شَعرَا بِدِفْءٍ .



الطفلان اليتيمان والطيور تحرسهما وتغطيهما بالأزهار

وَلَمَّا ظَهَرَ الصَّبَاحُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ أَخَذَتِ الطُّيورُ الْبيْضَاءُ تغَرِّدُ وتُغَنِّي حَتَّى اسْتيْقَظ الطِّفْلاَن ، فَنَظَرَا حَوْلَهُما فَوَجدا الأَزهارَ الجميلَةَ ، والطُّيورَ الْبَيضاءَ الْعَجيبةَ .

طارَتِ الطُّيورُ البيْضاءُ ، فتَبِعَاهَا حَتَّى وَصَلا إلى الْمَدِينةِ . وَعَرَفَا مَنْزِلَهُمَا . وَهُنَاكَ وَجَدا عَمَّهُما مريضاً . فلمَّا رَآهُما سالمَيْنِ ازْدادَ مَرَضُهُ ، وَاشْتَدَّ أَلَمُه . وبعْدَ قليلٍ ماتَ العَمُّ الظَّالِمُ . فَعاشَ الطِّفلانِ بعْدَ مَوْتِهِ سَعيدَيْنِ مَسْرُورَيْنِ .

(أ) أسئلة فى القصة :

(١) فى أى شىء فكر عم الطفلين بعد موت أبيهما ؟

(٢) بماذا تصف هذا العم ؟

(٣) ما الذى فكر فيه الرجلان بعد أن ذهبا إلى الغابة ؟

(٤) كيف نام الطفلان فى الغابة والجو بارد ؟

(٥) كيف رجع الطفلان إلى منزلهما ؟

(٦) بماذا شعر عمهما حينما رآهما فى المنزل ؟ ولماذا ؟

(٧) من يذكر هذه القصة بعبارة سهلة ؟

(٨) اكتب هذه القصة بعبارة صحيحة من عندك .

(ب) أكمل الجمل الآتية بوضع كلمات مناسبة فى الأمكنة الخالية منها :

(١) قال أحد الرجلين للآخر : محال أن . . . الأطفال .

(٢) بكى الطفلان كثيراً . ثم ناما تحت . . . كبيرة .

(٣) أحضرت الطيور كثيراً من . . . الجميلة . وغطت . . بها .

القِصة الثَّانية

الدَّجاجَة الصَّغيرَةُ

عاشَتْ دَجاجَةٌ صغِيرَةٌ مَع بَطَّةٍ وإوَزَّة ، وكانَتِ الْبَطَّةُ كَسْلانَةً لا تُحِبُّ العَملَ ، ولم تَنْقُص الإوَزَّةُ عَنِ الْبطَّةِ فى الكَسَلِ ، فاضْطُرَّتِ الدَّجاجَةُ الصَّغِيرَةُ أَنْ تعْمَلَ بنفسِها كُلَّ شىءٍ فى المنْزِل .

وَفى يَوْمٍ من الأَيَّامِ سأَلَتِ الدَّجاجَةُ : مَنْ مِنْكما تُوقِدُ النَّار ؟

فأَجابتِ البَطَّةُ : أَنَا لا أقْدِرُ أَنْ أَقُومَ بذلِكَ . وكَذلِكَ أَجابَت الإِوَزَّةُ .

فقالتِ الدَّجاجَةُ : سَأَقُومُ أَنَا بإِيقادِ النَّارِ . ثُمّ أَوْقَدَتِ النَّارَ بِنفْسِها ، وَسأَلَتْ : مَنْ يُجَهِّزُ الكَعْكَ لِلْفَطُورِ ؟

فأَجابتِ البطَّة : إنِّى لَنْ أُجَهِّزَ شيئاً . وكذلكَ قَالت الإِوَزَّةُ .

فقالتِ الدَّجاجة : سَأُجَهِّزُ أَنَا الطَّعامَ ، ثمَّ جَهَّزَتْ كَعكة صغيرَةً لِلْفَطُور . وَحينما كانتْ تَخْبِزُهَا على النَّار سأَلَتْ : مَنْ يُعِدُّ المائِدَةَ لِلْفَطُورِ ؟

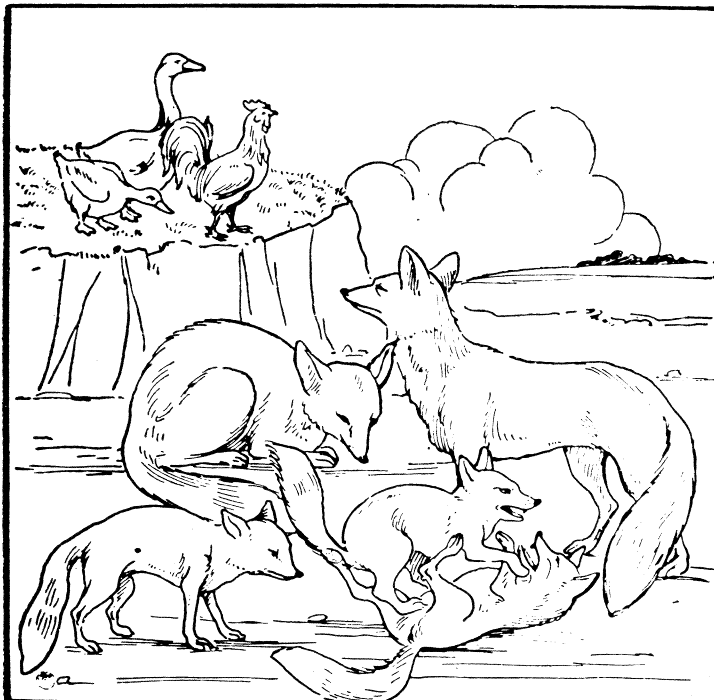
فأَجابَتِ البَطَّةُ : أَنَا لا يُمكِنُنى أَنْ أُعِدَّهَا ، وأَجابَتِ الإِوَزَّةُ : أَنَا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعدَّها .

فقالتِ الدَّجاجةُ : سَأَقُومُ أَنَا بإِعْدادِها ، ثمَّ أَعَدَّتْهَا وَأَنْزلتِ الكَعكَة ، وَوَضعَتْها فى طَبقٍ ، وَحملتْها إلى المائِدَةِ ، فوَجدتْ هُناكَ الإِوَزَّةَ الكَسْلانَةَ جالسةً على الكُرْسِىِّ تنتَظِرُ الفَطورَ ، ورأَتِ البَطَّةَ الكَسْلانَةَ تَحومُ حَوْلَ المائِدَةِ ، تُحِبُّ أَنْ تَتنَاوَلَ طَعامَها . فوَقَفتِ الدَّجاجةُ الصغِيرةُ ، وَسَأَلتْ : « مَنْ يَأْكُلُ هذِه الكعكةَ ؟ »

فأَجابتِ الْبَطَّةُ الكَسْلانَة : « أَنا آكُلُها » .

وَأَجابتِ الإِوَزَّةُ الكَسْلانَة : « أَنَا آكُلُها » .

فقالتِ الدَّجاجةُ الصغيرَةُ : « إِنَّكما لَنْ تَأْكُلا مِنْها شيْئاً » .



رجعت الدجاجة إلى الإوزة والبطة . ورجع الثعلب إلى الثعالب

وَأَخَذَت الكَعْكَة وَخَرَجَتْ ، وذَهَبتْ بها إلى مَكان

بَعيدٍ ، وجَلست لتَأْكُلَها . فرآها ثعْلَبٌ يبْحَثُ عنْ طَعامٍ لِصغَارِهِ ، وَشَمَّ رائحةَ الكَعْكةِ ، ورَائحةَ الدّجاجَةِ فَسارَ بِهُدُوءٍ خُطْوَةً خُطْوَةً ؛ حَتى وَصَلَ إلى الدّجاجَةِ ، وَأَتَى مِنْ خَلْفِها وَخَطِفَهَا ، ووَضعهَا فى كيسٍ على ظَهْرِهِ ، ثمَّ جَرى . وَأَسرعَ فى الجَرىِ ليَذْهَبَ إلَى صِغَارِه منَ الثَّعالِب .

خافتِ الدَّجاجَةُ ، وَأَخَذَتْ تُفكِّرُ فى أَمرِها ، ثُم أَرادَتْ أَن تعْطُسَ ، فوضَعَتْ يَدَها فى جَيْبِها لتَبحث عنْ مِنديلٍ ، فوقَعَ فى يَدِها مِقَصٌّ صَغيرٌ كان فى جَيْبِها . فأَخَذَتْ تَقطَعُ الْكيسَ بالْمِقَصِّ . حتَّى قطعَتْ مِنْه جُزْءًا يَكفِى خُروجَها مِنْه . ثمّ انْتَظَرَتْ حَتّى وَصَلَ الثعلَبُ إلى تلٍّ فيهِ كثيرٌ مِن الحِجارة ، فانَتهزتِ الفُرصةَ . وَقفَزَتْ من الْكيسِ ، والثَّعلَبُ يَطلعُ التَّلَّ ببُطْءٍ ، ووَضَعت بسُرْعة حَجَرًا كَبيرًا فى الكيسِ ؛ حتّى لا يُحِسَّ الثّعلبُ بنزولها .

أَخَذَ الثَّعلبُ يَسيرُ فى طَرِيقِهِ وَهُو يَظنُّ أَنَّ الدَّجاجَةَ سمينَةٌ ؛ لأَن الْكيسَ كان ثَقيلًا . فَقابلَتْهُ الثعلَبةُ عِنْدَ بابِ البَيْتِ ، وَفرِحَتْ بهِ ، وَقالتْ لهُ : أُدْخلْ وَضَعْ فَطورَنا فى الْقِدْر ؛ فإن الماءَ يَغْلى .

فأَفرَغَ الثّعْلَبُ الْكيسَ فى الْقِدرِ ، فوَقعَ مِنهُ حَجَرٌ كَبيرٌ طَارَ مِنْهُ رَشاشُ الماءِ فى المَطبَخِ ؛ فرآه الثعْلَبُ فضَحِكَ ، فسأَلتْهُ الثعْلَبةُ : ما هذا ؟ فأَخْبَرَها فضحكَتْ ، وَأَتتِ الثعالبُ الصغيرةُ للبَحْثِ عن الدَّجاجةِ ، فوجدتْ بَدَلَها حَجرًا ، فأَخَذَتْ تَضْحكُ مَعَ أُمِّها وَأَبيها ، ثمَّ قال الثعْلَبُ : إِنى آسِفٌ لِهَربِ الدَّجاجَة ، ثمّ أَحْضَر طَعاماً آخَر ، ووَضَعهُ فى الماءِ ؛ لِيَكُونَ فَطورًا لهُ وَلزوْجَتِه وَصِغارِه . أَمَّا الدَّجاجةُ الصغِيرةُ فقَدِ اخْتَبَأَتْ فى جُحر حَتى ابتَعَدَ الثعْلَبُ ، وَغابَ عن النظَرِ ، ثمَّ أَخَذَتْ تَجْرى حَتى وَصلَتْ إِلى منْزِلِها عنْدَ غروبِ الشمسِ .

وَحِينَما دَخلَتِ الحديقَةَ سمِعَتْ صَوْتاً حَزيناً مِنَ الْإِوزَّةِ يقولُ : إنِى أُحِبُّ أَن تَرْجِعَ الدَّجاجةُ الصغيرةُ ، ثمَّ سَمِعت الْبَطَّةَ وَهىَ تَقولُ بحُزْن : إنى أُحِبُّ أَن تَرْجِعَ الدجاجَةُ الصغيرَةُ المحْبوبةُ .

فَقالت الدَّجاجةُ الصغيرةُ النّشيطةُ ، لقدْ رجَعْتُ إلَيْكما . وَأَخْبَرَتْهُما بِرِحْلَتِها وَما حدَثَ لها مَعَ الثَّعْلَبِ ، فتألَّمَت الْإِوَزَّةُ وتَابَتْ وقالَتْ : إنِّى لَنْ أَكونَ كَسْلانةً بَعْدَ الْيَوْمِ . وسَأَفْعَلُ كلَّ ما تأْمُرِين بِهِ . وَنَدمَت الْبَطَّةُ وقالتْ : إنِّى سَأَفْعَلُ كلَّ ما أَسْتَطيعُ لتَكونى راضِيةً عَنِّى ، وَلَنْ أَكونَ كَسْلانةً بَعْدَ الْيَوْمِ . وعاشَت الدَّجاجةُ الصَّغيرَةُ والْإِوَزَّةُ والبَطَّةُ بَعْدَ ذلِكَ مَعاً مَعيشَةً كُلُّها عَمَلٌ واجتهادٌ . واتِّفاقٌ واتِّحادٌ . وسَعَادَةٌ واغْتباطٌ ، وفرَحٌ وسُرُورٌ .

أسئلة فى القصة :

(١) هل تعاونت الإوزة والبطة مع الدجاجة ؟ لماذا ؟

(٢) ماذا فعلت الدجاجة بالكعكة ؟

(٣) كيف وصل الثعلب إلى الدجاجة ؟

(٤) كيف تخلصت الدجاجة من الثعلب ؟

(٥) ما الذى وجده الثعلب فى الكيس حينما رجع ؟

(٦) كيف رجعت الدجاجة إلى منزلها ؟

(٧) بماذا أحست الإوزة والبطة حينما وصلت الدجاجة ؟

(٨) كيف عاشت الطيور الثلاثة بعد ذلك ؟

(٩) من يذكر هذه القصة بعبارة سهلة صحيحة ؟

القِصَّةُ الثَّالِثَة

الملكُ وَالرَّاعى

فى يَوْمٍ شَديدِ الْحَرِّ خَرَجَ أَحَدُ المُلوكِ إلى الْحُقولِ وَالْمَزارِعِ الخَضرَاءِ ؛ لِيُمَتِّعَ نَفْسَهُ بتِلْكَ الْمَناظِر الجَمِيلَةِ . ويَشَمَّ الهواءَ الجَميل . وَلَمَّا تَعِبَ مِنَ السَّيْر جَلَسَ تَحتَ شَجَرَةٍ لِيَسْتَريحَ . وكانَ الْجَوُّ جميلاً ، وَالسَّماءُ صافِيةً . ثم أَخَذَ ينْظرُ إلى ما حوْلَه منْ زراعَةٍ جَميلَةٍ . وأَرْضٍ خَضْراءَ ، وَطُيور مُغَرِّدَةٍ تنْتَقِلُ منْ شَجَرةٍ إلى شَجَرةٍ . وغَنَم تَرْعَى فى وَسَطِ تِلْكَ الحُقولِ.

سُرَّ الملِكُ بِهذَا المَنْظَرِ الجَميل . وأَخْرَجَ منْ جيْبِهِ كِتاباً ، وَأَخذَ يَقْرَأُ حتّى غَلَبَه النَّوْمُ . فَنَامَ وهُوَ جالِسٌ تحتَ الشَّجَرة .

اسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ عَصْرًا ، وكانَتِ الحَرارَةُ قد قَلَّتْ ، ثمَّ أَخذَ عَصاهُ يُريدُ الرُّجوعَ إلى قَصْرِه

. وبعْدَ أَن سارَ مِيلًا أَوْ أَكْثر تَذَكَّرَ كِتابَهُ الَّذِى كان يَقْرؤُه ، وأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْهُ فى جيْبِه فلَمْ يَجدْهُ . وَهُنا تَذَكَّر أَنَّهُ نَسِيَهُ عِنْدَ الشَّجَرة الَّتى كانَ نائماً تَحْتَها منْ شِدَّةِ التَّعب .

لَمْ يُرِد الْمَلِكُ أَنْ يَرْجِعَ لِلْبَحْثِ بِنَفْسِهِ عنِ الكتَابِ ؛ لأَنَّهُ كانَ فى غايةِ التَّعَبِ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَضيعَ الكِتابُ منهُ ؛ لأَنَّهُ كانَ مُحِبًّا لهُ . وَتَمَنَّى أَنْ يَجِدَ أَحَدًا يُرْسِلُهُ لِيُحْضِرَ لهُ الكِتابَ .

وَفى الْوَقْتِ الَّذِى كانَ يُفَكِّرُ فيهِ رَأَى غُلَاماً صَغيرًا ، حافِىَ الْقَدَمَيْنِ ، يَرْعَى غَنَماً فى حَقْلٍ منَ الْحُقول .

فَذَهَبَ الْمَلِكُ إلى الْغُلام ، وأَظْهَرَ لهُ قِطَعةً ذَهَبِيَّةً من النُّقودِ ، وَقالَ لهُ : هَلْ تُحِبُّ يا بُنَىَّ أَنْ تَكونَ هَذِهِ الْقِطْعَةُ الذَّهَبِيَّةُ مِلْكاً لَكَ ؟

فأَجابَ الرَّاعِى : إِنِّى أُحِبُّ ذٰلِكَ يا سيِّدى . ولٰكنْ كَيْفَ يَسْتطِيعُ رَاعٍ فَقيرٌ مِثْلِى أَنْ يَحْصُل عَلَى


سأساعدك يا بنى حتى ترجع الغنم

نُقودٍ مِنَ الذّهَبِ ؟

فَقالَ الْمَلِكُ : إنِّى سأُعْطِيكَ هذِهِ الْقِطْعَة

الذَّهبيَّةَ مِنَ النقُودِ إِذَا جَرَيْتَ إلى تِلْكَ الشَّجرَةِ الْبَعِيدَةِ الْقائِمَةِ عَلى الْجِهَةِ الْيُمْنَى مِنْ هذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَحْضَرْتَ لِى الْكِتَابَ الذى تركْتُه تحتَها .

فَنظرَ الرَّاعى إلى الملِكِ وَقالَ لهُ : « إنك تريدُ أَن تَعملَ عَلَىَّ حيلةً لأُحْضِرَ لك ما تُحبُّ ، ثم تَضحَكَ مِنِّى » .

فقَدَّمَ لهُ المَلكُ قِطعةَ النُّقودِ وَقال لهُ : « خُذِ القِطعةَ الذَّهبيَّةَ مَعك ؛ لتَتَيقَّنَ حقيقةَ كلامى ، وتُسرعَ وَتُحْضِرَ الْكتَابَ » .

فسُرَّ الْغُلامُ ، ولَكنهُ لَمْ يَذْهبْ خَوْفاً عَلَى غَنمِهِ .

فسأَلَهُ الْمَلكُ : « لماذا تَترَدَّدُ الآنَ فى الذَّهابِ ؟ » .

فأَجابَ : « إنِّى أُحبُّ أَن أَذْهبَ يا سَيِّدى ، ولكنِّى أَخافُ أَن تَتيهَ الْغنَمُ ، فيلُومَنى صاحبُها » .

فقالَ الْمَلكُ : « سأَقومُ لك بحراسَةِ الْغنم حتَّى تَعودَ وتَرْجِعَ » . فقالَ الْغُلامُ : « إنى أُحِبُّ أَن أَراك وأَنت ترْعاها ليَطْمئنَّ قَلبى » .

فقال الْمَلكُ : « أُتركُنى أُحاولُ وَأَنتَ ترَى » ثمَّ سَلَّمَ الْغُلامُ الْعصَا لِلمِلكِ ، وَسارَ قَليلاً فى طريقهِ ثمّ رجعَ .

فسأَلهُ الْملكُ : « ماذا حدثَ يا بُنَىَّ ؟ ولماذا رَجعْتَ ؟ » .

فأَجابَ الْغُلامُ : « أُريدُ أَن أَراكَ وَأَنتَ تَسْتعملُ الْعصَا معَ الْغنم » .

فبَيَّنَ لهُ الْملِكُ كَيفَ يَسْتَعملُها إِذا حاوَلَتِ الْغنَمُ الهَربَ ، فاطمأَنَّ الْغُلامُ ، وَاقْتَنعَ بأَنّ الملكَ يَسْتَطيعُ أَن يَسْتَعمِلَ العَصَا ، وَذَهبَ الغُلامُ ليُحْضرَ الكتَابَ .

جلَسَ الملِكُ عَلَى حَجَرٍ ، وَأَخذَ يَضحَكُ وَهُو يَرْعى الْغنَمَ ، فأَحسَّت الغنَمُ بعَدَمِ وُجودِ الرَّاعى ، فأَخذَتْ تُصوِّتُ « ماء ماء » ثمَّ جَرَتْ إِلى الحَقل المجاوِرِ . وَأَخذَتْ ترْعَى فى بِرْسِيمِ الْجيرانِ .

فقامَ الْمَلكُ مُسرعاً وَراءَ الغَنمِ . وَلكنهُ لمْ يَسْتَطعِ الجَرْىَ ، فاعْتَدَتِ الغَنَمُ على حقْلِ الجارِ وَأَتْلفَته .

وَبَعْدَ بِضْعِ دقائقَ رجعَ الغُلامُ والكتَابُ فى يَده . ولمَّا لم يَرَ الغنَمَ فى مكانِها صاحَ وَقَال : « هذا ما حَسِبْتُه . لقَدْ وَجَدتُ كتابَكَ ، وَلَكنْ أَتلفَتِ الغنَمُ حقْلَ جارِنَا وَلا أَعْلَمُ ماذا أَقولُ لهُ » .

فقالَ لهُ الملكُ : « إِنِّى آسِفٌ يا بُنَىَّ ، سأُساعِدُكَ حتَّى تَرْجعَ » .

فقالَ الغُلام : « اجْرِ وَقِفْ هُناكَ حتَّى أَسوقَ الغنَمَ مِن حَقْلِ الْجَارِ » . فَفَعَلَ الْمَلِكُ كما أُمِرَ ، وَجرَى الغُلامُ إلى الأَمامِ لِيُسَاعِدَه وبَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ النِّداءِ رَجعَتِ الغنَمُ إِلى مكانِها الأَوَّل .

فقالَ المِلكُ للغُلامِ : « عفوًا يا بُنَىَّ ؛ فإِنِّى لا أُحْسِنُ رَعْىَ الغنَم ، ولكنِّى مَلِكٌ أُحْسِنُ رَعْىَ أُمَّتى وَبِلادِى » .

فَتعجَّبَ الغُلامُ وقالَ : « هَلْ أَنْتَ مَلِكٌ حَقًّا ؟ إِنِّى كُنْتُ مُخْطِئاً لِترْكِ الغنَمِ مَعكَ ، وَسأُخْطِئُ مَرَّةً أُخْرَى لَوْ صَدَّقْتُ أَنَّكَ مَلكٌ » .

فقال الملكُ : « حَسنٌ جِدًّا . هذِهِ قِطْعَةٌ أُخْرَى من الذَّهَبِ لكَ » . فأَخذَ الغُلامُ القِطْعَةَ وقالَ لهُ : « إنَّكَ رَجُلٌ مُحْسِنٌ حقًّا . ولكن إذا أَرَدْتَ أَنْ تُجَرِّبَ عَمَلاً مِن الأَعْمالِ فى يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ فَلاَ تُحَاوِلْ أَنْ تَكُونَ راعِيَ غَنَمٍ ؛ لأَنَّكَ لا تُحْسِنَ هَذا النَّوْعَ مِنَ العَمل ، والواجِبُ أَنْ يُتْقِن كُلُّ إنْسَانٍ عَملَهُ .

أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى تذكره الملك وهو راجع إلى قصره ؟
(٢) أين نسى الملك الكتاب ؟
(٣) بماذا وعد الملك الراعى إذا أحضر له الكتاب ؟
(٤) لماذا تردد الغلام فى الذهاب ؟
(٥) ماذا تفعل لو كنت الراعى ؟
(٦) ماذا حدث من الغنم بعد ذهاب الراعى ؟
(٧) هل أتلفت الغنم شيئاً ؟
(٨) هل استطاع الملك أن يرعى الغنم ؟
(٩) ما الذى قاله الغلام للملك حينما وجد الغنم فى حقل الجار ؟
(١٠) كيف أعيدت الغنم إلى مكانها الأول ؟
(١١) هل صدّق الغلام أنه ملك ؟
(١٢) ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟
(١٣) من يذكر هذه القطعة بعبارة سهلة ؟

القصَّة الرَّابعة

الْفقيرةُ المحسِنةِ

إذا زُرْتَ مَدينةَ (نيو أُورليانس) - تِلْكَ المَدينةَ الْجَميلة بِالولاياتِ الْمُتَّحِدة بأَمْرِيكا - وذَهَبْتَ إلى الْحَيِّ القَدِيمِ منْ تِلكَ الْمَدينةِ ، وهوَ حَيُّ الأَعْمالِ ، حَيثُ المصارِفُ الْماليَّةُ ، والْحوانيتُ التِّجاريَّة ، والفَنَادِقُ الْمتوسِّطةُ - وَجَدْتَ هناكَ تمثالاً فى مَيْدان صَغير لامرَأَةٍ جالِسَةٍ عَلَى كرسِيٍّ ، وعَلَى يَدَيْها طِفْلٌ منَ الأَطْفال . وهوَ أَوَّلُ تمثالٍ كُرِّمَتْ بهِ امْرَأَةٌ فى أَمْرِيكا منَ النِّساءِ الْفقيراتِ ، فى وقت لمْ تكُنْ تُنْصَبُ فيهِ التَّماثيلُ للنِّساءِ ، إلَّا الملِكاتِ أَو الأَميرات بأُوْرُبَّة

لمْ تَكُنْ تِلكَ المَرْأَةُ جَميلةً ، بَلْ كانَتْ مَلابِسُها مُتَواضعَةً ، تَضَعُ (شالاً) على كَتِفها ، وَقبَّعةً على

رَأْسِها ؛ ولٰكنْ إذَا نَظَرْتَ إلى وَجْهِها بَدَا لكَ الْحنانُ ، وظَهرَ الْعَطْفُ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ . هٰذا التِّمْثالُ هوَ لِامرأَةٍ تُسمَّى (مَرجريتَ هُوفرى) ، وَهِىَ تُعْرفُ فى مَدينةِ نيو أُورليانسَ (بِمرجريتَ) وسأَقُصُّ عَليْكَ قِصَّةَ تِلكَ الْمرْأَةِ ؛ لِتَعْرِفَ السَّبَبَ فى إقامةِ ذلكَ التِّمْثال النَّادرِ لها .

حينما كانتْ (مرجريتُ) طِفْلةً صغيرةً تُوُفِّىَ (ماتَ) أَبُوها وأُمُّها . وأَصْبَحَتْ يَتيمَةً لا أَبَ لها ولا أُمَّ . فَتَبَنَّاها رَجلٌ وامْرَأَتُه من الْفقَراء . وأَخَذا يَعْطفانِ عليْها كما يَعطِفُ الآباءُ على أَبنائِهمْ وبَناتِهِمْ وعاشَتْ مَعَهما حتى كَبرَتْ وصارَتْ أَهْلًا لِلزَّواجِ ، فتزَوَّجَتْ . ثم رُزِقَتْ طِفْلًا صَغيرًا . وبَعْدَ قَليل منَ الْوِلادةِ ماتَ زَوْجُها . ثمَّ طِفْلُها . فعاشَتْ (مَرْجريتُ) وحْدَها مُنْقطعةً فى هَذا الْعالَمِ . ومعَ شِدَّةِ فَقْرِها كانَتْ تُحِبُّ الْعمَلَ . وتعرفُ السبيلَ إليه .

بدأَتْ تَعْمَلُ فى حانوتٍ لِكَيِّ الْملابسِ مِنَ

الصَّباحِ إلى الْمَساءِ . وتَشْتَغِلُ بالْقُرْبِ من النَّافِذَةِ ، فرَأَتْ أَطْفالًا صِغارًا يتَامَى لا أُمَّ لهُمْ ولا أَبَ ، يَعِيشون فى مَلْجَإٍ قَرِيب من الحَانوتِ الّذى تَعْمَلُ فيهِ . رَأَتْهمْ وهمْ يَعْمَلون ويَلْعَبُونَ . فَتَعَلَّقَتْ بهِمْ ، وتَعَلَّقوا بها . وأَحَبَّتْهمْ وَأَحَبُّوها . وبْعدَ قَليلٍ حَدَثَ وَباءٌ عامٌّ فى الْمدينَةِ ؛ فَماتَ كَثيرٌ منَ الآباءِ والأُمَّهات ، وتَيتَّمَ كثيرٌ منَ الأَطْفالِ ؛ فلمْ يتّسِعْ ذلكَ الملجأُ لِليتامَى مِنَ الصِّغار ، وَأَحَسَّ هؤُلاءِ الأَطفالُ بالحَاجَةِ إلى مَنْ يَعْطِفُ علَيْهم ، ويُعْنَى بِأُمورهمْ . فهلْ تَسْتَطيعُ امْرأَةٌ فقيرَةٌ مِسْكينَةٌ تَشتغلُ فى حَانوتٍ لكَيِّ الْملابس أَنْ تُساعِدَهمْ وليْس لها ناصرٌ أَوْ مُعين ؟ هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَعْطفَ علَيْهمْ وتقومَ بِشُئونِهمْ ، كما تَقومُ الأُمُّ بِشُئونِ أَبنائها وبنَاتها ؟

لَقَد اسْتَطاعَتْ تِلكَ المرأَةُ الْفَقيرَةُ ذلكَ ؛ فقَدْ ذهبَتْ إلى الملْجَإِ ، وقابلتْ مديرَتَه ، ووَعَدَتْها أَنْ

تُعطيَها جزءًا منْ أَجْرها ، وأَنْ تُخصِّص ما عِندَها منْ وَقْتِ الْفراغِ للعِنايةِ بِهؤُلاءِ الْيتامى منَ الأَطفالِ . وفى الْوقتِ نفسِهِ ضاعَفَتْ عملَها حتى اسْتَطاعَتْ أَنْ تَدَّخِرَ من النُّقود الّتى تَوفّرتْ عِندَها لِتَشْتَرِىَ بقَرَتَيْن لِحَلْبِ اللَّبنِ ، وعَجَلةً (عَرَبةً) تحْملُه علَيْها ، لِتبيعَ اللَّبنَ لمنْ يرْغَبُه .

أَخَذَتْ تحمِلُ اللَّبنَ على عَجَلتها كلَّ صَباحٍ وتُوَزِّعُهُ على حُرَفائِها (زبائنها) . وكانَتْ وهى ذاهبةٌ فى طريقها ترجو أَصحابَ الْفنادقِ والأُسَرِ الغنيَّةِ أَنْ تُعطيَها ما بَقِىَ لديها منَ الطَّعامِ : كَىْ تأْخُذَه فى عَجَلتِها إلى هؤُلاءِ الجياعِ منَ الْيَتامى فى الملْجإِ . وأَحْياناً كانتْ تَمُرُّ على هَؤُلاءِ الأَطْفالِ أَوْقاتٌ شديدةٌ لا يجدونَ فيها منَ الطَّعامِ إلَّا ما تجْمَعُه تِلكَ المرْأَةُ الْفقيرةُ مِنَ الْبقايا والفَضَلاتِ . وكانت تُخَصِّصُ

الْكَثيرَ مِنْ أَرْباحِها للمَلْجإِ ومَنْ فيه مِنْ أُولئكَ المساكِينِ.

وبَعدَ بِضْعِ سَنوَاتٍ اتَّسعَ الْعَملُ عِندَها ، وكثُرَتْ أَرباحُها . واقْتنَتْ كثيرًا مِنَ الْبقَرِ ، ووَجدت كثيرًا مِنَ التَّشْجيعِ ؛ لِشِدَّةِ عِنايتِها ودِقَّتِها فى عَمَلِها . ومعَ كثْرَةِ ما كانتْ تتبَرَّعُ بِه فى كلِّ أُسْبوعٍ لِلْمَلْجإِ وغَيْرِهِ منَ المشرُوعاتِ الخيْرِيَّةِ اتَّسَعَتْ أَعمالُها ، وازْدادَ دَخْلُها ، حتى اسْتطاعَتْ أَنْ تُنْشِئَ منْ مالِها الْخاصِّ مَلْجَأً سمَّتْهُ « مَلجأَ اليتامَى منَ الأَطْفالِ » .

اتَّسعَ الْعَملُ عِندَهَا ؛ فأُتيحتْ لها الْفُرْصَةُ أَنْ تُنشِئَ لها مَخبزًا يُصْنَعُ فيه الْخُبْزُ ، وأَخَذتْ تَبِيعُ الخُبْزَ بدلًا منْ بَيْعِ اللَّبنَ . وَبَدَأَتْ تَحْمِلُ الخُبْزَ فى عَجَلَتِها كَما كانت تحمِلُ اللَّبنَ وَتُوَزِّعُه على حُرَفائِها . وبهذهِ الْوَسِيلةِ اسْتَطاعَتْ أَنْ تُنْفِقَ على الملْجَإِ مِنْ عرَقِ جبينِها .

وفى ذلكَ الوقتِ حَدَثَتِ الحَرْبُ الأَهْلِيَّةُ الأَمْرِيكيَّةُ

وَانتَشَرَت المجاعَةُ بَيْنَ الجُنود ، فكانت (مرْجريتُ) تتبرّعُ بالخُبْزِ لِهؤُلاءِ الْجنودِ ، وَتُطْعِمُ أَطْفالَ مَلْجَئِها وَتَقومُ بكلٍّ ما يَحْتاجون إليْهِ .

كثُرَتْ أَرْباحُها ، وَازْدادَ دَخْلُها ، حتى تمَكَّنَتْ بَعْدَ انْتهاءِ الحَرْب أَنْ تُنشِئَ لها مَخبزًا كبيرًا يُدَارُ بالْبُخارِ لِصُنْع الخُبْزِ وَتَوْزيعِهِ على جَميعِ سُكانِ المدينةِ . وفى هذا الْوَقت عَرَفَها كلُّ إنْسانٍ فى مَدينَة (نيو أورليانس) ، وَأَحبَّها جَميعُ الأَطْفالِ ، وَأُعْجِبَ بها رِجالُ الأَعمالِ ، واستَشارَها الفُقَراءُ ، وَقَدَّرَها الأَغْنياءُ . وَقدْ كانَ مِنْ عادَتِها أَنْ تجْلِسَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْباب ، تَلْبَسُ ملابِسَ عادِيَّةً مَعَ ما كانتْ عَلَيْهِ منْ غِنًى فى أَواخِرِ أَيَّام حَياتها . تُحَيِّى مَنْ يُحَيِّيها ، وَتجيبُ مَنْ يَسْأَلها .

ثمَّ فارقَتْ (مرجريتُ) الْحَياةَ ، وَقدْ تركَتْ أَثرًا كبيرًا فى نفوسِ كلِّ مَنِ اتَّصَلوا بها . وَبقراءَةِ وَصِيَّتِها

الَّتِى تَركَتْها بَعْدَ مَوتِها وُجِد أَنّها ادَّخَرَتْ كثيرًا مِنَ المال ، بَعْدَ أَنْ تَبَرَّعَتْ فى حَياتِها بالْكثيرِ لِلْملاجِئِ والأَعمالِ الإِنسانيّة ، وَأَوْصَتْ بِتَوْزيعِ ذلكَ المالِ عَلَى المَلاجِئِ المُخْتَلِفةِ لليتامى فى المدينَةِ ، مِنْ غَيْرِ تَفرقَةٍ بَيْنَ مَلاجِئِ الْبِيضِ وَالسُّودِ ، اليَهُودِ والمسيحيِّين . وَقَدْ كانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ يتيم وَيتيم فى اللونِ ، أو الدِّين ، أَو الجِنْسيَّةِ .

لَقَدْ قامَتْ بكلِّ هٰذِهِ الأَعمالِ الإِنسانيةِ الجَليلَةِ وَهِى أُمِّيَّةٌ ، لا تَعْرِفُ الْقِراءَةَ وَالْكِتابَةَ . ولِذٰلِكَ وَقَّعَتْ عَلَى الْوَصِيَّةِ بإِصْبَعِها .

وحينَما عَلِمَ سُكَّانُ المدينَةِ بِمَوْتِهَا حَزِنُوا عَلَيْها جميعاً حُزْناً شَديدًا وقالوا : « إِنَّها كانَتْ أُمًّا لمَنْ لَا أُمَّ لهُ ، صَدِيقَةً لمنْ لا صَديقَ لهُ ، مُشِيرَةً لمنْ لا مُشِيرَ لهُ ، تَعْطِفُ عَلَى الْيتامَى والْفُقَراءِ والمساكِين . مَنَحَهَا اللهُ عَقْلاً مُدَبِّرًا ، وقَلْباً يَفيضُ بِالْعَطْفِ والْحُنُوِّ » .

ولِتخْليدِ ذِكْراها أقامَ لها السُّكَّانُ تِمثالًا يُمثِّلُها حقَّ التَّمْثِيل . ولا يزالُ تِمثالُ (مرجريتَ هُوفرى) فى مَدينةِ (نيو أورليانس) تِذْكارًا خالدًا لِتلْكَ المَرْأةِ العَظِيمةِ الْمُحِبَّةِ لِلإنْسَانيَّة .

أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى حدث لمرجريت وهى طفلة ؟

(٢) بماذا أحست حينما رأت اليتامى من الأطفال ؟

(٣) لماذا أقيم تمثال لهذه المرأة الفقيرة ؟

(٤) ما العمل الذى كانت تعمله فى الأول ؟

(٥) كيف استطاعت أن تساعد الأطفال فى الملجأ وهى فقيرة ؟

(٦) ماذا فعلت لمساعدتهم ؟

(٧) لماذا نجحت فى عملها ؟

(٨) ما الأعمال التى قامت بها ؟

(٩) بماذا أحس السكان بعد موتها ؟

(١٠) من يذكر قصة هذه المحسنة ؟

(١١) ماذا تفعل لو كنت غنيًّا ؟

(١٢) اكتب هذه القصة بعبارة مختصرة .

القصَّة الخامسة

مِنْ أَميرةٍ إلى راعيةِ إوَز

أَرادَ أَميرٌ مِنَ الأُمَراءِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَميرَةً مِنَ الأَميرات اسْمُهَا لَيْلَى ، فَطَلَبَها مِنْ أَبَوَيْها : المَلِكِ والمَلِكَة ، فَرَضِيَا بِزَوَاجِها . وَأُقيمَتِ الزِّيناتُ ، وجُهِّزَ جهازُ الْعَرُوس . وَمَضَتِ الأَيَّامُ . وقَرُبَ الْوَقْتُ الَّذِى تَتْرُكُ فيهِ الْأَميرَةُ أَباهَا وأُمَّها وَتُوَدِّعُهُما ، وتُسافرُ إلى بَلَدَةِ الْأَميرِ .

فَحَزِنَتِ الْمَلِكَةُ حُزْناً شَديدًا : لِقُرْبِ فِراقِ ابْنَتِها . واشْتَدَّ حُزْنها لِبُعْدِ الْجهةِ الَّتِى سَتذْهَبُ إلَيْها ، وَخَافَتْ أَلَّا تَرَى ابنتَها بَعْدَ أَنْ تفارِقَها .

وَحينَمَا أَخَذَتِ الْمَلِكَةُ تُوَدِّعُ ابْنَتَها جَرَحَتْ إِصْبَعَهَا حتَّى سَالَ مِنْهُ ثَلاثُ قَطَرَاتٍ من الدَّمِ عَلَى

مِنْدِيل لَها . فَأَعْطَتْهُ ابْنَتهَا وقالتْ : « احْمِلِى هٰذَا الْمِنديلَ مَعكِ فى كلِّ مكانٍ تذهَبين إليْهِ ؛ كَىْ لا يُصِيبكِ أذى فى المُسْتَقْبَلِ » . فَعَجبَتِ الأَميرةُ مِنْ هَذِهِ الخُرَافةِ الغَريبَةِ . وَلٰكنَّها أَطَاعَتْ أُمَّها ؛ وَأَخَذَتِ الْمِنْدِيلَ مَعَها . وَسَافَرَتْ وَمَعَهَا وَصيفتها إلى الْمَمْلَكةِ الَّتى يَعيشُ فيها الأَمِيرُ .

عَطِشَتِ الأَميرَةُ فى الطَّرِيق . فأَمَرَتِ الْوَصِيفَة بِإِحْضارِ كوب مِنَ الماءِ لَها . فقالَتْ لَهَا الْوَصِيفَةُ : « اذْهَبى وَاشْرَبى بِنَفْسِك . فَلَنْ أُحْضِرَ لَكِ شَيْئاً » .

سَكَتتِ الأَميرَةُ وَلمْ تَتَكَلَّمْ ، وَنَزَلَتْ مِنْ فَوْقِ حِصانِها ، وَأَحْضَرَتِ الماءَ لِنَفْسِهَا . وَشَرِبَتْ ثُمَّ رَكِبَتْ حِصَانها ثانِية . وفى ذلكَ الْوَقتِ نَطَقَ الْمِنديلُ وقالَ : « لوْ عَلِمَتْ أُمُّكِ الْمَلِكة ما حَدَثَ لكِ لحَزِنَت حزناً شديدًا » .

عَطِشت الأَميرَة ثانِيَةً فَقالَت لِلوَصِيفةِ : « إِنِّى

عَطْشى ؛ فَأَحْضِرى لى منْ فَضْلِكِ قَليلاً مِن الماءِ » .
فقَالَتْ لَها الْوَصِيفَةُ بِكلِّ وَقاحَةٍ : « إِنِّى لَنْ أُحْضِرَ لكِ شَيْئاً ، ولَنْ أَخْدُمَكِ بَعْدَ الآن ، فهاتى لِنفسِكِ ما تحِبِّين » .

فَسكَتَتِ الأَميرةُ ولَمْ تتَكلَّمْ ، ونزلتْ وَسَقَتْ نفْسَها ، فَنَطق الْمِندِيلُ مَرَّةً أُخْرَى وقالَ : « لَوْ عَلِمَتْ أُمُّكِ الْمَلِكةُ ما حَدَثَ لكِ لَتأَلَّمتْ كثِيرًا مِنْ أَجْلِكِ » . فبَكتِ الأَميرَة ، وهُنا وَقَعَ الْمِنديلُ فى النهرِ .

رَأَتِ الوصيفَةُ أَنَّ الْمِنْدِيلَ أَصْبَحَ غَيْرَ صالحٍ لِحِمايَةِ سَيِّدَتِها ، فأَخَذَتْ تَخُونُها وقالتْ لَها : « هاتى ثيابَكِ الجَمِيلَةَ ، وخُذِى ثيابى . وأَنتِ مِنَ الآنَ الوَصيفة ، وأَنا الْأَميرَةُ . خُذِى حِصانى وأَنا آخُذُ حِصانكِ . ويَجبُ أَنْ أَتزوَّجَ أَنا الْأَميرَ ، وأَنْ يَعْرِفَ الْجَمِيعُ أَنِّى الأَميرةُ ، وأَنْتِ الْوَصِيفَة . وإِذا رَفَضْتِ شَيْئاً مِنْ هٰذَا قَتَلْتُكِ فى الْحَالِ » .

خافَتِ الأَمِيرَةُ عَلَى حَيَاتِها مِنْ هٰذه الوَصيفَةِ الْخَائِنَةِ ، فَرَضِيَتْ بِما قالَتْهُ لَها . ولَبِسَتِ الْوَصيفة ثِيابَ الأَميرَةِ ، وصارَتِ الأَميرةُ وصيفَةً والوَصيفَةُ أَميرَةً .

وبَعْدَ قَليل وصَلَتا إلى قَصْرِ الْأَمِيرِ ، وعومِلتِ الوَصِيفَةُ كأَنَّها الْأَميرَةُ ، وعومِلَتِ الأَميرَةُ كأَنَّها الوَصيفةُ .

وقَفتِ الأَمِيرَةُ الْمِسْكينَة حَزينَةً وحْدَها في ساحَةِ الْقَصْرِ ، وقَدْ لَبِسَتْ مَلابِسَ الوصيفةِ ، فرآها الْمَلكُ فَسَأَلَها : أَتُرِيدين عَمَلًا ؟ فأَجابَتِ الأَميرَة المَلِكَ وهُو لا يَعْرِفُها : «نَعمْ أُريدُ عَمَلًا يا سَيِّدى مِنْ فَضْلكَ » . فقالَ الملكُ : « إِنِّى أُريدُ فتاةً تَرْعَى الإِوَزَّ ، فَهل تُحِبِّينَ أَن تَكُونى راعِيَةً لِلْإِوَزِّ ؟ » فرَضِيَتِ الأَميرةُ المِسْكِينةُ ، وَأَصبحتْ تَرْعى الإِوَزَّ.

صارتِ الوصيفةُ الخائنةُ زَوْجةً لِلْأَمير ، وعومِلتْ مُعاملةَ الأَميرة . خافتِ الوصيفةُ الخائنةُ أَن يقومَ



من أميرة إلى راعية إوز

حصانُ الأَميرةِ بإخْبارِ المَلكِ بكلِّ ما حدَثَ ، فأَمَرتْ بِقطعِ رأْسِه . ولمَّا علمتِ الأَميرةُ المجْهولةُ راعيةُ الإوَزِّ ذلك تألَمَتْ كثيراً ، لأَنها كانتْ تحِبُّ حِصانها ، فرجَتْ أَحدَ الْخَدمِ أَن يُعلِّقَ رأْسَه فوْقَ باب المَطْبخِ .

وكانتْ كلَّما مرَّتْ بهِ سألتْه : « أتعْرِفُ مَنْ أنَا أيُّها الحصانُ ؟ » فكانَ رأْسُ الحصانِ يُجيبُها : « إنِّى أعْلمُ أنَّكِ الأميرةُ حقًّا . ولوْ عرفتْ أُمُّكِ ما حدثَ لكِ لماتتْ حُزناً عليْكِ » .

وفى يوْمٍ رأى أحدُ الْخدمِ شعْرَ الأميرةِ راعيةِ الإوزِّ ، فأُعْجبَ بجمالهِ ، وأرادَ أن يقْطعَ منهُ شيْئاً لنفْسِه فرفضتِ الأميرةُ ؛ فغضبَ الخادمُ ، وأراد أن يقْتصَّ منها ، فجرَى إلى الملكِ وأخْبرَهُ أنها ساحِرةٌ من السَّاحِراتِ .

وحينما سمِعَ الملِكُ قِصَّةَ رأْسِ الحِصانِ الذى يتكلَّمُ وهو مُعلَّقٌ على بابِ المطْبخِ ، وسمعَ بالشَّعْرِ الذهبىِّ الجميلِ لِتلكَ الفتاةِ التى ترْعَى الإوزَ عَجبَ وسألَ نفْسَه : ما معْنى هذا كلِّه ؟ وأخذ يُفكِّرُ فى الْأمرِ .

وفى اليَوْم التالى أرسلَ إليها يأْمُرُها بالحضورِ بينَ

يَدَيْه ، فَدَخَلتِ الأَميرةُ راعيةُ الإِوَزّ القصرَ ، ووَقفَتْ بأَدبٍ أَمامَ الملِك . فلما رآها تأَثَّر بجمالها ، وَأُعْجِبَ بِأَدبِها ، فسأَلها : من أَنتِ ؟

فَأَجابتْ : أَنا آسِفةٌ كلَّ الْأَسَف يا سيِّدى ؛ لأَنى لا أَستطيعُ أَن أُجيبَ عن هٰذا السؤال ؛ فقدْ وعدْتُ أَلَّا أُخبِرَ أَحدًا بشأْنى . وإِذا أَخلفتُ الوَعدَ حُكم عَلَىَّ بِالْقَتلِ .

فقال الملِكُ : أَنَا مَلكُ البلادِ ، ولا يَسْتَطِيعُ أَحدٌ أَنْ يُؤْذِيَكِ ما دُمْتُ حَيًّا . فاذْكرى الحَقيقةَ ، وَسَأَحْميكِ مِن كلِّ مَن يُريدُ الاعْتِداءَ عليكِ .

فبَكَت الأَميرةَ المسكينةُ بُكاءً مُرًّا . وقالتْ أَنا الأَمِيرةُ لَيْلَى ، وقد كنتُ مَخْطوبةً لِابْنِكَ الأَميرِ ، ولكنَّ وَصيفَتى ، أَخذَتْ مَلابِسى . وقتلتْ حِصانى ؛ لأَنها أَرادَتْ أَن تتزوَّجَ الأَميرَ . وهَدَّدَتْنى بالْقَتْل إِذا أَخبرْتُ أَحدًا . ولوْ عَرَفتْ أُمِّى ما حدَثَ لماتتْ حُزْناً عَلَىَّ .

فَهدَّأَها الملكُ . وتـأَلَّمَ لِما حدَثَ لها ، وأَزالَ ما كانَ عِنْدها منْ خَوْف ، بَعْدَ أَن عَرفَ أَنها الأَميرَةُ الَّتى كانت خطيبةً لِابْنهِ . ثمّ أَمرَ فى الحالِ وَصيفةً مِن الْوَصيفاتِ فى الْقَصْرِ بالْعِناية بها ، وَإِلْباسِها مَلابِسَ مَلكيّةً ، وإِحْضارِها . ثمَّ أَرْسَلَ لِابْنِه الأَميرِ . وَأَخْبَرَهُ الْخبَرَ ، فلمَّا رآها أُعْجِبَ بِجمال أَدَبِها ، وتـأَلَّمَ لِما حَدثَ لها ، وتزوَّجَها ، وأُقيمتِ الأَفراحُ ، ودُعِيَ إِليْها كِبارُ رِجالِ الدَّوْلةِ ، وَعَمَّ الفَرَحُ جميعَ جِهاتِ المَمْلكةِ ؛ لِأَنَّ الأَميرة الْحقَّةَ قدْ تزوَّجتِ الأَميرَ .

وعُوقبَتِ الوصيفةُ الْخائِنةُ الْعِقابَ الذى تَسْتَحِقُّهُ ، وطُرِدَتْ من البلادِ ، وعاشَ الأَميرُ والأَميرَةُ عِيشَةً سَعيدةً فى حياتِهما الجديدة .

أسئلة فى القصة :

(١) ما الذى أعطته الملكة ابنتها وهى تودعها ؟ لماذا ؟

(٢) من كانت مع الأميرة فى سفرها ؟

(٣) ما الذى قالته الوصيفة للأميرة حينما طلبت منها ماء لتشرب ؟

(٤) بماذا تحكم على الوصيفة ؟

(٥) كيف خانت الوصيفة سيدتها ؟

(٦) كيف صارت الأميرة راعية إوز ؟

(٧) هل تزوّج الأمير الأميرة ؟

(٨) من تزوج الأمير ؟

(٩) كيف عرف الملك الأميرة خطيبة ابنه ؟

(١٠) ماذا حدث بعد أن عرفها ؟

(١١) افهم هذه القصة ثم اكتبها بعبارتك .

القصة السادسة

الْغُلامُ الشُّجَاعُ

نَشَأَ عَلِيٌّ فِى قَرْيَة صَغِيرَةٍ مَعَ أُخْتٍ كانَتْ مُتَزَوِّجَةً شاباً يَعْمَلُ فِى الْبَرِيدِ ؛ فَقَدْ مات أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، ثُمَّ ماتَتْ أُمُّهُ بَعْدَ سَنَوات قَلِيلَةٍ مِنْ ولادتِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِى هٰذِهِ الحَياةِ إِلَّا أُخْتُهُ كانَتْ تحبُهُ حُبًّا جمًّا (كَثيرًا) ، وَزَوْجُها الَّذِى كانَ يُعْنَى بهِ عِنايَةً كَبيرةً ، ويَعطفُ عَلَيه عطْفاً كثيراً .

ولٰكنَّ اللهَ الَّذِى أَذاقَهُ ذُلَّ الْيُتْمِ عوَّضَهُ عَنْ ذٰلِك بصفاءِ ذهن ، وسُمُوِّ عاطِفة ، وسَدادِ رَأْيٍ ، ومَضاءِ عزيمةٍ ، فكانَ إِذا رأَى رأْياً نافِعاً أَقبلَ عَلَيْه بلا تَرَدُّدٍ لا يَمنعُه عن المُضِيِّ فيه ما يخافُهُ النَّاسُ من الْإِخفْاقِ وسُوءِ المصيرِ . وقدْ عُرِفَ بَيْنَ أَقرانِه بالوَداعةِ والهدوءِ ، والتَّواضُعِ والْحَياءِ .

وفى يَوْمٍ خَرَجَ علىٌّ مِنَ الْقريةِ الَّتى يعيشُ فيها

قاصِدًا بلدَةً قَريبَةً مِنْها لِيَقُومَ بِعَمَلٍ خاصٍّ به ، وعمرهُ إذْ ذاكَ اثنتا عشرَة سنةً . وكان الْجَوُّ مُلَبَّدًا بالْغيوم ، شديدَ الْعواصفِ ، قارسَ الْبرْدِ ، وكانَ لا بُدَّ لهُ منْ أَنْ يَعْبُرَ فى طريقهِ جِسْرًا قدْ أُقِيمَ على نهْر تَتَدَفَّقُ مياهُه بسُرْعَة ؛ لتسيرَ عليْهِ قطُرُ السِّكَّةِ الحَديديَّة .

سارَ الفَتى فى طَريقهِ يَتَرَنَّمُ بأَناشيدِ الوطنِيَّةِ الْعذْبةِ ، لاهياً عنْ تِلْكَ الأَوْحالِ التى تَعترِضُهُ فى الطَّريق ، حتَّى وصلَ إلى ذلكَ الجِسْرِ (الكُوبْرى) ، فأَزْعَجهُ أَن رَأَى فَتْحَةً كبيرةً فيه ، وشاهدَ أَن شِدَّةَ تَدَفُّقِ المياهِ قدْ هَدَمَت عمودَيْن مِنْ أَعمِدَةِ الجِسْر ، ووَجدَ أَنْ قُضْبانَ سكَّة الحَديدِ تَكادُ تَسْقُطُ فى النَّهْر . ثمَّ تذكَّرَ أَنَّ القِطارَ السَّريعَ الَّذى يَجتازُ تلكَ المنطقةَ بعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بقليل قَدْ قَرُبَ مَجيئُه . فَهداهُ تفكيرهُ إلى أَنَّ ذلك الجسْرَ لنْ يَقوَى عَلَى حمْل القِطارِ . وستكونُ العاقبَةُ سقُوطَهُ فى النَّهرِ

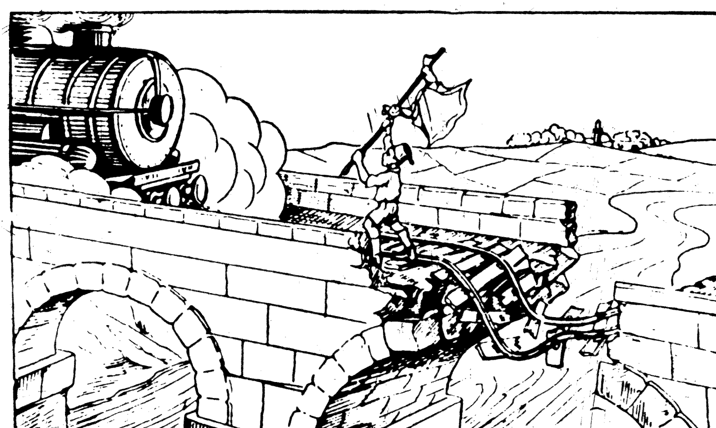
فماذا يفعلُ ؟ أيَرجعُ إلى قَرْيتهِ مُسْرِعاً فيُخْبِر العُمدةَ بمَا رأى ليعملَ على وَقْفِ القِطارِ قبْل وصوله إلى تلكَ البُقْعةِ . أمْ يُريحُ جسمَه ونفسَهْ ويقِفْ عَنْ قُرْبٍ لِيَرَى القِطارَ وهْو يَسقُط بِمنْ فيهِ . فيسْمَع ذلك الدَّويَّ العظيمَ الذى ينشأُ عَنْ سقوطِ القِطارِ . وهذا الصُّراخَ المتصاعدَ من الركابِ والمسافرين ؟

لا . إنَّه لن يَرْضَى بالرُّجوعِ إلى القَرْية . إذْ رُبّما يفوِّتْ عليهِ بُعْدُها غرضَه . ولن يَرْضَى برؤية مِئات مِنْ أَبْناءِ وطنِه يموتون مِيتةً قاسِيَةً مُؤْلمةً .

فأَسرعَ عَلِيٌّ وَخلَعَ مِعطفَه . ووَقفَ عَنْ بُعْدٍ فى طَريقِ القِطار . وقد نَشَر ذلكَ المعطفَ فوْق عصاً طويلةٍ . وأَخذَ يُلوِّحُ بِها فى الْفضَاءِ . ولم يكترثْ للموْتِ الذى ينتظرهْ إن أَغفَلَ سائِقُ الْقطارِ أَمْرَهْ ولمْ يبالِ بالبردِ الشديدِ الَّذى يَنفذُ إلى جسمهِ بعد أَن خلَعَ مِعْطفه

اقتربَ القِطارُ منه . ورآه السائقُ وسطَ الطَّريقِ .

فأَغضبه ذلك وظنَّ أنّه فتًى يريدُ العبَثَ والمُزاحَ ، وكاد يتركُ القِطارَ فى سرعتِه لولا أَنْ أدركَهَ شَىءٌ من الشَّفقةِ والعطف عَلى هذا الغُلامِ . فأَسرعَ إلى القِطار فَأَوْقفهُ فجْأَةً . وأَقبلَ على الغُلامِ وهُو غضبانٌ . وأَخذ يسأَله بشدة عَنْ فَعْلتهِ . فاعْتذَرَ لهُ الغلامُ . ثمَّ قادَهُ إلى الجسرِ . فرأَى أَعمدتَه الضَّعيفَةَ ، وأَدْركَ (فَهِمَ) الخطرَ . فأُعْجب بشجاعتهِ إعْجاباً كبيراً . ثمَّ ضمَّهُ إلى صدْرِه ، وشكرَ لهُ فِعله شكراً جزيلاً .



الغلام يشير إلى سائق القطار ليقف القطار خوفاً من وقوعه فى النهر

خافَ الركابُ من وقُوف القِطارِ فَجأَةً ، وأَخَذوا يتَساءَلونَ عن السَّبَبِ ، وقَدْ نزَلَ بعضُهم وَساروا مُسرِعينَ جِهَةَ الْقاطِرَة ، واجتمعوا هُناكَ .

عاد السَّائقُ وَرَجَعَ يحمِلُ إلى الركابِ خَبر ذلكَ الحادِثِ وَقَدْ أَنْساهُ الفَرَحُ وَشدَّةُ الإعْجابِ بالْغلامِ أَنْ يَسْأَلَهُ عن اسمِه . ومحلِّ إقامَتِه .

لَبِسَ الْفَتى معطفَه بعْدَ أَنْ أَدَّى وَاجبَه . وَأَراحَ ضميرَه ، وَمَضى في طريقِه إلى العَمَلِ الَّذِي كانَ يقصدُهُ ، وَنَسىَ ما كانَ . كأَنَّهُ لَمْ يفعَلْ شَيْئاً ، ثمَّ رَجعَ إلى أُخْتهِ . ولم يُخبِرْها بما قامَ بهِ تَواضُعاً منْهُ . ولم يَكَدْ يَسْتَقِرُّ بهِ المقامُ في منزلِه حتى أَصابَتْهُ رِعْدَةٌ شديدةٌ أَعقبتْها حُمَّى . ففزِعتْ أُختُه إلى طَبيبِ الْقريةِ الَّذِي هالَهُ أَنْ رأَى المرَضَ شَديدًا علَيْهِ ، فأَخَذَ يُعالجُهُ وَهُوَ في يأْسٍ منْ أَمْرِهِ .

ذاعَ أَمْرُ وُقُوفِ الْقِطارِ في جهاتٍ قريبَةٍ . وكتبَتْ

بَعْضُ الصُّحُفِ تَسْأَلُ عَنْ هذا الْغُلامِ الَّذى أَنْقَذَ مِئاتٍ مِنَ المسافرِينَ ، وَأرادَ أَن يقدِّمَ نفسَهُ ضحيَّةً لبَنى وَطنِه . وَبعد الْبحثِ الشَّديد عُلِمَ أَنَّ هذا الْفَتى هُوَ عَلِيٌّ الْيتيمُ مِنْ قَرْيةِ كذا . فذهَبَ إلَيهِ مَنْدوبُو الصُّحُفِ فوَجدُوه طريحَ الْفِراشِ ، فاقِدَ النُّطق . وَلمّا سَأَلوا أُختَهُ عَنْ ذلِكَ الحادِثِ قالتْ : إنِّى لا أَعْلَمُ عَنْ أَمْرِهِ شَيْئاً . وكلُّ ما أَعْرِفُه أَنَّه ذهبَ فِى صَباحِ يَوْمِ الحادِثَةِ إلى بلدةٍ قَرِيبَةٍ مِنّا . وأنه عَبرَ فى طريقهِ ذلك الجسْرَ الذى يتحدَّثُ النَّاسُ عَنْهُ . فجىءَ بسائِقِ القِطارِ . فلما رآه تهلَّلَ وجهُهُ فَرَحاً وسرورًا ، وتقدَّمَ إلى المريض للسُّؤَالِ عنهُ . ثمَّ دعَا لَهُ بالشِّفاءِ والْعافيَةِ ، وَاسْتَأْذَنَ أختَه فى نقْلِه إلى المُسْتَشْفى . فأَذِنَتْ لَهُ . وبَعْدَ أَنْ شُفِيَ هنَّأَهُ كلُّ مَنْ عَرفَهُ بشفائه ، وأَخبرَهُ الْعُمْدَةُ أَنَّ الوزارَةَ قدَّرت عَملَهُ الْجليلَ ، وقرَّرَتْ أَنْ تُرَبِّيَهُ على نفَقتِها ، وَأَن تُعلِّمهُ فِى أَحْسنِ المدارِسِ ، وَمنحَتْهُ

(أَعْطَتْهُ) أَلْفَ جُنَيْهٍ لِيَنْتَفِعَ بها فِى مُسْتقْبَلِه ، وقدْ وُضِعَتْ هٰذه المكافأَةُ باسمِهِ ، وتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَقْرانهُ مِنْ أَطْفالِ القَرْيَةِ وغِلمانها ، وهنَّئُوهُ ، ورَجَوْا لَهُ صِحَّةً تامَّةً ، ومُسْتَقْبَلاً سَعِيداً .

أسئلة فى القصة :

(١) من كان يعنى بعلى بعد موت والديه ؟

(٢) بماذا عرف على بين إخوانه ؟

(٣) ما الذى شاهده حينما وصل إلى الجسر (الكوبرى) ؟

(٤) ما الذى فعله لإنقاذ القطار من السقوط ؟

(٥) ماذا كنت تفعل لو كنت مكانه ؟

(٦) ماذا فعل سائق القطار حينما قرب من على ؟

(٧) بماذا أحس الراكبون عندما وقف القطار فجأة ؟

(٨) ما الذى حدث لعلى بعد رجوعه إلى المنزل ؟

(٩) كيف عولج من مرضه ؟

(١٠) ما الذى فعلته الوزارة لتكافئه على عمله ؟

(١١) من يذكر هذه القصة بعبارة سهلة ؟

(١٢) اكتب هذه القصة بعبارة صحيحة .

فهرس الكتاب

الموضوع